DATE DUE

JAFET LIB.
30 DEC 1977

JAFET LIB.
- 3 MAY 1978

JAFET LTD.
14 NOV 2003
Circulation Dept. 1

تجليد صالح الاقر
تلفون ٢٢٩٧٧

892.709
Kh63hA
C.1

الحياة الأدبية
في العصر الجاهلي

تأليف

محمد عبد المنعم خفاجي

الأستاذ بكلية اللغة العربية

الطبعة الأولى

١٣٦٨ هـ = ١٩٤٩ م

مكتبة الموجه
لصاحبها
الشيخ يوسف قرنا السقا
شارع الفجالة
بمصر

Cat. Dec. 51

عني بطبعه ونشره

محمود توفيق

صاحب مكتبة الحسين التجارية بالسكة الجديدة بمصر

تليفون ٥٥٦٤٧

77890

مطبعة حجازي بالقاهرة

الإهـــداء

إلى ابن مصر البار، وبطلها العظيم ؛ الذى تتجه إليه الآمال ، وتسير برعايته النهضة ، ويدفع الأمة بيديه إلى الحياة الحرة الكريمة ، ويبذل ما يستطيع من جهد فى تشجيع العلوم والآداب فى بلادنا العزيزة .

إلى حضرة صاحب الدولة إبراهيم عبد الهادى باشا المحترم

أهدى هذا الكتاب ؟

المؤلف

بسم الله الرحمن الرحيم

تمهيد

هذه دراسة جديدة للحياة الأدبية فى العصر الجاهلى ، جديدة فى بحوثها وأفكارها ، جدتها فى عرضها وأسلوبها

ولا يعلم إلا الله مدى ما أخذت من جهد ، واستغرقت من وقت ، واستنفدت من عناء

والعناية بالمراجعة ، والاشارة إلى المصادر ، وتنظيم البحث واستقصاؤه ، كل هذه العناصر الضرورية للثقافة الحديثة تجدها كاملة فى هذا الكتاب الجديد

تناولت فيه العصر الجاهلى دراسة وبحثا ، ونقدا وتحليلا ، وعنيت بتصوير الاتجاهات الأدبية ، والعوامل التى كان لها أثرها فى الأدب شعرا أو نثرا ، وسقت الكثير من النصوص والتراجم التى لاغنى عنها للباحث والقارىء

وأخيرا فأحمد الله على توفيقه وأضرع إليه أن يمدنا بروح من عنده ، وأن يرفع راية الأدب والثقافة والعلم عالية فى وطننا الخالد وفى الشرق الاسلامى المجيد

وما توفيق إلا بالله ؟

مارس سنة ١٩٤٩ — محمد عبد المنعم خفاجى

مقـــدمات

الادب

١ — معنى كلمة أدب :

يطلق الأدب فنفهم منه بادىء ذى بدء معناه ، الذى يدور حول الجيد البليغ من الكلام نثره ونظمه .

فالأدب هو كل كلام عبر عن معنى من معانى الحياة ، وجلا صورة من صورها باسلوب جميل ، ولفظ بديع ، فتثير معانيه العاطفة ، وتستثير بلاغته الأعجاب . فالكلام لا يكون أدبا إلا إذا اشتمل على : معان تبعث عواطف القارىء والسامع ، وعلى ألفاظ جميلة تؤدى بها هذه المعانى والأفكار ، وإلا إذا لاءم الذوق ، ووافق الطبع ، وأثر فى النفس ، وصور لك الأشياء كما تجدها أنت حين تخلو إليها وتفكر فيها .

ومبعث الجمال فى الكلام قد يكون فى معانيه ودقتها وعمقها وروعتها ، وقد يكون فى ألفاظه وسحرها وفصاحتها وعذوبتها أو فخامتها ، وقد يكون فى ألفاظه ومعانيه جميعا ، وذلك أتم لبلاغة الكلام ، وأجمع لسحره وتأثيره وأدعى لخلوده وبقائه على أمد العصور .

وبعد فجودة الأدب هى مقياس حظه من القبول والاعجاب والخلود ، وإنما تتأتى الجودة بحسن المعانى وتخير ما يتصل منها بالموضوع وما يناسبه فى دقة وحسن ترتيب ، وبحسن الألفاظ والأساليب والملاءمة بين الألفاظ والمعانى ؛ وعلى أى حال فإن أجود البيان نثره ونظمه ما صدر عن الطبع وجاء عفو القريحة من غير تكلف ولا استكراه ولا إغراب .

ومتى كان الكلام جيدا على هذا النحو فهو الذى نسميه أدبا ونعنى بحفظه وروايته وتدوينه .

٢ — الاطوار التاريخية لكلمة أدب [١]

ا — وردت كلمة أدب فى الشعر والنثر المأثورين عن العصر الجاهلى :

١ — قال الأعشى : جروا على أدب منى بلانزق

٢ — قال عتبة بن ربيعة لابنته هند عن أبى سفيان : « يؤدب أهله ولا يؤدبونه » ، وقالت له : « وسآخذه بأدب البعل » (٢)

٣ — وقال النعمان لخطباء العرب الذين أوفدهم إلى كسرى : فلايكونن ذلك منكم فيجد فى آدابكم مطعنا » (٣) ، وقال فى رسالته إلى كسرى :

« وقد أوفدت أيها الملك رهطا من العرب لهم فضل فى أحسابهم وآدابهم »(٣)

٤ — وورد فى شعر جاهلى لامرأة :

أبعد ستين عندى يبتغى الأدبا

وهى فى كل هذه النصوص لاتخرج عن المعنى الخلقى المعروف

---

(١) راجع الجزء الأول من العصر الجاهلى للرافعى ، ومقالات فى الأدب للزيات ، والأدب الجاهلى لطه حسين ، والرد عليه للغمراوى وخضر حسين — ولسان العرب مادة « أدب » — خزانة الأدب فى بيت سهم بن حنظلة : « حسن ذا أدبا » ، وكذلك ترجمته فى الاغانى ، ٢/٢٧ أمالى المرتضى ، ٣/١٤٥ شرح الحماسة للتبريزى . قصيدة كعب بن سعد التى فيها «شب وهو أديب » فى المفضليات ، وترجمته فى الخزانة وشرح أمالى المرتضى (مع ملاحظة أن القصيدة فى الجمهرة منسوبة لمحمد ابن كعب الغنوى - ص ٢٧٤ - وفى الخزانة والسيوطى والعينى لكعب بن سعد الغنوى)، ترجمة مزاحم العقيلى فى الخزانة والأغانى وبيته « الأديب المزال ، ١٣ شرح أدب الكاتب للجواليقى ، ٢/١٠٤ الأمالى فى حديث عتبة مع ابنته هند ، حديث قيس بن زهير فى الأغانى وأمالى المرتضى ١/١٤٩، ١٦٠/٧ شرح الكامل ، ٣/٦٣ شرح الكامل البيت « أبعد ستين عندى يبتغى الأدباء » من قصيدة جاهلية لامرأة ، ص ١٧ ج ٦ تاريخ الطبرى « يؤدبنى الحجاج » ، نهج البلاغة

(٢) ٢/١٠٤ الأمالى

(٣) ١/١٦٩ العقد ط ١٩٣٥ القاهرة المطبعة التجارية

ب — وجاء الاسلام بعد ظلمات من الجهل والضلالة والجاهلية ، فنجد كلمة أدب تتردد فى نصوص اسلامية كثيرة منها :

١ ـ جاء فى الحديث الشريف « أدبنى ربى فأحسن تأديبى » وهو حديث مشهور ، ويبدو أن التأديب هنا بمعنى التهذيب الخلقى ، ولكن إذا رجعنا إلى الرواية فى أصل ورود الحديث وهى(١) أن أبا بكر قال لرسول الله (ص) : ما سمعت أفصح منك فمن أدبك ؟ فقال رسول الله (ص) : « أدبنى ربى فأحسن تأديبى » ، نجد أن التأديب هنا بمعنى التعليم وهو قريب من معنى كلمة أدب المشهور بيننا الآن .

٢ ـ وفى حديث مشهور يروى عن عمر بن الخطاب « طفق نساؤنا يأخذن من أدب نساء الأنصار » .

وعلى الجملة فالأدب فى كل هذه النصوص بمعنى الخلق الكريم واصطناع السيرة الحميدة ، ودلت هذه الكلمة على ذلك فى العصر الجاهلى ، كما دلت عليه فى صدور الاسلام ، قال الجواليقى م . ٥٤ هـ فى شرح أدب الكاتب : « والأدب الذى كانت العرب تعرفه هو ما يحسن من الأخلاق وفعل المكارم(٢) » .

جـ ـ وجاء عصر بنى أمية ، ووردت كلمة أدب ورددت فيه كثيرا :

١ ـ من ذلك ما أنشده الجاحظ :

وإنى على ما كان من عنجهيتى ولوثة أعرابيتى لأديب(٣)

٢ ـ وقول كعب بن سعد الغنوى :

---

(١) راجعها فى ص ٣٤ من الأدب العربى وتاريخه فى عصرى صدر الاسلام والدولة الأموية للمرحوم محمود مصطفى ط ١٩٣٧

(٢) ١٣ شرح أدب الكاتب للجواليقى ، ص ٢٧ شفاء الغليل للشهاب الخفاجى ط ١٢٨٢ هـ

(٣) البيت فى ص ١٢٦ جـ ١ البيان والتبيين ط ١٩٢٧

حبيب إلى الزوار غشيان بيته جميل المحياشب وهو أديب

٣ ـ وقول سالم بن وابصة الأسدى الشاعر من قصيدته التى ذكرها صاحب الحماسة(١) :

إذا شئت ان تدعى كريما مكرما أديبا ظريفا عاقلا ماجدا حرا

إذا ما أتت من صاحب لك زلة فكن أنت محتالا لزلته عذرا

٤ ـ وروى صاحب اللسان(٢) فى مادة « أدب » لمزاحم العقيلى ـ وهو شاعر أموى ـ قوله فى صفة الابل :

وهن يصرفن النوى بين عالج ونجران تصريف الأديب المزلل

٥ ـ وقال بعض الفزاريين :

كذاك أدبت حتى صار من خلقى أنى وجدت ملاك الشيمة الأدبا

٦ ـ وقال سهم بن حنظلة ، ويظهر لى أنه أموى :

لم يمنع الناس منى ما أردت ولا أعطيهموما أرادوا حسن ذا أدبا(٣)

٧ ـ وألف ابن المقفع م ١٤٣ هـ كتابين له . سماهما : الأدب الكبير والأدب الصغير ، وفى الأدب الصغير تتردد كلمة أدب كثيرا(٤) .

٨ ـ ومن خطبة للحجاج : هذا أدب ابن نهية أما والله لأؤدبنكم غير هذا الأدب » .

٩ ـ ومن رسالة لعبد الحميد الكاتب : أحب (أمير المؤمنين) أن يعهد إليك عهدا . . يحملك منه أدبه ، ويشرع لك عظته » .

---

(١) ١٦ ج ٢ ديوان الحماسة الطبعة الثالثة ١٩٢٧ بمطبعة السعادة . وسالم بن وابصة تابعى وأبوه وابصة صحابى جليل ، وبعض هذه الأبيات فى الأمالى ص ٢/٢٢٤ طبع دار الكتب .

(٢) ٢٠٠ ج ١ اللسان (٣) وينسب البيت لطفيل الغنوى وهو جاهلى (١٣ شرح أدب الكاتب ط القدسى ١٩٣٥ ، ٢٧ شفاه الغليل ط ١٢٨٢)

(٤) ص ٥٦ و ٥٣ و ٤٠ وسواها من الأدب الصغير ط ١٩١١ .

وهى فى كل ذلك بالمعنى الخلقى العام المعروف .

ولكن وردت نصوص أخرى فى هذا العصر منها :

١ ـ قال عبد الملك بن مروان الخليفة الأموى لمعلم ولده أدبهم برواية شعر الأعشى .

٢ ـ وقال معاوية : اجعلوا الشعر أكبر همكم وأكثر آدابكم(١) .

٣ ـ ووجدت طبقة المعلمين الذين كانوا يؤدبون الناشئين من أبناء الخلفاء والأمراء والولاة ويعلمونهم الأخبار واللغة والشعر وغيره فأطلق عليهم لقب « المؤدبين » ، مما يدل على أن الكلمة كانت تستعمل بمعنى التعليم .

٤ ـ وقال عبد الحميد الكاتب من رسالته للكتاب : « فتنافسوا يا معشر الكتاب فى صنوف الآداب » .

٥ ـ وفى الأدب الصغير لابن المقفع م ١٤٣ هـ « جل الأدب بالمنطق ، وكل المنطق بالتعليم ، ليس حرف من حروف معجمه ولا اسم من أنواع أسمائه إلا وهو مروى متعلم مأخوذ من امام سابق من كلام أو كتاب » .

٦ ـ وقال محمد بن على بن عبد الله بن عباس : كفاك من علم الأدب أن تروى الشاهد والمثل .

وهى فى أغلب هذه النصوص كلها ليست بالمعنى الخلقى المعروف ، إنما هى تدل على ما كان يلقيه المعلم إلى طلبته من الشعر والقصص والأخبار والانساب وكل ما من شأنه أن يثقف نفس الصبى ويهذبها من أنواع العلوم المختلفة الخاصة باللغة والشعر وما يتصل به .

فكلمة « أدب » فى العصر الأموى كانت تطلق : على المعنى الخلقى المعروف ، وعلى التعليم والتأديب ، وعلى رواية أشعار العرب واخبارها وأيامها وأنسابها أو تعليمها للناشئين والمتعلمين .

---

(١) ٤١ ج ٢ وفيات الأعيان

وثقافة الكاتب ـ وهو أخص من الأديب ـ تجدها مبسوطة فى رسالة عبد الحميد الكاتب إلى الكتاب .

د ـ وجاء عصر بنى العباس ، فنشأت دراسات فى النحو والصرف والعروض واللغة والبلاغة ، وشملت كلمة « أدب » هذه الدراسات جميعها أيضا ، قال الجواليقى فى شرح أدب الكاتب(١) « اصطلح الناس بعد الاسلام بمدة طويلة على أن يسموا العالم بالنحو والشعر وعلوم العرب «أديبا» ويسموا هذه العلوم الأدب ، وذلك كلام مولد لأن هذه العلوم حدثت فى الاسلام .

ولما اشتدت حركة التأليف وقويت النهضة العلمية استقلت هذه العلوم بنفسها وبحوثها وانعزلت عن الأدب ، وأصبحت كلمة أدب تدل على الكلام الجيد من المنظوم والمنثور ومايتصل به ويفسره من الشرح والنقد والأخبار والأنساب وعلوم العربية ؛ ثم شملت النثر الذى أجاد فيه فحول الكتاب فى هذا العصر أيضا ، كما شملت النقد الذى بدأ ينمو فيه ، وكذلك الغناء ، قال ابن خلدون : « وكان الغناء فى الصدر الأول من أجزاء هذا الفن — الأدب — لماهو تابع للشعر ، إذ الغناء إنماهو تلحينه ، وكان الكتاب والفضلاء من الخواص فى الدولة العباسية يأخذون أنفسهم به حرصا على تحصيل أساليب الشعر وفنونه(٢) » . وألفت فى الأدب بهذا المعنى كتب مشهورة : كالبيان والتبيين لأبى عثمان عمرو بن بحر الجاحظ ٢٥٥ هـ ، والكامل لأبى العباس محمد ابن يزيد المبرد م ٢٨٥ هـ ، وكتاب طبقات الشعراء لمحمد بن سلام الجمحى م ٢٣١ هـ وكتاب الشعر والشعراء لابن قتيبة م ٢٧٦ هـ ، وكتاب العقد الفريد لابن عبد ربه الاندلسى م ٣٢٨ هـ ، والأمالى لأبى على القالى م ٣٥٦ هـ ، وكذلك

---

(١) ١٣ ، ١٤ شرح أدب الكاتب للجواليقى ، ٢٧ من شفاء الغليل للشهاب الخفاجى ط ١٢٨٢ هـ

(٢) ٤٨٩ المقدمة ط ١٩٣٠ بالمطبعة الأزهرية

الأغانى لأبى الفرج الأصفهانى م ٣٥٦ هـ ، وسواها من أصول كتب الأدب ومصادره الأولى . وكان الذين يقومون بدراسة الأدب يسمون « المؤدبين » إلى أن كان القرن الرابع الهجرى وانتشرت العجمة وضعفت العصبية العربية فانتهى عهد المؤدبين حتى قيل : ختم تاريخ الأدب بالمبردم م ٢٨٥ هـ وثعلب م ٢٩١ هـ(١) وصار لفظ الأديب يطلق على الشاعر أو الكاتب أو الناقد فحسب ، وأصبح الأدب يدل كما قدمنا حتى اليوم على الجيد من الكلام المأثور شعرا ونثرا وما يحتاج اليه من التفسير وتبيين مافيه من مظاهر الجمال أو القبح؛ وأصبح النحوى أو العالم بأصول البلاغة أو بأوزان الشعر وقوافيه لايستطيع أن يسمى نفسه أديبا(٢)

والخلاصة أن :

١ — كلمة أدب وردت فى نصوص جاهلية واسلامية بمعنى الخلق الكريم

٢ — وأنها وردت فى العصر الأموى بمعنى الخلق الكريم ، والتعليم والتثقيف اللذين يقودان إلى الكريم الفاضل من الأخلاق ، ثم استعملت فى رواية النثر والشعر لأنهما يدعوان إلى الفضائل ومكارم الأخلاق

٣ — وأنها فى العصر العباسى استعملت بمعنى التعليم أيضا ، وأصبحت فيه كلمة أدب تطلق على : رواية الشعر وما يتصل به من الأخبار والانساب وعلوم اللغة والعربية وعلى تعليمها ، ثم استقلت هذه العلوم فأصبح الأدب

---

(١) راجع ٥/١٢٢ معجم الادباء فريد رفاعى

(٢) وذلك بعد أن كان اسم النحوى مرادفا لاسم الأديب حتى أن بعض العلماء قد ألف فى تراجم النحويين كتبا سميت باسم طبقات الأدباء كما فعل ابن الانبارى فى كتابه « نزهة الألبا فى طبقات الأدبا » ولم يكن النحوى هو من عرف القواعد فحسب بل كان النحوى هو من عرف القواعد وحفظ أشعار العرب وعلل تخريجها وحفظ أيامهم وخطبهم وحكمهم ومساجلاتهم (راجع ص ٦٨ مشكلة اللغة العربية للاستاذ محمد عرفه ط ١٩٤٥)

لا يطلق إلا على الجيد المأثور من الشعر والنثر حتى العصر الحديث

* * *

ويجب أن يلاحظ مع ذلك أن كلمة أدب فى العصر العباسى كانت تطلق أحيانا عند العظماء والكبراء وحاشيتهم وعلى سبيل التجوز على مايشمل الثقافة العامة : من غناء وسمر ، وحسن أدب المنادمة والحديث وخدمة الخلفاء والملوك ، والبراعة فى الصيد وفى لعب النرد والشطرنج ، وكان الأديب يقابل لفظ المثقف . ومن هذا يمكننا أن نقول إن للأدب معنيين مختلفين : الأدب بمعناه الخاص وهو الكلام الجيد الذى يحدث فى نفس قارئه وسامعه لذة فنية شعراً كان أو نثرا ، والأدب بمعناه العام وهو مايشمل الثقافة العامة التى تكون الرجل وترقى به إلى مستوى عقلى ممتاز

* * *

هذا ولقلة اطلاع بعض المستشرقين ومن تابعهم من أدبائنا ، زعموا أن كلمة الأدب لم ترد فى نص جاهلى أو إسلامى ، ولما قيل لهم إن الحديث « أدبنى ربى » ينفى ما ذهبتم إليه ، قالوا إنه حديث ضعيف . ثم قالوا : وإذا كانت كلمة « أدب » لم ترد فى نص جاهلى أو إسلامى موثوق به وبصحة روايته ، وليست مع ذلك فى اللغة العبرية والسريانية كما يؤيده الباحثون فى اللغات فمن أين إذا اشتقت هذه الكلمة وكيف استعملت فى اللسان العربى ؟ اختلفوا فى الاجابة عن ذلك السؤال :

١ — فبعض الباحثين يذهبون إلى أن كلمة « أدب » بالفتح مأخوذة من كلمة « أدب » بسكون الدال بمعنى الدعاء يقال : أدب القوم يأدبهم أدبا : إذا دعاهم إلى المأدبة لتناول الطعام (١) ، واسم الفاعل منه « آدب (٢) » قال طرفة الشاعر الجاهلى الفحل :

---

(١) ١/٢٠٠ اللسان (٢) ١/٢٠١ اللسان

نحن فى المشتاة ندعو الجفلى لا ترى الآدب فينا ينتقر

ويجمع على « أدبة » ، ومنه قول الامام على رضى الله عنه : « أما إخواننا بنو أمية فقادة أدبة(١) » .

فقد تولدت كلمة « أدب » إذاً من كلمة أدب بمعنى الدعاء(٢) ، فالأدب يدعو إلى المحامد والآدب يدعو إلى الطعام ، وفى اللسان ما يؤيد ذلك قال ابن منظور م ٧١١ هـ فى اللسان : « والأدب : الذى يتأدب به الأديب من الناس لأنه يأدب الناس إلى المحامد وينهاهم عن المقابح(٣)

وأخذ كلمة أدب من الأدب بالسكون رأى يعوزه الحجة ، فضلا عن أن الكلمة لم تنقل بنصها وسكون دالها والمعهود استعمال الكلمة عند نقلها من معنى إلى معنى بهيئتها وشكلها (٤) .

٢ ـ ويرى الاستاذ نلينو من المستشرقين أن كلمة « أدب » مشتقة من كلمة « آداب » جمع « دأب » بعد أن دخلها القلب المكانى(٥) ، ومع مرور الزمن تنوسى الأصل وتوهم أنها جمع « أدب » .

ويضعف هذا أن « دأب » لم تجمع على آداب ، وأن هذا الرأى مجرد حدس وظن .

---

(١) ٢٠١/٢ اللسان (٢) ويذكر ذلك الجواليقى فى شرح أدب الكاتب (ص ١٣) ، كما يذكر وجها آخر لاشتقاق كلمة أدب وهو أنها مأخوذة من الأدب وهو العجب فكأنه الشىء الذى يعجب منه لحسنه ولأن صاحبه الرجل الذى يعجب منه لفضله (١٣ و ١٤ شرح أدب الكاتب)

(٣) راجع : ٢٠٠/١ اللسان . وجاء فى اللسان : الأدب : الظرف وحسن التناول (٢٠٠/١ اللسان)

(٤) وفى اللسان (٢٠١ ج ١) الادب مصدر قولك أدب القوم يأدبهم أدبا إذا دعاهم إلى طعامه والآدب الداعى إلى الطعام ، وقال سيبويه : قالوا المأدبة كما قالوا الدعاء وقيل المأدبة من الادب

(٥) ص ١٨ الأدب الجاهلى لطه حسين

٣ ـ وقيل إن كلمة « أدب » أخذت عن بعض اللهجات العربية من غير اللهجة القرشية(١) وهى لهجات كانت لا تزال موجودة فى العصر الاسلامى ثم ذاعت الكلمة بين الجميع ثم نقلت من المعنى الخلقى إلى المعنى الاصطلاحى المعروف فى العصر الأموى للمناسبة بين المعنيين ، قالوا : وهذا رأى قريب إلى العقل وهو أشبه بالصواب .

٤ ـ وهناك من الباحثين من يفرض أنها مأخوذة من لغة السومريين إذ كان معناها عندهم (إنسان) ، وبقيت فى لغة العرب كما كانت فى الأصل مرادا بها معنى الانسانية وغيرت فى اللغات السامية الأخرى من أدب إلى آدم (٢) .

وكل هذه الفروض والتأويلات ترينا مدى تخبط هؤلاء وهؤلاء .

لا . . لا . . لا

إن كلمة أدب قد وردت فى نصوص جاهلية واسلامية وأموية بنصها حينا وبمادتها حينا آخر . وإذا كان بعض اللغويين لم يروا هذه النصوص ولا هذه الكلمة عن العصر الجاهلى كابن منظور فانها مبثوثة فى كتب الأدب وسواها فارجعوا إليها أن شئتم .

ولا حاجة لنا ـ بعد وجود هذه النصوص فى الأدب الجاهلى ـ إلى أن نبنى على استنتاج لا يؤيده الدليل آراء هى من صنع الوهم والخيال .

وحسبنا ذلك الآن .

٣ — أدب اللغة :

وأدب لغة أية أمم من الأمم هو ذلك الفن البليغ من مأثور شعرها ونثرها مما يصدر عن الطباع ، ويؤثر فى النفوس ، ويثير العواطف ، ويدعو إلى

---

(١) ص ٢٠ من المرجع نفسه

(٢) راجع الفصل الاول من الباب الاول من كتاب أصول النقد الأدبى للشايب

الإعجاب والاستحسان ، وما يتصل بذلك من شرح ونقد وقصص وأخبار وأنساب وثقافة عامة تعين على فهم الآثار الأدبية وتذوقها ، ولذلك يقول ابن خلدون م ٨٠٨ هـ فى مقدمته : الأدب هو حفظ أشعار العرب وأخبارها والأخذ من كل علم بطرف(١) ، ويقول ابن قتيبة م ٢٧٦ هـ : « من أراد أن يكون عالما فيلزم فنا واحدا ، ومن أراد أن يكون أديبا فليتسع فى العلوم

وأهم مصادر الأدب العربى : البيان والتبيين للجاحظ والكامل للمبرد والأغانى للأصفهانى ، والأمالى للقالى والعقد الفريد لابن عبد ربه . وزهر الآداب للحصرى م ٤٥٣ هـ ، والمستطرف للأبشيهى من علماء القرن التاسع الهجرى وثمرات الأوراق لابن حجة الحموى م ٨٣٧ هـ وسواها من الكتب والمصادر

هذا والأدب مظهر للبلاغة ، وصورة من صور التفكير والخيال والعاطفة والاحساس والشعور والذوق والفهم والحياة ، وهو وسيلة للمصلحين والمرسلين وأصحاب الدعوات العامة ، ولا يستغنى عنه إنسان فى العصر الحديث . فالصحافى والقاضى والمحامى والنائب والوزير والأمير والكاتب والمصلح والواعظ والمرشد وغيرهم فى حاجة ماسة إلى الأدب وتأثيره وقوته فى التعبير والاقناع وإثارة المشاعر فى نفوس الجماهير والطبقات

هذا والأدب العربى من أغنى آداب الامم جميعا ، ولا يزال كما كان حافلا بأسباب القوة والبلاغة ، وعاملا كبيرا فى المجتمعات العربية وإصلاحها

تاريخ أدب اللغة

علم جديد حديث النشأة ، ابتكره الايطاليون فى القرن الثامن عشر ، وعنى به المستشرقون فى القرن التاسع عشر ، ونقله عنهم المغفور له الاستاذ

---

(١) ٤٨٨ المقدمة ط المطبعة الأزهرية . وهو مسبوق بكلام عبد الحميد الكاتب فى رسالته إلى الكتاب حيث يقول منها فى ثقافة الكاتب : « قد نظر فى كل فن من فنون العلم فأحكمه وإن لم يحكمه أخذ منه بمقدار ما يكتفى به »

حسن توفيق العدل إثر عودته من ألمانيا وقيامه بتدريسه فى دار العلوم، ثم سار على اثره جورجى زيدان فى كتابه «تاريخ آداب اللغة العربية»، ثم ألف فيه بعد ذلك عدد من فحول الأدباء من أمثال الاسكندرى فى الوسيط الذى اشترك معه فى تأليفه الشيخ مصطفى العنانى، وفى غير الوسيط من كتبه فى تاريخ الأدب التى كانت تدرس فى دار العلوم، والشيخ علام سلامه والمرحوم أستاذنا محمود مصطفى والدكتور طه حسين بك فى الأدب الجاهلى، واحمد حسن الزيات فى كتابه «تاريخ الأدب العربى»، والمغفور له مصطفى صادق الرافعى فى كتابه «تاريخ آداب لغة العرب» الذى طبع بعد وفاته فى ثلاثة أجزاء، وأصحاب المفصل بجزئيه

كان منهج أدباء العرب فى دراسة الأدب العربى ينحو نحو دراسة تراجم الأدباء والكتاب والشعراء ورواية آثارهم الأدبية ونقدها والموازنة بينها وبين غيرها من الآثار مع تدوين مأثور أدب العرب شعرا ونثرا وشرحه وتحليله ونقده والالمام ببعض أصول الأدب والشعر فى الأسلوب والطبع والروح والذوق، ومن هؤلاء: الجاحظ فى البيان والمبرد فى الكامل وابن سلام فى طبقات الشعراء وأبو الفرج فى الأغانى والقالى فى الأمالى وابن عبد ربه فى العقد والآمدى م ٣٧١ هـ فى الموازنة والقاضى الجرجانى م ٣٦٦ هـ فى الوساطة وابن رشيق م ٤٥٦ فى العمدة وأبى هلال فى الصناعتين. ومن هذه الكتب: وفيات الأعيان لابن خلكان م ٦٨١ هـ ويتيمة الدهر للثعالبى ومعجم الأدباء لياقوت م ٦٢٦ هـ ونفح الطيب للمقرى وقد تبع هذا المنهج فى العصر الحديث الشيخان: المرصفى فى الوسيلة الأدبية، وحمزة فتح الله فى المواهب الفتحية.

ولكن المستشرقين(١) استمدوا من هذه الأصول والدراسات العامة المبثوثة المفرقة فى أدبنا العربى ما أعانهم على بحث تاريخ الأدب العربى على

(١) راجع مقدمة الأدب الجاهلى ومقدمة تجديد ذكرى أبى العلاء لطه حسين بك

ضوء بحوثهم فى تاريخ آداب لغاتهم ، فأخذوا يبحثون عصور الآداب العربية وحالة اللغة والأدب فى كل عصر وحللوا المؤثرات العامة التى أثرت فى الأدب فى كل فترة من هذه الفترات نهضة أو ضعفا . وعنوا بتاريخ أعلام الأدب العربى فى الشعر والنثر والكتابة والخطابة وترجموا لهم ودرسوا آثارهم الأدبية دراسة واسعة وذكروا الخلاف بين المدارس الأدبية المختلفة وأثر كل مدرسة فى الأخرى ، والتجديد والتقليد فى هذه المدارس المنوعة ، إلى غير ذلك من من جديد الدراسات التى لم توجد بهذا اللون فى الأدب العربى القديم والتى لا تعد دراسات العمدة والمثل السائر وفهرست ابن النديم بجانبها شيئا مذكورا وسميت هذه الدراسات « علم تاريخ أدب اللغة العربية » .

فهذا العلم جديد إذا ، وهو يبحث فى أحوال اللغة نثرها ونظمها فى شتى العصور المختلفة ، وفى المؤثرات العامة فى الأدب العربى فى كل عصر ضعفا وقوة ، وعما كان لأعلام الأدب العربى من الأثر فيه وفى اللغة ، وعن حياتهم وتحليل أدبهم ونقده .

ولهذا العلم منزلة كبيرة فى دراسات الأدب فى العصر الحديث : فهو يوقفنا على الأسباب الأولى التى أثرت فى الأدب العربى ارتقاء وضعفا فى شتى العصور ، ويعرض علينا الآثار الأدبية لكل عصر حتى لنكاد نلمس سمات كل عصر فى التعبير والبيان ونقف على الفروق بين الأدب العربى وأساليبه فى كل منها ، وهو فوق ذلك لا ينسى أعلام الأدب ورجاله فيؤرخ حياتهم ويدرس آثارهم ويحيى ذكرهم على مر الأجيال

علاقة تاريخ الأدب بالتاريخ العام

والتاريخ الأدبى لأداب أمة من الأمم شديد الصلة بتاريخها الاجتماعى والسياسى :

١ — فهو يؤرخ حياة الأمم الأدبية والفكرية والخلقية .

٢ — ويعين المؤرخ السياسى فى فهم حقائق التاريخ وحالة الأمة التى يريد تدوين تاريخها العام . وإذا كان التاريخ الأدبى مؤثرا فى التاريخ العام فلا شك أنه يتأثر به إلى حد كبير أيضا ، فليس من السهل دراسة أدب الأمة إلا بعد دراسة تاريخها السياسى وأثره فى حياتها الأدبية ؛ وليس من السهل دراسة الأدباء من شعراء وكتاب ، إلا بعد دراسة عصورهم التى نشأوا فيها ، وأثر بيئاتهم وأحوال مجتمعاتهم فى حياتهم العامة والخاصة ، فضلا عن أن الاحداث السياسية الكبرى هى التى تؤثر فى حالة الأدب وحياته وضعفه أوقوته . فكلا التاريخين فى الحقيقة متأثر بصاحبه مؤثر فيه .

تقسيمه إلى عصور

وتاريخ أدب اللغة العربية يمكنك أن تقسمه إلى عصور متعددة ، تختلف حالة الأدب العربى فى كل عصر منها عن حالته فى الآخر اختلافا واضحا ، لاختلاف الحياه السياسية فى هذا العصر عنها فى العصر الذى يليه أو الذى قبله وهذه العصور هى :

١ — العصر الجاهلى : يبتدىء باستقلال العدنانيين عن اليمنيين فى منتصف القرن الخامس للميلاد ، وينتهى بظهور الاسلام سنة ٦٢٢ م

٢ — العصر الاسلامى : ويبتدىء بظهور الاسلام وينتهى بقيام الدولة العباسية سنة ١٣١ هـ . وبعض الباحثين يقسم هذا العصر إلى قسمين :

ا ـ عصر صدر الاسلام : من ظهور الاسلام حتى قيام الدولة الأموية عام ٤١ هـ .

ب ـ العصر الأموى : من عام ٤١ إلى سقوط الدولة الأموية عام ١٣١ هـ

٣ — العصر العباسى : ويبتدىء بقيام الدولة العباسية عام ١٣١ هـ وينتهى بسقوطها على أيدى التتار عام ٦٥٦ هـ

٤ — العصر التركى : ويبتدىء بسقوط بغداد عام ٦٥٦ هـ وينتهى بحكم محمد على باشا مصر عام ١٢٢٠ هـ .

٥ — عصر النهضة الحديثة . من قيام حكم محمد على باشا عام ١٢٢٠ هـ حتى يومنا هذا .

ولعل من الجدير بالذكر أن ننوه هنا بأن الحياة الأدبية فى أول عصر من العصور لا تكاد تختلف عما فى نهاية العصر الذى قبله فى كثير ، ذلك أن حياة الأمة وحالتها الاجتماعية والخلقية والعقلية والفكرية لا تتغير إلا ببطء وبعد مدة كبيرة تؤثر فيها عوامل التغيير السياسى الجديد أثرها وتعمل عملها ، وفى بدء الانقلاب السياسى لا تكاد تشعر بفارق كبير بين الحياة الأدبية التى توجد فى بدء الانقلاب وبينها قبيل الانقلاب ، فإذا مامضى الزمن وسارت الأيام ظهر أثر هذا التغيير السياسى الجديد فى حياة الأمة وتفكيرها وتراثها الأدبى بجميع فنونه وألوانه .

* * *

هذا والمؤثرات السياسية ليست وحدها هى العامل الرئيسى فى التغيرات الأدبية ، بل هناك عوامل كثيرة أخرى منها : نفس الأقليم الذى تعيش فيه الأمة ، ونوع الحضارة التى تحيا فى ظلالها ، ومقدار الثقافة التى تشيع فيها ، ومنها الدين الذى هو قوام الحياة النفسية والوجدانية للشعوب ومنها مدى الاتصال بين هذا الشعب والشعوب الأخرى التى تجاوره أو البعيدة عنه ، ومنها استعداد الأمة الفطرى الذى يلون ملكاتها العامة بألوان خاصة متمايزة إلى غير ذلك من شتى المؤثرات فى الحياة الأدبية

ومن ذلك نعلم أن الحياة السياسية لا يستلزم تحسنها نهضة الأدب والشعر فى أى أمة من الأمة بل قد تسوء الحياة السياسية ومع ذلك ترتقى الآداب وتنهض كما حدث فى القرن الرابع الهجرى فقد ارتقت الحياة الأدبية إلى حد كبير بتشجيع الملوك والأمراء للأدب والشعر واللغة .

الباب الاول

المؤثرات العـــامة

فى الادب الجاهلى

١ ـ يتأثر الأدب عامة فى شتى العصور بمؤثرات كثيرة، أهمها : البيئة، والدين ، وحياة الأمة السياسية ، ومقدار حظها من البداوة أو الحضارة ، وما يؤثر فى عقول أبنائها من ثقافة ومعرفة ، ومدى ما بينها وبين غيرها من الامم المختلفة من اتصال وعلاقة ، وفطرة الأمة نفسها وما تدفعها إليه هذه الفطرة من اتجاهات وأهداف

٢ ـ وقد كانت هناك عوامل كثيرة تؤثر فى الأدب الجاهلى ، منها هذه البيئة العربية ، وحياة العرب السياسية والاجتماعية والدينية . ومعارفهم العامة ، ومدى اتصالهم بغيرهم من الأمم والشعوب ، ومنها هذه اللغة العربية نفسها إلى غير ذلك مما سنلمّ به فى هذا الباب فى شىء من التفصيل .

العـــرب

موطنها ـ أصلها ـ أقسامها ـ مشهورات قبائلها

موطن العـــرب

وصف الجزيرة العربية

١ ـ والعرب هم سكان الجزيرة العربية . وتطلق على هذه البقعة اسم « جزيرة » مع أن الماء لا يحيط بها من كل حدودها . فبينما تجد أنه يحيط بها من الغرب بحر القلزم « البحر الأحمر » ، ومن الجنوب بحر الهند أو بحر العرب « المحيط الهندى » ، ومن الشرق بحر عمان وفارس ونهر الفرات ، تجد حدودها من الشمال أرضا متسعة شاسعة تشمل الجزيرة وبلاد الشام وفلسطين مما هو خارج عن شبه الجزيرة ، وإن كان العرب قد سكنوا قبل الاسلام جزء كبيرا من سوريا والجزيرة وأرض فلسطين

٢ ـ تنقسم شبه جزيرة العرب إلى خمسة أقسام هى : تهامة . ونجد والحجاز . واليمن . والعروض

تهامة : هى الجزء الواقع غرب جبل السراة الذى يقسم شبه الجزيرة من الجنوب (اليمن) إلى الشمال (الشام) قسمين :

وهى أرض منخفضة ، وتسمى الغور ، وتمتد على شاطىء البحر الاحمر ، وسموها تهامة لشدة حرها وركود ريحها ، من التهم وهو شدة الحر وركود الريح . ويسمى جبل السراة الحجاز لأنه حجز بين تهامة الواقعة غربيه وبين نجد الواقعه شرقيه ، ومن ذلك يقال أغار وأنجد وأتهم .

وتهامة أقسام : تهامة اليمن ، وتهامة الحجاز

وأما نجد : فهى الواقعة شرقى جبل السراة من أدنى حدود اليمن جنوبا إلى السماوة شمالا وتنتهى من الشرق إلى العروض ، وسميت نجدا لارتفاع أرضها .

وتقع اليمن جنوبى نجد إلى ساحل بحر الهند وتمتد شرقا إلى حضرموت والشحر وعمان . وتشمل قسما من تهامة وقسما من نجد

وأما العروض : فتشمل اليمامة والبحرين وما والاها وفيها مرتفعات ومنخفضات ومسايل أودية . وسميت عروضا لاعتراضها بين اليمن ونجد والعراق .

* * *

٣ - وأرض شبه الجزيرة كثيرة الجبال الجرداء المختلفة اللون ومنها الحرار جمع حرَّة ، وهى الجبال السوداء اللون . يتخلل هذه الجبال : بعض الأودية التى تجرى فيها السيول أحيانا ، والصحارى الواسعة الكبيرة .

وأشهر الأودية بشبه الجزيرة وادى الدهناء بنجد ، وهو فى مواطن تميم بالقرب من البصرة .

وتكثر فى بلادالين الأودية والرياض(١) . من حيث تقل فى الحجاز ، فيعتمد أهله على العيون أو ماء المطر الذى ينبت الكلا فى بعض الاراضى القريبة من الأودية . ولعدم نزول المطر فى مواعيد منظمة تعذر على العرب المكث فى مكان واحد ، ومن أجل ذلك أكثروا الرحلة والانتجاع لمواقع الماء ومنابت الكلأ والعشب .

٤ - وجو شبه الجزيرة شديد الحرارة فى تهامة مع رطوبة شواطئها الواقعة على « البحر الاحمر » ، شديدها أيضا فى الجبال صيفا وان اشتد البرد

---

(١) هى المواضع التى يستنقع فيها الماء

بالجبال شتاء . أما نجد فمعتدلة الهواء ، وحول الأودية أكثر ، لارتفاعها ووجود بعض الأودية والأعشاب والحشائش والمزروعات بها . وأما اليمن فمعتدلة شتاء ، شديدة الحرارة صيفا ، ينزل بها المطر بغزارة فى الربيع . وأطيب الرياح بشبه الجزيرة ريح الصبا ، وأشدها حرارة ريح السموم .

٥ — أهم مدن الحجاز : مكة وتقيم بها قريش وكنانة وبجنوبها هذيل . والمدينة وبها الأوس والخزرج وهم الانصار وبنو قريظة والنضير وقينقاع من اليهود وشمالها فدك وخيبر . وبمحاذاة فدك وادى القرى ويقول جميل

ألا ليت شعرى هل أبيتن ليلة
بوادى القرى إنى إذاً لسعيد

ومن مدنه كذلك الطائف وتسكنها ثقيف وهى فى الجنوب الشرقى لمكة ويقع شرقها سوق عكاظ ، وهى خصبة جيدة الجو والهواء تزرع بها الفاكهة . وتقع جدة على البحر الأحمر فى امتداد مكة ، كما تقع ينبع عليه فى امتداد المدينة .

وأشهر مدن اليمن نجران شمالا وقد اعتنق سكانها النصرانية ، واراد ذو نواس ارغامهم على اليهودية فأبوا فأحرقهم فى الأخدود الذى ورد ذكره فى القرآن الكريم « قتل أصحاب الأخدود » ، وبنجران بنى أبرهة معبدا كبيرا ليصرف العرب عن الكعبة إليه ولكنه أخفق فيما أراد . ومن مدن اليمن : مأرب أو سبأ وكان فى الجنوب الغربى منها السد الذى خربه سيل العرم عام ١٢٠ ق م وفيه يقول الأعشى :

وفى ذاك للمؤتسى أسوةٌ ومأرب عفّى عليها العَرِمْ
رُخامٌ بنته لهم حِمير إذا جاءَ مَوّارُه لم يَرِمْ
فأروى الزروع وأعنابها على سعة ماؤُهم إذْ قُسِم
فصاروا أيادِيَ ما يقدرو ن منه على شربِ طفلٍ فطِمْ

ومن مدنها صنعاء وهى حاضرتها حتى اليوم ، وبها قصر غمدان وفى جنوبها خرائب مدينة « ظفار » حاضرة الحميريين . وفى المثل « من دخل ظفار حمر » أى تكلم باللغة الحميرية . وتشمل اليمن : حضر موت ، وَمَهرة والشحر ، وشمال حضر موت الأحقاف مساكن عاد « واذكر أخا عاد إذ أنذر قومه بالاحقاف » ، والى مهرة تنسب الابل المهرية وقيل ان نسبتها إلى مهرة حى من قضاعة من عرب اليمن ولغة المهريين حميرية مستعجمة لا تكاد تفهم . وأهم القبائل باليمن : همدان وكان لها فى الجاهلية صَنمان يغوث ويعوق . وكذلك مذحج ومراد . والحضارمة ذو نشاط فى التجارة والرحلة

وبنجد مدينة الرياض ، ومن جبالها أجأ وسلمى جبلا طيء . وبها كثير من القبائل العربية المشهورة كطيء وتميم وبكر وتغلب وقيس عيلان وغطفان ، ونجد إقليم صحراوى تكثر بها الدارات (الواحات) والأودية وجوها معتدل طيب الهواء ، وقد أشاد بها وبجوها الشعراء ،قال الشاعر :

تمتع من شميم عرار نجد فما بعد العشية من عرار

الا يا حبذا نفحات نجد وريا روضه بعد القطار(١)

ولابن الصمة :

قفا وَدعا نجدا ومن حل بالحمى وقل لنجد عندنا أن يودعا

بنفسى تلك الارض ما أطيب الربا وما أحسن المصطاف والمتربعا

وأما العروض فتنتظم اليمامة والبحرين وعمان

أما عمان فقطر جبلى على شاطىء البحر فى الجنوب الشرقى للجزيرة وقد اشتهر أهله بالملاحة . وكان يسكنها قوم من طيء من أشهرهم قبيلة نبهان ، واليمامة فى الداخل وتنسب اليها زرقاء اليمامة ، وتقع فى الجنوب الشرقى لنجد وكانت مسكنا لطسم وجديس . والجزء الممتد فى شرق الجزيرة

---

(١) العرار : نبت طيب الرائحة . القطار جمع قطر جمع قطرة

إلى حدود العراق على بحر فارس يسمى البحرين ومن أشهر مدنه : هَجَر وتشتهر بالتمر وفى المثل : كناقل التمر إلى هجر . وخربها القرامطة وبنوا مكانها الاحساء ، ومن مدنه كذلك قطر

واشتهر أهلها بالغوص على اللؤلؤ . وقد كان يسكن البحرين قبائل من عبد القيس وتميم .

أصل العرب

العرب إحدى الأمم السامية التى تنتسب إلى سام بن نوح . ومن الأمم الساميةالبابليون والاشوريون والسبئيون والآراميون والانباط والأحباش والعبرانيون والفينيقيون .

وقد اعتمد العالم ايشهورن م ١٨٢٧ هـ هذا التقسيم وأقره وحشر هذه الشعوب كلها فى زمرة واحدة .

وقد استخلصت هذه التسمية « السامية » من التوراة (١)

فمجموعة الامم التى كانت تقطن بلاد آسيا الدنيا هى التى كانت تكون هذه الوحدة الدموية واللغوية المستقلة .

ولكن هل كان لجميع الأمم السامية موطن واحد ومهد أصلى نشأت كلها فيه ثم تفرعت عنه وانتشرت فى أنحاء المعمورة (٢) ؟

لم يتفق الباحثون من المستشرقين بعد على شىء فى ذلك . فبعضهم يقول بالايجاب ، وبعضهم يجيب بالنفى ، والذين يقولون انه كان للأمم السامية

---

(١) سفر التكوين الاصحاح العاشر

(٢) راجع : كتاب « اتجاه الموجات البشرية لمحب الدين الخطيب ، وفى مجلة الرسالة عام ١٩٣٦ بحث لكاتب فى أصل الحضارة العربية وهل نشأت فى الجزيرة العربيه أو فى العراق أو الحبشة ثم انتقلت اليهـا ، وكتاب تاريخ اللغات السامية .

موطن أصلى واحد يزعم بعضهم أن المهد الأصلى للساميين هو أرض أرمينية بالقرب من حدود كردستان . والتوراة تؤيد أن هذا المهد الأصلى هو أرض بابل ، ويؤيد ذلك المستشرق الايطالى جويدى . والبعض يرون أن مهد الساميين هو جزيرة العرب ، وآخرون يرونه فى الحبشة . ومن الذين ينفون هذا الموطن الأصلى المشترك للساميين نولدكه ويؤيد رأيه باختلاف مسميات المشاهدات الأولى — من جبل وشجر وحيوان ونبات — فى جميع اللغات السامية

ومهما يكن فأقدم الهجرات السامية كانت هجرة سكان الجزيرة الذين اتجهوا نحو بابل وأسسوا لهم ملكا كبيرا فى وادى الفرات

الشعوب العربية

يجتمع رأى المؤرخين على أن العرب طبقتان :

ا ـ الطبقة الأولى وقد بادت وتلاشت وتسمى العرب البائدة أو العاربة وقد درست آثارهم وأخبارهم إلا القليل ، والمشهور منهم قبيلة عاد وكانت بلادها الأحقاف بين اليمن وعمان من البحرين إلى حضرموت والشحر ، وقبيلة ثمود وكانت منازلهم بالحجر ووادى القرى بين الحجاز والشام وكانوا ينحتون بيوتهم من الجبال ، وغيرهاتين القبيلتين : كالعمالقة، وطسم بالأحقاف ، وجديس . ويزعم بعض الباحثين أن الحموراببين من العرب البائدة وهو خطأ فى البحث والرأى .

ب ـ والطبقة الثانية : التى بقيت آثارها وأخبارها هى أولاد قحطان الذى يسمى فى التوراة باسم يارح بن يقطان وأبوهم يعرب بن قحطان أول من نطق بالعربية من هذا الجيل ، ويزعم العرب أنه أصل لسانهم وبذلك يفتخر حسان فى قوله :

تعلمتم من منطق الشيخ يعرب أبينا فصرتم معربين ذوى نكر
وكنتم قديما ما لكم غير عجمة كلام وكنتم كالبهائم فى القفر

وقد سكنوا اليمن بعد المعينيين مهاجرين اليها من بابل أو الحبشة . وهذه الطبقة فرعان :

١ — العرب المتعربة وقد ورثوا صفات العرب القديمة . وهم السبئيون والحميريون .

٢ — العرب المستعربة وهم عرب الشمال أو الاسماعيلية أو العدنانية الذين استفادوا اللغة من عرب الجنوب ، ونقلوا العادات والأخلاق عنهم بمصاهرة اسماعيل لقبيلة جرهم الثانية اليمنية التى نزحت من الجنوب إلى الشمال وهى غير جرهم الأولى إحدى القبائل البائدة . والعدنانيون أهل الحجاز وأصحاب اللغة الفصحى ومظهر المدنية العربية إلى يومنا هذا . أما أهل الجنوب من ولد قحطان فقد بادت دولهم وطويت صحائفهم قبل البعث بعدة قرون ، ومن بقى منهم اندمج فى عرب الشمال .

وينتهى نسب العدنانيين إلى اسماعيل عليه السلام الذى هاجر به أبوه ابراهيم إلى مكة بواد غير ذى زرع هو وأمه هاجر المصرية وتزوج من جرهم ثم كثر أولاده واستقلوا بهذه البلاد وطردوا منها الجرهميين ، وأصبحوا عنصرا جديدا يخالف فى الحياة والتقاليد واللغة عنصر القحطانيين .

ويبدأ تاريخ العدنانيين منذ القرن التاسع عشر قبل الميلاد . وسلسلة نسبهم إلى عدنان — من ذرية اسماعيل — معروفة أما ما بين عدنان واسماعيل فيختلف فيه علماء الأنساب اختلافا كبيرا .

القبائل العربية (١)

أولا :

القبائل القحطانية :

---

(١) راجع فى هذا :

ا — كتب التاريخ كابن خلدون والطبرى والكامل لابن الاثير وسواها

ب — « الأنساب وهى كثيرة لا يحصيها العد

قحطان(١) هو الجد الأول للقبائل القحطانية ، وأبوهم هو يعرب بن قحطان وكان مهد شعب قحطان هو اليمن . وأشهر قبائلهم : كهلان وحمير .

أما كهلان : فكان لهم ملك باليمن حيث شاركوا الحميريين فى ملك هذه البلاد ، ثم انفرد الحميريون بالملك وصارت بطون كهلان تحت إمرتهم ونفوذهم ثم تضاءل ملك حمير وبقيت الرياسة على العرب بالبادية لبنى كهلان .

ومن بطون كهلان : « الأزد » ومنها : الأوس والخزرج سكان المدينة ، وغسان ملوك الشام . و « طىء » وكانت منازلهم باليمن ثم هاجروا منها بعد سيل العرم وأقاموا بنجد بجبلى أجأ وسلمى(٢) ، و « كندة » باليمن ونجد ،

= جـ — كتب الأدب : ومن أهمها : العقد الفريد (٢٠٨ - ٢٦٣ / ٢ العقد ط التجارية ١٩٣٥)

ملاحظة

قال ابن الكلبى : الشعب أكبر من القبيلة ثم العمارة ثم البطن ثم الفخذ ثم العشيرة ثم الفصيلة ، والفصيلة . هى أهل بيت الرجل خاصة ، والعشيرة . هى رهط الرجل . وقال غيره : الشعوب العجم والقبائل العرب (راجع ٢٢٣ جـ ٢ العقد ط ١٩٣٥ - وراجع ١١٢ الشهاب الراصد للطفى جمعه ط ١٩٢٦ - والأحكام السلطانية للماوردى ص ٣٥٣ بون ط ١٨٥٣ ، ولسان العرب مادة فخذ ، وبلوغ الارب ٣/١٩٠ وما بعدها)

(١) راجع أنساب اليمن فى العقد (٢٤٢ / ٢ ط ١٩٣٥) . وفى كتاب تاريخ سنى الملوك لحمزة الأصفهانى تفصيل لتاريخهم وأنسابهم

(٢) يقعان فى الشمال الشرقى للمدينة ويخترقهما وادى الدهناء . ولمناعتهما عاش بنو طىء فى عز ومنعة قال شاعرهم عارق الطائى :

ومن مبلغ عمر بن هند رسالة ... إذا استحقبتها العيس تنضى من البعد
ايوعدنى والرمل بينى وبينه ... تأمل رويدا ما أمامة من هند ؟
ومن أجأ حولى رعان كأنها ... قبائل خيل من كميت ومن ورد

« وبجيلة » و « لخم » و « عاملة » شمالى الشام ، و « مذحج » باليمن ومراد وهمدان بها أيضا ، و « جذام » على خليج العقبة .

وأما حمير : فكانت بلادهم مشارف اليمن فظفار وما حولها . ومن قبائلهم : « قضاعة » ، وكان قضاعة مالكا لبلاد الشحر وقبره موجود بجبل الشحر واليه نسبت القبيلة . ويزعم بعض النسابين أن قضاعة من القبائل العدنانية وهذا خطأ واضح . وانقسمت قضاعة إلى بطون من أشهرها : « بلى » شمالى الحجاز و « وجهينة » كذلك « وعذرة » جنوب الحجاز و « تنوخ » قرب المعرة .

* * *

هذا وكان اليمنيون يسمون مقاماتهم باليمن مخاليف جمع مخلاف ، ويضاف إلى اسم القبيلة التى تسكنه .

وقد أثر فى حياتهم الاجتماعية والسياسية سيل العرم تأثيرا كبيرا . فقد كانوا بنوا فى مأرب سدا كبيرا بمثابة [الخزانات الحديثة المعروفة عندنا] وأفادوا منه فى تجميع مياه السيول والأمطار وخزنها فيه وتصريفها عنه على حسب الحاجة . ولما قلت العناية به وبالسهر عليه تصدعت جوانب هذا السد ولم يستطع مقاومة هجمات السيول المتواردة عليه والمياه الكثيرة المحجوزة خلفه فانكسر وفاضت المياه على ما أمامه من القرى والمزارع فأتلفتها وكان ذلك على ما حققه الباحثون عام ١٢٠ ق م وأدى ذلك إلى هجرة أهل الجنوب إلى الشمال .

ثانيا :

العدنانيون أو الاسماعيليون أو الحجازيون أو عرب أهل الشمال :

ينتهى نسبهم إلى اسماعيل بن ابراهيم الذى نزل مكة وجاور جرهم وصاهرهم وبنى هو وأبوه ابراهيم البيت الحرام ، ثم تناسل أبناؤه وكان منهم عدنان وولده ، ومن عدنان تبتدىء سلسلة نسب العدنانيين المعروفة .

وقد انقسمت القبائل العدنانية من نزار بن معد بن عدنان . ومن بطونه : إياد وربيعة ومضر وأنمار . وأشهرهم وأكثرهم ربيعة ومضر .

أما ربيعة فمنها قبائل كثيرة لها شهرة وذكر عظيم فى تاريخ العرب حيث كانوا يناوئون مضر فى الشرف والسيادة ومنهم كان أكثر الخوارج فى الاسلام ومن ربيعة : عبد القيس ، ومنها بكر وتغلب ابنا وائل ، ومن بكر حنيفة وعجل ابنا لجيم .

وأما مضر (١) فانقسمت إلى جذمين كبيرين :

١ — قيس عيلان بن مضر . ولها بطون كثيرة أشهرها : سليم وهوازن وغطفان . وعبس وذبيان ، وأشجع ، وعدوان ، وغنى ، ومن قيس : عامر بن صعصعة ومنه تفرعت بطون كثيرة .

٢ — الياس بن مضر وقد تشعبت منه بطون كثيرة منها . تميم بن مر ، وهذيل بن مدركة ، وبنو أسد بن خزيمة وبطون كنانة بن خزيمة . ومن كنانة قريش وهم أولاد فهر بن مالك بن النضر بن كنانة .

وانقسمت قريش إلى قبائل كثيرة أشهرها : جمح ، وسهم ، وعدى ، ومخزوم ، وتيم ، وزهرة بن كلاب ، وعبد الدار بن قصى ، وأسد بن عبد العزى بن قصى ، وعبد مناف بن قصى .

وكان من عبد مناف أربع فصائل : عبد شمس ، ونوفل ، وعبد المطلب ، وهاشم . وبيت هاشم هو الذى كان منه سيدنا محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم صلوات الله عليه ؛ ومنه العباسيون أولاد عباس بن عبد المطلب . واما الأمويون فليسوا من بنى هاشم وإنما هم من بنى عبد شمس أخيه

---

(١) ويمجد مضر يفتخرهم شاعرهم ويقول .

إذا مضر الحمراء كانت أرومتى وقام بنصرى خازم وابن خازم

عطست بأنف شامخ وتناولت يداى الثريا قاعدا غير قائم

وبالجملة فمهد شعب عدنان مكة وما جاورها من أرض الحجاز وتهامة . ولما تكاثرت أولاد عدنان هاجروا إلى بلاد كثيرة .

فهاجرت عبد القيس - من ربيعة - وبطون من بكر بن وائل إلى البحرين وكان معهم بطون من تميم ومنهم كان أمير هذه الجهة من قبل الفرس حين مجيء الاسلام وهو المنذر بن ساوى التميمى .

وهاجرت بنو حنيفة - من بكر - إلى اليمامة ونزلوا بحجر حاضرتها وكان أميرهم حين مجيء الاسلام هو هوذة الحنفى وفيه يقول الأعشى :

من يَرَ هوذة يسجد غيرَ متئب إذا تعمَّم فوق التاج أو وضعا

له أكاليل بالياقوت فصلها صوَّاغُها . لاترى عيبا ولاطبعا

وأقامت سائر بكر بن وائل ما بين اليمامة والبحرين حتى أطراف سواد العراق

وأقامت تغلب بالجزيرة الفراتية . وسكنت بنو تميم ببادية البصرة . وأقامت بنو سليم بالقرب من المدينة . وسكنت ثقيف بالطائف . وهوازن فى شرقى مكة . وبنو أسد شرقى تيماء وغربى الكوفة وأقام بمكة وضواحيها بطون قريش .

حياة العرب الاجتماعية والسياسية والدينية

حياتهم الاجتماعية :

١ ـ العرب بدو وحضر : فالبدو هم الذين يقيمون بالبادية ، والحضر هم سكان المدن .

وكان بالجزيرة العربية مدن كثيرة أكثرها ببلاد اليمن : كمأرب وصنعاء وزبيد وعدن . ومن أشهر مدن الجزيرة العربية : مكة والمدينة والطائف .

وفرق كبير بين حياة البدو وحياة الحضر :

فالبدو قوم رحل ، يرتادون منابت الكلأ ومواقع الغيث ، لا ستقر بهم مقام ، يرحلون بأغنامهم وأنعامهم إلى حيث تطيب لهم الاقامة حينا ، غذاؤهم لحوم أنعامهم وألبانها ولباسهم من أصوافها وأوبارها ، وحياتهم كفاف وقناعة . اللبن والتمر واللحم هى مأكولاتهم ، ومن أجل هذا الفقر والشقاء كثرت بينهم الغارات والحروب ، يأبون أن يكونوا أصحاب حرفة ويرون فى ذلك عارا كبيرا . أهم ما يفتخرون به البطولة والقـــوة على النضال والنزال .

أما أهل المـدن فعيشتهم مستقرة ، يعتمدون على الزراعة والصناعة فى اليمن أو على التجارة فى الحجاز ، يأوون إلى بيوت ومساكن ، ويعيشون فى ظل أمن وسلام غالبا وكانوا أقل شجاعة وأشد حبا للمال وأكثر توفرا على وسائل الترف والنعيم . وكان اليمنيون أمعن فى الحضارة وقد نقل المؤرخون كثيرا من أحوالهم يدل على افراط فى الترف من النسيج الفاخر وأطباق الذهب والفضة وتزيين قصـور أغنيائهم بأنواع الزينة ، وقد أوصلهم إلى ذلك كثرة الأموال فى أيديهم من طريق التجارة والزراعة .

وكان أكثر الحجازيين تحضرا قريش فى مكة فقد أغنتهم التجارة ومن يأوى اليهم من الحجاج فنعموا بما لم ينعم به غيرهم من سكان الحجاز .

٢ — والقبيلة هى الوحدة التى بنيت عليها حياتهم وأفرادالقبيلة ينتسبون إلى أب واحد (١) وقلّ أن ينتسب اليها من لم يشاركها فى نسبها إلا عن طريق الحِلف (٢) أوالولاء .

والقبيلة تسمى غالبا باسم الأب كربيعةومضر والأوس والخزرج ، وقليلا ماتنتسب إلى الأم كحندف وبجيلة ، وقد تعرف القبيلة بحادث حدث كغسان وهو اسم للماء الذى نزلت به هذه القبيلة . ولكن الكثير الذائع نسبة القبيلة إلى الأب .

ويسود أفراد القبيلة العصبية والتناصر والتعاون ، وكل فرد يتعصب لقبيلته أصابت أم أخطأت :

وماأنا إلا من « غَزية » إن غوت

غويت وان ترشد غَزية أرشد

والقبيلة تحميه من العدوان وتطالب بدمه ان جنى أحدعليه ؛ وإذاخرج فرد منها على تقاليد القبيلة أو جر عليها المغارم تخلت عنه وأعلنت براءتها منه وسمى « خليعا » . وقد يلتجىء فرد إلى غير قبيلته فيسمى « حليفا » .

---

(١) ١٢٠ / ٣ المخصص .

(٢) وكما كان الفرد يصير حليفا لقبيلة غير قبيلته فقد كانت القبيلة تحالف قبيلة أخرى تحتمى بها ، وإن بقيت بعض القبائل معتزة بعصبيتها متجمرة بنفسها لاتحالف غيرها ، وجمرات العرب ثلاثة : ضبة ونمير وعبس ، والبعض يزيدرابعة وهى بنو الحارث بن عبدالمدان .

ولكل قبيلة رئيس هو سيدها ومرجعها وملاذها فى الشدائد (١) ؛ ولها شاعر أو أكثر يتغنى بمفاخرها وشرفها ومجدها ويذود عنها أعداءها وخصومها

وعلاقة القبيلة بالقبائل الأخرى علاقة عداء غالبا ، إغارة وسلب وحرب وانتقام وأخذ بالثار :

يغار علينا واترين فيشتفى بنا إن أصبنا ، أو نغير على وتر

قسمنا بذاك الدهر شطرين بيننا فما ينقضى إلا ونحن على شطر

وكانت القبيلة تنقسم إلى أسر ، والأسرة تخضع للأب خضوعا مطلقا فى كل شىء .

٣ — وللمرأة شأن فى الأسرة العربية . يبدأ بذكرها الشعراء قصائدهم ، ويتغنون بجمالها ويكنونها بكنيتها ، ويحترمونها ، ويفخرون بنسبتهم إلى أمهاتهم كما يفخرون بالنسبة إلى الأب ، ويستمعون لمشورة زوجاتهم ونسائهم ، وحسبك أن الحارث بن عوف أحد أشراف العرب كانت زوجته الصغيرة بنت أوس بن حارثة بن لأم الطائى هى التى أشارت عليه بأن يسعى فى الصلح بين عبس وذبيان ففعل فاستحق بذلك حمد الناس ومدح الشعراء . وكانوا يستشيرونها فى الزواج ويقبلون رأيها (٢) .

---

(١) وكان لرئيس القبيلة حق معلوم فى الغنائم ، قال الشاعر يخاطب بسطام ابن قيس سيد شيبان :

لك المرباع منا والصفايا وحكمك والنشيطة والفضول

المرباع : ربع الغنيمة . والصفايا : ما يصطفيه الرئيس لنفسه قبل القسمة ، والنشيطة : ما أصابه الرئيس فى الطريق قبل الوصول إلى دار العدو . والفضول : ما فضل من الغنيمة مما لا يقبل للقسمة على عدد الغزاة .

(٢) راجع فى ٢٠٤/٢ الأمالى أخذ عتبة بن ربيعة لرأى ابنته هند فى زواجها وكانت قد شرطت عليه ذلك ، وبرأيها وموافقتها تزوجت أبا سفيان ابن حرب .

كانوا يتزوجون ويعددون بين الأزواج كما كانوا يطلقون ، قال الأعشى

أيا جارتى بينى فانك طالقة كذاك أمور الناس غاد وطارقة

وكانوا يحبون أولادهم ويحنون عليهم :

وإنمـــا أولادنا بيننا أكبادنا تمشى على الارض

وإذا كان بعض العرب قد وأدوا البنات خشية الفقر أو العار فانما كان ذلك فى طبقة منحطة منهم فى بعض بطون من تميم وأسد . وقد كان بعض العرب يكره أن تلد امرأته بنتا (١) .

وعلاقة الرجل باخوانه من قبيلته علاقة محبة وتناصر وكما فى المثل « انصر أخاك ظالما أو مظلوما » .

ويقول الشاعر :

لا يسألون أخاهم حين يندبهم فى النائبات على ما قال برهانا

٤ — وكان يلهون بالخمر (٢) وغناء القيان والقمار ، ويصيدون الوحوش بالخيل أو بالكلاب المعلمة ، وقد قالوا إن كليب بن وائل أول من اصطاد بالفهد - ويرد فى شعرهم كثير من الأبيات يصفون فيها صيد بقر الوحش وحمار الوحش وغيرهما . والجود والكرم أهم خصائص العربى (٣).

---

(١) وفى ذلك تقول زوجة عربى ولدت بنتا فغضب زوجها وتحول إلى بيت جاره :

ما لأبى حمزة لا يأتينا يظل فى البيت الذى يلينا

غضبان ألا نلد البنينا والله ما ذلك فى أيدينا

وإنما نأخذ ما أعطينا ونحن كالأرض لزارعينا

(٢) ومن العرب من حرم الخمر على نفسه فى الجاهلية (راجع ١/٢٠٤ الأمالى)

(٣) راجع أجواد أهل الجاهلية فى العقد الفريد (١٤٥ / ١ ط ١٩٢٨) =

وكانوا يتمدحون بالمروءة والأخلاق والشرف والشجاعة والكرم والوفاء (١) .

وللكرم فى حياة العربى حظ كبير ، ومن العرب أناس اشتهروا بالجود والسخاء وصاروا مضرب الأمثال كحاتم وسواه

والأبل هى عماد الحياة فى جزيرة العرب ، وكان يعنون بالخيل للطعان والنزال

٥ ـ وأشهر صناعاتهم الغزل ، وفى المدينة والطائف واليمن قامت الزراعة وكذلك حول المياه والعيون .(٢)

= وراجع حديث حاتم وما اشتهر به من الجود والنجدة وما وقع له مع زوجته ماوية فى ذيل الأمالى ص ١٥٢ . ومن أجواد العرب : كعب بن مامة الأيادى وأوس بن حارثة بن لأم الطائى وهرم بن سنان (راجع بلوغ الأرب)

(١) وقصة وفاء السموأل معروفة ، ومن وفائهم انهم قتلوا اخاهم وفاء بعهد الجار قال الشاعر

قتلنا أخانا للوفاء بجارنا وكان ابونا قد تجير مقابره

(راجع ١/٥٩ تاريخ الامم الاسلامية للخضرى بك ط ١٩٢٦) . وكذلك قصة وفاء هانىء بين قبيصة لأمانات النعمان بن المنذر التى اودعها عنده والتى تعرض بسببها هو وقومه والعرب لحرب كسرى فى يوم ذى قار قصة معروفة مشهورة (راجع ٣/٣٧٤ من العقد الفريد ط ١٩٢٨)

(٢) والبيت الذى رواه سيبويه فى شواهده (١/٣٥٩ الكتاب لسيبويه) وهو

الا رجلا جزاه الله خيرا يدل على محصلة تبيت

يدل على أنهم كانوا يعرفون استخراج الذهب ولا شك أن ذلك كان فى اليمن إذا صح أن هذا البيت جاهلى . والمحصلة : المرأة التى تحصل الذهب من تراب المعادن وتخلصه منه وطلبها للتبييت لغرض التحصيل طبعا

وكانت التجارة دأب القرشيين الذين كانوا يغدون ويروحون فى الجزيرة العربية آمنين مطمئنين ، وكان لبنى عبد مناف رحلات إلى الشام واليمن والحبشة وفارس لأخذ العهود من ملوكها وتأمين السبل لتجار قريش (١) .

وامتدت تجارة قريش إلى اليمن والشام وكانت لهم رحلتان رحلة إلى اليمن شتاء ورحلة إلى الشام صيفا . وقد تقسم أولاد عبد مناف البلاد التى يتاجرون معها ، فكان هاشم يذهب إلى الشام ونوفل إلى فارس وعبد شمس إلى الحبشة والمطلب إلى اليمن ، ولم يكن يتعرض لهم أحد لأنهم أهل بيت الله وحماته .

وأمدت هذه الرحلات الهاشميين بثقافة واسعة وصقلت أفكارهم وأذواقهم وأسلوبهم وجعلتهم أرقى عرب الشمال فكرا وأبعدهم نظرا وأحصفهم عقلا .

حياتهم السياسية

(١) — المجتمع العربى يتحكم فيه رؤساء القبائل وساداتها ، فكل قبيلة تأتمر بأمر سيدها وتخضع لإرادته فى السلم والحرب جميعاً :

دعانا والأسنة مشرعات فكنا عند دعوته الجوابا

وهو الحكم والمرجع فى كل ما شجر بين أفرادها من خلاف . وللقبيلة بجانب رئيسها حكام امتازوا بأصالة الرأى وحصافة العقل وصدق النظر يفزع

---

(١) ١٩٩ النوادر ملحق بكتاب الأمالى . ويقول الشاعر :

يا أيها الرجل المحول رحله هلا نزلت بآل عبد مناف

الآخذون العهد من آفاقها والراحلون لرحلة الأيلاف

والخالطون غنيهم بفقيرهم حتى يكون فقيرهم كالكافى

اليهم فى الخصومات الأدبية كالمفاخرة فى النسب ونحوها (١) .

وهذا النظام هو الذى كانت تسير عليه أغلبية العرب من البدو فى نجد والحجاز وتهامة . ويستثنى من ذلك مكة والامارات التى على التخوم واليمن .

(٢) — والقرشيون لثرائهم من التجارة ، ولاتصالهم بالأمم المتحضرة كفارس والروم ، ولنضوج عقليتهم وثقافتهم وتفكيرهم ، كانوا يحكمون مكة حكما أدق وأنضج من هذا النظام البدوى السائد ، وقد وضع قصى فى القرن الخامس الميلادى أساس هذا النظام الجديد ، فقد جمع شتات القرشيين ووحد كلمتهم وأخذ ولاية البيت الحرام وجدد بناء الكعبة وبنى دار الندوة ليجتمع فيها الرؤساء الذين لا تقل أعمارهم عن الأربعين ليتشاوروا ويعقدوا أنكحتهم وألويتهم ويفصلوا فى خصوماتهم .

وأصبح لقصى السيادة التامة فى مكة ، كما صار الرئيس الدينى للبيت ؛ وكان له رئاسة دار الندوة ، واللواء فلا تعقد راية الحرب الا بيده ، والحجابة وهى حجابة الكعبة لا يفتح بابها إلا هو وهو الذى يلى أمر خدمتها ، وسقاية الحاج ورفادته ، والسقاية هى الحياض التى كانوا يملأونها بالماء ويحلونها بشىء من التمر والزبيب ليشرب منها الناس إذا وردوا مكة ، والرفادة هى الطعام الذى كان يصنع للحجاج على سبيل الضيافة ، وكانت قريش تساعد قصيا على ذلك بما تقدمه من خرج سنوى .

وورث أولاد قصى هذه المآثر والمفاخر ، وتنافسوا عليها ، ثم استقر رأيهم على اقتسامها بينهم (٢) :

١ — فكانت السقاية فى بنى هاشم ويقوم بها العباس بن عبد المطلب .

٢ — والعُقاب — راية قريش — كانت فى بنى أمية عند أبى سفيان بن حرب

---

(١) وكان عمرو بن حممة الدوسى أحد حكام العرب (راجع ٢/١٤٣ الأمالى)

(٢) راجع العقد الفريد ، ١/٢٤٩ بلوغ الأرب

واذا كانت عند رجل أخرجها إذا حميت الحرب فاذا اجتمعت قريش على أحد أعطوه العقاب وإلا رأسوا صاحبها فقدموه .

٣ — والرفادة كانت فى نوفل عند الحرث بن عامر ، والرفادة هى ما كانت تخرجه من أموالها وترفد به منقطع الحاج .

٤ — والسدانة لبنى عبد الدار يقوم بها الحرث بن طلحة وكان اليه السدانة مع الحجابة . والسدانة خدمة الكعبة وحجابتها وبيد صاحبها مفتاح الكعبة ولها المقام الأول عندهم .

٥ — والمشورة لبنى أسد وصاحبها يزيد بن زمعة بن الأسود وكان يستشار فى الأمور الكبيرة .

٦ — والندوة فى بنى عبد الدار أيضا . وهى الاشراف على دار الندوة

٧ — والأشناق وهى الديات والمغارم وهى فى بنى تيم ونهض بها أبو بكر الصديق ، وكان صاحبها اذا احتمل شيئاً فسأل فيه قريشا صدقوه وأمضوا حمالة من نهض معه وان احتملها غيره خذلوه .

٨ — القبة والأعنة . والقبة هى الخيمة التى كانوا يضربونها ويجمعون اليها أدوات الحرب ، والاعنة هى تولى أمر الخيل فى الحرب . وكان ذلك لبنى مخزوم ونهض بهما خالد بن الوليد ؛ وقيل ان الاعنة كانت فى بنى عدى .

٩ — السفارة وهى لبنى عدى ونهض بها عمر بن الخطاب وكانت اليه السفارة فى الجاهلية وهى التوسط بين قريش وغيرها فى الحرب وفى السلم معا .

١٠ — الايسار وهى تولى أمر الازلام وكانت فى بنى جمح وقام بها صفوان بن أمية .

١١ — الحكومة والاموال المحجرة التى سموها لآلهتهم وهى لبنى سهم ويقوم بها الحارث بن قيس ... ومما وضعته قريش « حلف الفضول » فقد

اجتمعت بطون قريش وتحالفوا فى دار عبد الله بن جدعان على رد المظالم بمكة وألا يظلم أحد الا منعوه وأخذوا للمظلوم بحقه ، وحضره الرسول صلى الله عليه وهو فى الخامسة والعشرين من عمره وقال فيه : « لقد شهدت حلف الفضول وما أحب أن لى به حمر النعم »

(٣) — وقامت فى اليمن دول متحضرة منظمة من أشهرها :

ا ـ دولة (١) المعينيين : مابين ١٢٠٠ ـ ٨٠٠ ق م .

نزحوا من العراق الى اليمن واستوطنوا بها وشادوا القصور والمحافد .

ب ـ دولة سبأ : من القرن الثامن قبل الميلاد حتى أواخر القرن الثانى قبل الميلاد أيضا وقد ورد ذكرها فى التوراة ، وفى القرآن الكريم ما يدل على ترف أهلها . وقد ازدهرت مدينة سبأ قبل الميلاد بقرون وتدل النقوش والآثار التى عثر عليها على انها كانت فى القرن الثامن قبل الميلاد .

وحاضرة هذه الدولة هى مأرب وكانت تمر بها التجارة بين الهند والحبشة والعراق ومصر والشام فى بعض العصور ، فازدهرت المدينة والدولة . ووجدت صلات تجارية بين بلقيس ملكة سبأ والملك سليمان بن داود ملك أورشليم . إلا أنه أثر فى حياة دولة سبأ أمران .

أولاهما انتقال التجارة الى الطريق البحرى وانقطاع مرورها بسبأ . وثانيهما سيل العرم الذى حطم سد مأرب فأغرق البلاد . وهاجر أهلها منها وتفرقوا فى أرجاء الجزيرة العربية .

ج — الدولة الحميرية : ١٢٠ ق م — ٥٠٠ م

وعاصمة هذه الدولة ظفار . وامتازت بالفتوحات ومحاربتها الفرس

---

(١) راجع ص ٢٢٧ وما بعدها من كتاب تاريخ اللغات السامية لولفنسون ط القاهرة سنة ١٩٢٩ فى الحديث عن اليمن ودولها وتاريخها والمصادر التاريخية التى تتحدث عنهم . وراجع كتاب تاريخ التمدن الاسلامى

والحبشة . وتضاربت المؤرخون فى أسماء ملوكهم(١) وعددهم ومدة حكمهم .

وتنقسم هذه الدولة إلى طبقتين :

١ ـ الاولى ينتهى حكمها فى أواخر القرن الثالث الميلادى(٢)

٢ ـ والثانية مدت سلطانها على الشحر وحضرموت ويسمى ملوكها التبابعة(٣)وآخرهم ذو نوواس (٥١٥ ـ ٥٢٥ م)

وذو نواس صاحب الاخدود الذى عذب فيه أهل نجران لعدم تركهم النصرانية واتباعهم دينه الرسمى (اليهودية) وأحرق الكتاب المقدس مما دعا إلى غضب الحبشة فقامت بحملة حربية على اليمن دفاعا عن النصرانية(٤) وكانت بقيادة أرياط وأبرهة فاستولوا على اليمن عام ٥٢٥م وحكمها أرياط ثم أبرهة ، وأبرهة هو الذى بنى كنيسة عظيمة بصنعاء لصرف العرب عن الكعبة اليها ثم غزا مكة ليهدم الكعبة فأهلكه الله ، وملك بعده ابنه يكسوم ؛ ثم قام سيف بن ذى يزن وحارب الحبشيين وأخرجهم من

---

(١) راجع اجتماع العرب عند ملك من ملوك حمير (٢/٢٧٦ الأمالى) . وتعزية وفود العرب لسلامة ذى فائش فى ابنه (٩٩ / ٢ الامالى)

(٢) ومن ملوكها : ربيعة وهو الذى قص رؤيته على شق سطيح وأقام بعض أبنائه بالحيرة ومنهم النعمان بن المنذر

(٣) فتبع الاول اسمه زيد ، وتبع الآخر هو أسعد أبى كرب وكان ملكه قبل ملك ربيعة بن مضر ، وذلك من ٣٨٥ — ٤٢٠ م ، وقالوا إنه غزا المدينة وكسا الكعبة فى مكة وأنه أول من تهود من العرب

(٤) ويعلل المؤرخون اليونانيون هذه الحملة الحربية بتعليل آخر (١١٦ الشهاب الراصد)

اليمن بمساعدة الفرس له الذين أمدوه بجيش بقيادة وهرز(١)

وكانت مدة حكم الحبشة لليمن اثنتين وسبعين سنة ، وكتاب الإكليل للهمدانى أحسن مرجع قديم عن اليمن وتاريخها

(٤) — إمارة الحيرة : من القرن الثالث الميلادى إلى ٦٣٢ م

وهى امارة عربية أقامها الفرس على حدود بلادهم بالقرب من الكوفة لتحميهم من غارات العرب وليحاربوا بها أعداءهم الروم . فقد وضع اردشير يده على هذه البلاد واستولى عليها وحكم العرب المقيمين فيها مما أدّى الى هجرة قضاعة عنها الى الشام ، ورأى أردشير أنه يستحيل عليه أن يحكم العرب مباشرة ويمنعهم من الاغارة على تخوم ملكه إلا بأن يملك عليهم رجلا منهم . فاختار جذيمة الوضاح ملكا على الحيرة وسائر من ببادية العراق والجزيرة من ربيعة ومضر ، وجذيمة هو الذى قتلته الزباء نحو عام ٢٦٨ م انتقاما منه لقتله والدها ، فاحتال ابن اخت له اسمه عمرو بن عدى حتى قتلها(٢)

---

(١) راجع ٧٥ / ١٦ الاغانى ، ٥٣ / ٢ الاغانى أيضا . وراجع وفود قريش على سيف بن ذى يزن فى العقد الفريد (ص ١٧٥ ج ١ ط ١٩٢٨)

(٢) المصادر الافرنجية تذهب إلى أن الزباء كانت ملكة تدمر من قبل الرومانيين ، ثم حاربها الرومان وأسروها وماتت فى روما نحو عام ٢٧٣ م ، وكان اسمها عندهم زنوبيا . وكان سابور قد هاجم تدمر بعد أن أسر الامبراطور فالريان امبراطور الروم ، ولكن مملكة تدمر قاومته بما سارت عليه من حرب العصابات حتى هزمته ومنحت روما ملك تدمر لقب « أمير الشرق وملك تدمر » وكان اسمه « اودناتوس » ثم قتل وتولى الملك بعده ابنه الطفل وقامت زوجته وصية على ولدها وكانت تلك الزوجة هى زنوبيا . أرادت زنوبيا التوسع فأرسلت جيشا ليفتح مصر ويخرج الرومان منها فأفلح فى ذلك ثم غزت الاناضول واستولى جيشها عليها عام ٢٧٠ م واعترف بها الامبراطور شريكة له فى الامبراطورية =

ثم ولى على الحيرة عمرو بن عدى بن نصر اللخمى أول ملوك اللخميين بالحيرة ، وملكهم ما بين عامى (٢٦٨ — ٦٣٢م) أى حتى فتح خالد ابن الوليد للحيرة .

ومن ملوكها : النعمان بن امرىء القيس صاحب الخورنق والسدير (١) ، والنعمان بن المنذر الذى مدحه النابغة وقد قتله كسرى وقامت من أجله موقعة ذى قار عام ٥٨٠م (٢)

وولى على الحيرة بعد النعمان بن المنذر إياس بن قبيصة الطائى ، وحارب هانىء بن مسعود الشيبانى طلبا لودائع النعمان بن المنذر التى أودعها عنده وانتصر بنو شيبان وهزموا الفرس هزيمة منكرة ، ثم عاد الملك إلى آل لخم .

= وأصبحت تدمر عاصمة مهابة . ثم تولى « كولوديوس » امبراطورية الرومان فخف لمحاربة زنوبيا فهزمها فى الاناضول ثم على حدود تدمر وحاصر عاصمتها تدمر . ثم أخذوها أسيرة هى وابنها واستولوا على تدمر وخربوها عام ٢٧٢ م

(١) بناهما له سنمار الذى قتله الملك خوفا أن يبنى مثلهما فقيل فى المثل « جزاه جزاء سنمار »

(٢) راجع خطبة هانىء بن قبيصة فى قومه يحرضهم على الحرب فى يوم ذى قار فى الامالى (١٦٩ / ١)

وراجع فى الامالى (١٩٥ النوادر الملحق بالامالى) خبر المنذر بن ماء السماء وقتله نديمه وجعله لنفسه فى كل سنة يوم بؤس ويوم نعيم وقتله عبيد بن الابرص يوم بؤسه .

ولهند بنت النعمان بن المنذر لرجل أولاها يدا فدعت له : شكرتك يد نالتها خصاصة بعد ثروة ، وأعناك عن يد نالتها ثروة بعد فاقة (٢٧ / ٤ زهر الآداب)

وراجع اجتماع وفود العرب عند النعمان فى العقد (٢٥٦ / ١ ط ١٩٢٨) ، ووفود العرب على كسرى فى العقد ، (١٦٦/١) ، ووفود حاجب بن زرارة على كسرى (١٧٤ / ١ العقد) ، ووفود أبى سفيان على كسرى (١٧٤/١ العقد) ووفود حسان بن ثابت على النعمان (١٧٥ / ١ العقد)

وقد تأثرت امارة الحيرة بحضارة الفرس وثقافتها ومعارفها تأثرا كبيرا وكان ملوكها فى استقلال داخلى .

(٥) — إمارة غسان :

هاجرت قبائل من قضاعة إلى مشارف الشام وسكنت بها لخصبها ، وكانت هذه البلاد تحت حكم الرومان فاصطنعهم الرومان ليمنعوا غارات العرب عن ملكهم وليكونوا عدة لهم ضد الفرس واللخميين ، ثم تغلب على هذه البلاد بنو جفنة الغسانيون ورئيسهم جفنة بن عمرو فولته الروم ملكا على عرب الشام ، وشمل حكمهم مقاطعتى حوران والبلقاء ، وعاصمة ملكهم هى جَوْلان أو الجابية أو جلّق بالقرب من دمشق .

وقد تأثرت هذه الأمارة بالحضارة الرومانية ، ومن أشهر (١) ملوكها الحارث بن جبلة وقد عينه الامبراطور جوستنيان عام ٥٢٩ م أميرا على جميع قبائل العرب فى الشام ومنحه لقب بطريق وكان الحارث نصرانيا على مذهب اليعاقبة وقد سافر إلى القسطنطينة عام ٥٦٣ م وهو الذى توسط لامرىء القيس فى الذهاب إلى قيصر فى القسطنطينة ليستعين به . وآخر ملوكهم هو جبلة بن الأيهم ، وقد اشتهر الغسانيون بالكرم ومدحهم الشعراء كحسان والأعشى والنابغة وعلقمة الفحل .

وقد حارب الغساسنة الفرس واللخميين وكانت لهم أيام انتصروا فيها على اللخميين .

الحياة الدينية عند العرب :

١ — الحياة الدينية عند العرب مختلفة الألوان والمظاهر والعقائد فمن

(١) ومن ملوكها الحارث بن أبى شمر الغسانى . وراجع حديثه مع قيس بن رقاعة فى الامالى (٢٥٧ / ١)

وثنية إلى يهودية ونصرانية إلى حنيفية وتحنث . ويهمنا هنا أن نلم بكل هذه الألوان المختلفة من التدين عند العرب .

٢ — كانت الوثنية هى الدين السائد فى جزيرة العرب ، وهى عبادة الأصنام والأوثان .

والاصنام هى تماثيل الانسان من المعادن أو الخشب ، والأوثان هى تماثيل الانسان من الحجر .

وكان بدء عبادة الأصنام عند العرب أنهم كانوا يعظمون الكعبة تعظيما شديدا فلما تكاثروا وضاقت بهم مكة وهاجروا منها كان لا يظعن ظاعن إلا حمل معه حجرا من حجارة الحرم تعظيما له وحبا لمكة فحيثما حل وضعه وطاف به كما كان يطوف بالكعبة . واستمروا على تعظيم هذه الحجارة حينا تأصل فيه حبهم لها وتعظيمهم إياها ثم استحال هذا التعظيم عادة فعبادة ، ثم عمت هذه العبادة حتى وصلته إلى مكة مقر التوحيد .

وكان أول من غير دين ابراهيم واسماعيل فوضع الاصنام فى الكعبة « عمرو بن لُحَىّ » ، وكان حاجب البيت الحرام ، شاهد أهل البلقاء يعبدون الاصنام فنصب صنما فى الكعبة سماه « هبل » ، وجعل عبادته اليه ،

ومن أشهر الاصنام عند العرب :

مناة : وكان منصوبا على ساحل البحر بين المدينة ومكة وكانت العرب تعظمه وتذبح حوله وكان الاوس والخزرج يعظمونه وقد ذكرت « مناة » فى القرآن الكريم « ومناة الثالثة الاخرى » — وكان من أسماء العرب « عبد مناة » و « زيد مناة » . قيل كان يعبد مناة خزاعة ، قيل : وهذيل أيضا ، وقيل انها كانت لبنى كعب . والصحيح أنها كانت للاوس والخزرج . وفى سنة ٨ هـ وهى عام الفتح بعث الرسول (ص) عليا رضى الله عنه فهدمها .

واللات وهي صخرة مربعة بنت عليها ثقيف بناء بالطائف وكانت ثقيف تعبدها ومن سدنتها عتاب بن مالك ، ومن أسماء العرب : زيد اللات وتيم اللات . وورد ذكرها فى القرآن الكريم : أفرأيتم اللات والعزى . ويقول عمر بن الجعيد

فانى وتركى لكأس لكالذى تبرأ من لات وكان يدينها

وبقيت إلى أن أسلمت ثقيف فبعث رسول الله المغيرة بن شعبة فهدمها وحرقها بالنار ، وفى ذلك يقول شداد بن عارض ينهى ثقيفا عن العودة إلى عبادتها :

لاتنصروا اللات ان الله مهلكها وكيف نصركم من ليس ينتصر
ان التى حرقت بالنار فاشتعلت ولم تقاتل لدى أحجارها هدر
إن الرسول متى ينزل بساحتكم يظعن وليس بها من أهلها بشر

ويقول أوس بن حجر :

وباللات والعزى ومن دان دينها وبا لله ان الله منهن أكبر

والعزى وهى شجرة وكانت أعظم الاصنام فكانت قريش تخصها بالزيارة والهدايا والنحر عندها . وكانت العزى بواد من نخلة بأرض الشام يقال له حراض وقيل بالقرب من مكة وسدنتها من بنى مرة من سليم ، ومن أسماء العرب عبد العزى . وبعد ظهور الاسلام أرسل الرسول صلوات الله عليه خالد بن الوليد وذلك عام الفتح فقطعها .

وكان من العرب من يقولون ان الثلاث - اللات والعزى ومناة - بنات الله .

ومن أصنامهم : ود ، وسواع ، ويغوث ، ويعوق ، ونسر . وكان ود لكلب ، وسواع لهذيل . ، قال الشاعر :

تراهم حول قبلتهم عكوفا كما عكفت هذيل على سواع

ويغوث لمذحج ، ويعوق لهمدان وقيل لمراد ، ونسر لحمير قبل أن يدينوا باليهودية . ومن أصنامهم : « هبل » وهو أعظم الأصنام التى كانت حول الكعبة وكانوا يستقسمون عنده بالازلام ، « وذو الخلص » وهو لخثعم وهو مروة بيضاء منقوش عليها مثل هيئة التاج وقد بنى له بيت بين مكة والمدينة على مسيرة سبعة ليال من مكة . وروى أن امرأ القيس استقسم عنده فى الأخذ بثأر أبيه فنهى عن ذلك فرمى بالقدح فى وجهه وقال :

لو كنت ياذا الخلص الموتورا مثلى وكان شيخك المقبورا
لم تنه عن قتل العـــداة زورا

وقيل إنه وجد حول الكعبة بمكة يوم الفتح ستون وثلثمائة صنم حطمها الرسول (ص) بيده كلها . وكان لأهل كل بيت صنم فى بيتهم يعظمونه . وكان لغير قريش بيوت عبادة كالكعبة وتسمى الطواغيت وكانوا يضعون فيها الأصنام ويطوفون بها ويهدون اليها الهدايا ويذبحون الذبائح ويستقسمون عندها بالقداح ولها سدنة وحجاب .

وهكذا كانت حياة العرب متأثرة بهذه الاصنام أيما تأثر (١) . إلا أن الشعر العربى الذى يصور هذه الناحية الدينية من نواحى حياة العرب العامة غير كثير ، وقد يكون ذلك لان رواة الشعر الجاهلى بعد الاسلام قد قد أهملوا ما ظهرت فيه الوثنية تدينا وارضاء لله .

٣ — ودخلت اليهودية الى جزيرة العرب فانتشرت فى يثرب وحولها

---

(١) ومن القرابين ـ الذبائح ـ التى كانوا يذبحونها عندها : البحيرة والسائبة والوصيلة والحام . وهى مذكورة فى القرآن الكريم .

فى فدك وخيبر ، وفى اليمن ومن أول ملوكهم الذين تهودوا « ذونواس » وقد تعصب لليهودية وحاول جعلها الدينى الرسمى وأحرق نصارى نجران فى الاخدود تعصبا ليهوديته مما أثار الحبشة النصرانية فغزت اليمن وملكتها وكان ذلك فى أوائل القرن السادس الميلادى كما تقدم .

وتهوّد كذلك بعض أناس من كندة وكنانة وأشهر شعراء العرب من اليهود السموأل بن عادياء .

٤ — ودخلت النصرانية الى الجزيرة أيضا حيث استقرت فى ربيعة وغسان وبعض قضاعة وطىء لترددهم على الروم وفى قبائل « العباد » بالحيرة وكان بنو تغلب من نصارى العرب أيضا ، وأشهر مواطن النصرانية فى اليمن « نجران » وكان أهلها على مذهب اليعاقبة كالحبشة .

وكانت اليهودية والنصرانية قليلتين بالنسبة الى الدين السائد فى الجزيرة وهو الوثنية . وكان القسوس والرهبان يردون أسواق العرب ويدعون الى دينهم ويذكرون البعث والحساب والجنة والنار وأشهر شعراء النصرانية قس بن (١) ساعدة وأمية بن أبى الصلت وعدى بن زيد ،

٥ — ومن العرب من كان يعبد الكواكب ، فقد كان بين اليمنيين من عبد الشمس ، وعبدت كنانة القمر ، وعبد قوم من لخم وخزاعة وقريش نجم الشعرى ، وروى أن قوما من قريش اعتنقوا الزندقة أخذوها عن بعض أهل الحيرة الذين أخذوها عن الفرس ، والزندقة تسير على مذهب مانى وتقول بالهين : اله النور وهو أصل كل خير وإله الظلام وهو منبع كل شر

ووجد من العرب من أنكر هذه الأديان كلها وقالوا ما حكاه الله عز وجل عنهم ما هى الا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما يهلكنا إلا الدهر .

---

(١) راجع حديثه مع فيصر (٢/٣٧ الأمالى)

وكانت قريش لها ولاية البيت وبعض ميزات دينية كعدم الوقوف بعرفة أو الأفاضة منها وسوى ذلك . وكان بعض قليل من العرب يعبدون الله على ما يتصورون من دين الحنيفية البيضاء دين ابراهيم واسماعيل

وبعضهم أنكروا الأديان وغابت عنهم حقيقة الحنيفية فتفرقوا فى البلدان يلتمسونها ويطلبون التوحيد . ومن هؤلاء ورقة بن نوفل الأسدى وزيد بن عمرو بن نفيل العدوى وعثمان بن الحويرث بن خزيمة وعبيد الله بن جحش الأسدى . فأما ورقة فتنصر ، وأما زيد فاعتزل الأديان كلها وقال أعبد رب ابراهيم ، وأما عثمان بن الحويرث فقدم على ملك الروم وتنصر ، وأما عبيد الله فأقام على ما هو عليه من الشك حتى جاء الاسلام فأسلم ثم هاجر مع المسلمين إلى الحبشة فلما قدمها تنصر فيها .

٦ - وكان فى العرب كهان مشهورون ، لهم قصص كثيرة وكان العرب يأخذون رأيهم فى المشكلات .

ومنهم : سطيح ، وطريفة . وزبراء الكاهنة(١) ، وسواد بن قارب(٢).

وكان منهم الطوارق بالحصى (٣)

وراجع وفود عبد المسيح على سطيح فى العقد (٤) . ومن الكهان ابنة الخس (٥)

---

(١) راجع حديث زبراء مع بنى رئام من قضاعة فى الامالى (١/١٢٦)

(٢) ٢٨٩ / ٢ الامالى

(٣) راجع الامالى (١/١٤٢)

(٤) ١/١٧٨ ط ١٩٢٨

(٥) راجع حديثها مع أبيها فى (ذيل الامالى ص ١٠٧)

معارف العرب فى الجاهليـــة

وحياتهم العقليـة

ا ـ كان التبابعة فى اليمن والمناذرة والغساسنة فى الحيرة والشام على حظ من المعرفة والثقافة يدلنا على ذلك ما وصلوا إليه من بناء السدود وحفر المجارى المائية وتخطيط المدن وتنظيم الجيوش وهندسة الأمواه ، ولا شك أنهم تأثروا بالفرس والروم وسواهم من الامم المتحضرة وأخذوا عنهم الطب والحساب والزراعة .

ب ـ أما سواد العرب فأميون بدو لا عهد لهم بعلم أو ثقافة ولا بتعليم أو تدريس ، وإنما كانت لهم معارف وصناعات أفادوها بتجاربهم أو باتصالهم بالأمم الأخرى عن طريق التجارة أو الامارات القائمة على الحدود أو البعوث الدينية . ومن أشهر معارفهم :

١ ـ النجوم والمطر والرياح :

ففى اللغة العربية أسماء متعددة للنجوم ، وللرياح على اختلاف أنواعها وللمطر . وتشابه أسماء البروج والكواكب فى العربية والكلدانية كثير .

وبعض هذا وصلهم عن الكلدانيين أهل بابل القديمة ، وبعضه اهتدوا إليه بفطرتهم لحاجتهم إلى معرفة الوقت والعلم بزمان الخصب والمحل وأوقات الرياح والمطر سواء كانوا فى البر أو البحر . وساعدهم على ذلك صفاء جو الصحراء وحدة فطنتهم ، وحاجتهم إلى المطر والسحاب .

ويتصل بهذا ما كان عليه بعض عرب السواحل كأهل اليمن والبحرين

من معرفة بالملاحة البحرية وسير المراكب فى البحار وفى اللغة العربية ألفاظ كثيرة لذلك . ويقول طرفة :

كأن حدوج المالكية غدوة خلايا سفين بالنواصف من دد
عدولية أو من سفين ابن يامن يجور بها الملاح طورا ويهتدى
يشق حباب الماء حيزومها بها كما قسم الترب المفايل باليد

٢ — الطب

وقد وصلهم بعض معلومات عنه من الفرس والروم واليونان وكان الحارث بن كلدة طبيب العرب فى الجاهلية م ١٣ هـ قد تعلم فى بلاد الفرس وكان من ثقيف وعاش حتى جاء الاسلام وكان الرسول (ص) يشير على المرضى أن يذهبوا إليه . ويضرب المثل بابن حذيم الطبيب قال الشاعر

فهل لكمو فيها الى ، فانني طبيب بما أعيا النّطاسى حذيما

وتروى عنه الحكمة المشهورة « البطنة بيت الداء والحمية رأس الدواء » وهو من تيم وكان يقال « أطب من ابن حذيم »

كما استمدوا بعضه من تجاربهم العامة . وكان للكى بالنار حظ كبير فى علاجهم . وكانوا يعالجون إبلهم وخيلهم بالكى وبالقطران إلى غير ذلك من العلاج .

وفى اللغة العربية أسماء لكثير من الأمراض ولكثير من الأدوية النباتية وسواها ، ولكثير من أوصاف الابل والخيل

٣ — الأنساب والأخبار(١) :

---

(١) أشهر النسابين

ا — دغفل ، وابن الأشقر (الرافعى — الفهرست — أديان العرب — ٢٢٦ ج ١ و٩٦ ج ٣ البيان والتبيين — الميدانى)

ب — ابن لسان الحمرة وهو من علماء زمانه من بنى تيم ومن أنسب العرب كان فى الكوفة أيام المغيرة بن شعبة (١٣٨ ج ١٤ الأغانى)

أما الأخبار فمصدرها عندهم قصص التوراة والانجيل وأساطير الفرس والروم والأخبار المتوارثة عن آبائهم وأجـــدادهم وعن الأمم الأخرى المجاورة لهم

وأما الأنساب فكانوا على جانب كبير من النبوغ فيهـا لأنهم كانوا شديدى العناية بحفظ أنسابهم لاعتزازهم بعنصرهم ودمهم

وكان فى كل قبيلة نسابون يعرفون الـكثير من أنساب العرب وقبائلهم وبطونهم ومفاخرهم وتاريخهم وأيامهم ووقائعهم

ومن أشهر النسابين : « دَغفل » السدوسى وقد ضرب به المثل وأدرك زمن الرسول وعاش إلى زمن معاوية ، ومن أشهرهم أيضا : ابن لسان الحمَّرة من بنى تيم اللات ابن ثعلبة ، ومن أشهرهم أيضا « زيد ابن الـكيس النمرى » وسيدنا أبو بكر الصديق

ويقول الجاحظ فى البيان والتبيين :

ومن رؤساء النسابين : دغفل بن حنظلة وزيد بن الـكيس النمرى (٣)

ويذكر أسماء بعض النسابين(٢) ، وفى مختصر العقد ذكر لأخبار عن أبى بكر الصديق ودغفل فى هـذا الباب (٣)

٤ ــ الفراسة والقيافة :

والفراسة هى الاستدلال بالأمور الظاهرة على الخفية كالاستدلال بشكل المرء ولونه وقوله على خلقه ، وللعقل فيها نصيب كبير

والقيافة قسمان : قيافة الأثر وهى الاهتـــداء إلى الهارب بآثار أقدامه ، وقيافة البشر وهى الاستدلال بهيئة الرجل وشكل أعضائه على نسبه

---

(١) ٢١٠ جـ ١ البيان والتبيين

(٢) ٢٠٨ و ٢٠٩ و ٢١٠ و ٢١١ جـ ١ البيان

(٣) ٢٠١ - ٢٠٤ مختصر العقـد

اشتهر بنو لهب بالقيافة وكذلك بنو مدلج ، كما اشتهروا أيضاً بالزجر وهو الاستدلال بصوت الحيوان وحركته على الحوادث ، وكانوا يتفاءلون بالطير الذى يمر من ميامن الانسان ويتشاءمون بالطير الذى يمر من مياسره ويسمون الأول سانحا والثانى بارحا ، ويقول النابغة

زعم العواذل أن رحلتنا غدا وبذاك خبرنا الغراب الأسود

وفى بنى لهب يقول الشاعر :

خبير بنو لهب فلاتك ملغيا مقالة لهبى إذ الطير مرت

٥ — الكهانة والعرافة :

وهما الأخبار عن الأمور المغيبة ماضية كانت أو مستقبلة . وقيل الكهانة الاخبار عن الماضى والمستقبل والعرافة خاصة بالماضى . وكان فى العرب كهان ولهم فيهم اعتقاد . ومن أشهرهم(١) : سطيح الذئبى ، وطريفة الخير ، ومن أشهر العرافين الأبلق الأسدى عراف نجد ، ورباح بن عجلة عراف اليمامة ويقول عروة بن حزام :

جعلت لعراف اليمامة حكمه وعراف نجد إن هما شفيانى

وكان العرب يفزعون إلى كهنتهم فى كل مايطرأ لهم من أمر أو يستعصى عليهم من مشاكل وأزمات وشدائد

٦ — ومن معارفهم الخط والكتابة وسنتحدث عنهما بتفصيل

وكان الشعر ديوانهم ومظهر معرفتهم وأهم ثقافة لهم

٧ — وفوق ذلك فقد كان العرب يعرفون بعض الصناعات كالغزل وصناعة الرماح وكانت تصنع فى الخط بالبحرين. أما السيوف فكانوا يجلبونها من العراق والأبلة وكانوا يسمون الأبلة الهند ولذلك يقولون سيوف هندية ، إلى غير ذلك من صناعاتهم الصغيرة . واشتهرت اليمن والحيرة ومشارف الشام بألوان كثيرة من الصناعات

---

(١) راجع ص ٤٩ من هذا الكتاب

الخط العربى [1] فى الجاهلية

١ ـ كان العرب أميين لا يقرأون ولا يكتبون، كان ذلك هو الغالب عليهم والذائع فيهم والمشهور عنهم . ذلك أن الكتابة أثر من آثار الحضارة والعرب كانوا لا يزالون يعيشون على الفطرة والبداوة كما كانوا من قديم الأزمان والعصور .

٢ ـ وأول الخطوط المعروفة وأقدمها هو « الخط المصرى » القديم ، وهو مبدأ سلسلة الخط العربى . وقد استمد الفينيقيون منه « خطهم الفينيقى » والفينيقيون هم سكان ساحل الشام ، وكانوا يترددون على مصر للتجارة وغيرها كما خضعوا لحكم الفراعنة قديما . وعن الخط الفينيقى أخذت أمم كثيرة أصول خطوطها كالأراميين (سكان فلسطين والشام والعراق) وكالحميريين (سكان اليمن)

فسكان اليمن من معينيين ثم سبئيين ثم حميريين قد أخذوا خطهم عن الفينيقيين وأدخلوا عليه شيئا من التنقيح والتحوير فسمى بالخط المسند أو الحميرى .

وهذا محل اتفاق بين المؤرخين من العرب والمستشرقين وبعد ذلك يختلف الفريقان اختلافا كثيرا :

ا ـ فمؤرخو العرب :

---

(١) راجع ١٩٦ وما بعدها من تاريخ اللغات السامية ط القاهرة ١٩٢٩ ـ ص٥٨ وما بعدها ج ١ من تاريخ آداب اللغه العربية لمحمد بك دياب ـ وكتاب الخط الخط لعرفان بك ـ ٤٣٠ ج ٢ صبح الأعشى وج ٣ ص ٥ من صبح الأعشى أيضا ـ و ٢١٤ ـ ٢٢٢ ج ٢ المزهر للسيوطى طبع صبيح

يرون أن النبط (١) أخذوا خطهم من الخط الحميرى (المسند) مستدلين على ذلك بالآثار التى عثر عليها فى بلادهم وعليها خطوط حميرية ، ويشرح ذلك أن النبط كانوا متصلين باليمن تجاريا وكانت اليمن على جانب كبير من الحضارة

وعن النبط وعن كندة التى ترجع إلى أصل حميرى أخذ أهل الحيرة والانبار خطهم المعروف بالخط الحيرى وعنه أخذ الحجازيون خطهم وهو الخط العربى وعن الخط الحجازى أو العربى أخذ الخط الكوفى مع شىء من التحسين

فسلسلة الخطوط المعروفة على هذا الرأى هكذا :

الخط المصرى — الفنيقى — الأرامى والحميرى — النبطى وهو مأخوذ من الخط الحميرى — الحيرى — الحجازى فالكوفى . وعلى هذا الرأى يسير الأستاذ محمد هاشم عطية فى كتابه تاريخ الأدب الجاهلى (٢)

ب — والمستشرقون :

يرون أن النبط أخذوا خطهم من الخط الأرامى لقرب بلادهم بعضها من بعض ، والخط الكوفى فى رأيهم متولد من نوع من الخط السريانى يسمى السطر نجيلى قبل الاسلام . وسلسلة الخطوط على هذا الرأى هكذا :

---

(١) عنصر سامى ظهر فى شبه جزيرة طورسينا وامتد إلى صحراء سوريا حتى شملت دولتهم دمشق وتوغلوا فى بلاد الحجاز نحو عام ٨٠ ق م ثم استولى الرومان على بلادهم عام ١٠٦ ب م (راجع ١٣٤ تاريخ اللغات السامية ط ١٩٢٩)

ويرى المستشرقون أن النبط ليسوا آرميين خالصين وهناك ميل عند طائفة من المستشرقين إلى أن النبط من سلالة العرب وكانوا يستعملون الكتابة الارامية فى النقوش وسائر الشئون العمرانية

(٢) مقتبساً ذلك عن تاريخ الأدب لحفنى ناصف (٤٢ ط ١٩٣٦ محمد هاشم)

المصرى ـ الفنيق ـ المسندو الارامى ـ النبطى وهو مأخوذ من الآرامى ـ الحيرى ـ الحجازى . وعلى هذا الرأى يسير الزيات فى كتابه تاريخ الأدب العربى (١)

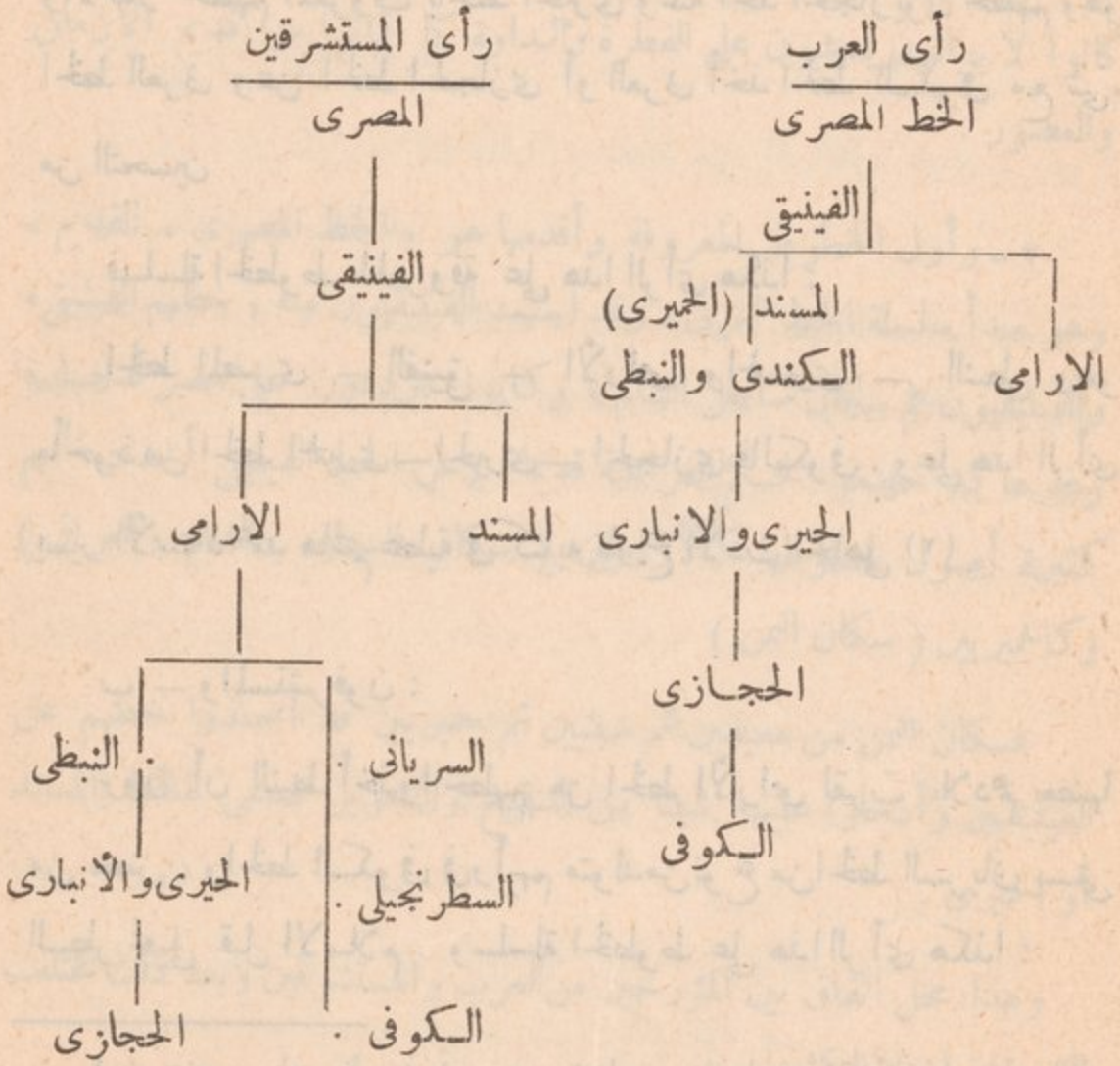

٣ ـ وجاء الاسلام وليس أحد يكتب بالعربية غير بضعة عشر رجلا (٢)

---

(١) ص ٧٦ ط ١٩٣٥

(٢) ص ٤/٣ العقد

وفى غزوة بدر جعل الرسول فداء الأسير تعليم عشرة من صبيان المدينة وشجع الرسول (ص) الكتاب واتخذ كتابا له وكان زيد بن ثابت يعرف الفارسية والحبشية والقبطية والرومية(١). وكان عدد كتابه ثلاثة وأربعين كاتبا

وكان العرب يكتبون فى الرق والعظام والاحجار حتى انتشر بينهم الورق عام(٢) ١٢٠ هـ والظاهر أن انتقال الخط الحيرى إلى الحجاز كان على يد التجار من الحيرة

ويروى أن الذى نقل الخط الحيرى إلى الحجاز هو حرب بن أمية وأنه كان قد صادق فى رحلاته التجارية بشر بن عبد الملك أخا أكيدر صاحب دومة الجندل واستصحبه إلى مكة وزوّجه بنته الصهباء فأقام بشر بمكة مدة علم فيها نفرا من أهلها الكتابة منهم حرب وقيل إن الذى علمه هو عبدالله بن جدعان وقيل غير ذلك . ويقول بعض الشعراء : من دومة الجندل من كندة يمن على قريش بذلك :

ولا تجحدوا نعماء « بشر » عليكم
فقد كان ميمون النقيبة أزهرا
أتاكم بخط الجزم(٣) حتى حفظتم
من المال ماقد كان شتى مبعثرا

---

(١) (راجع ص ٦ ج ٣ العقد الفريدط ١٩٣٥). وفى العقد يروى أن ثلاث نفر من طيء اجتمعوا ببقعة وهم : مرامر بن مرة . واسلم بن سدرة . وعامر ابن جدرة ، فوضعوا الخط وقاسوا هجاء العربية على هجاء السريانية فنقله قوم من الأنبار (٣ ج ٣ العقد) وذلك رأى جدخطير

(٢) أسس امير سمرقند العربى مصنعا للورق فى سمرقند أشرف عليه بعض الاسرى الصينيين وذلك سنة ٧٥١ م . وفى سنة ٧٩٣ م استقدم الرشيد بعض صناع سمرقند إلى بغداد فأسسوا مصنعا آخر للورق . وانتقلت الصناعة إلى دمشق التى صارت تورد إلى العالم الغربى الورق

فأجريتم الأقـــلام عودا وبدأة

وضاهيتمو كتّاب كسرى وقيصرا

وخط الجزم هو الخط الذى تفرغ من الخط المسند الحميرى (١) أو قل هو الخط الحميرى ، وبشر هو بشر بن عبد الملك الذى ذكرنا قصته فيما سبق آنفا .

---

(١) سمى بالجزم لأنه مقتطع من الخط الحميرى

عظائم أيام العـــرب[1]

ذوات الأثر فى اللغة

— ١ —

١ — كانت العرب تعيش قبائل وشعوبا متنافرة متخاصمة ، تعتز كل قبيلة بشرفها وكرامتها وعصبيتها . وتحاول أن تقيم على مواقع الغيث ومنابت الكلأ ولو اغتصبته بالرماح والسيوف من قبيلة أخرى ؛ وكانوا يقدسون الحرية ويعيشون فى ظلال الفوضى . وكما يقول حافظ :

ولذيذ الحياة ما كان فوضى ليس فيه مسيطر أو أمير

وأسباب الحرب عند العرب كثيرة : ترجع إلى التنازع حول الرياسة ، وعلى أماكن المياه والعشب ؛ أو إلى الاعتزاز بالعصبية والانتصار لها . أو إلى المحافظة على الشرف والكرامة والذود عنهما . أو إلى الأخذ بالثأر وحماية الجار ومساعدة الحليف . أو إلى الدفاع عن الملك والتعصب لذى ســـلطان أو إلى التنازع فى مفاخرة من المفاخرات أو منافرة من المنافرات . أو إلى الفقر الذائع الذى يدفع إلى النهب والعدوان

ونفس العربى وما فطرت عليه من شجاعة وإباء وشمم وفروسية كانت تجعل الحرب قريبة منه مألوفة لديه بل محبوبة عنده فى كثير من الأحيان .

---

(١) راجع فى ذلك كتب التاريخ العامة وراجع العقد الفريد (٣٠٣ - ٣٧٨ ط ١٩٢٨ م) والجزء الأول والثـــانى من تاريخ ابن الاثير ، وأمثال الميدانى . والجزء الاول والثانى من تاريخ الطبرى ، والاغانى . وبلوغ الارب وتاريخ آداب اللغة العربية لجورجى زيدان . ومعجم البلدان فى الكلام على أسماء البلدان ، والنقائض

وكانوا يغيرون على أعدائهم فإن لم يجدوا لهم أعداء أغاروا على الأقرباء :

أغرنَ(١) من الضباب على حلال وضبَّة إنه من حان حانا
وأحيانا على بكر أخينا إذا ما لم نجد إلا أخانا

٢ - وأيام العرب كثيرة جدا(٢)، منها ما كان بين العرب والفرس كيوم ذى قار . ومنها ما كان بين النزاريين واليمنيين كيوم خزازى . وما كان بين اليمنيين بعضهم مع بعض كبعاث بين الخزرج والأوس . وما كان بين النزاريين ربيعة ومضر . ومنها ما كان بين الربعيين بعضهم مع بعض كحرب البسوس بين بكر وتغلب . وما كان بين المضريين كحرب داحس والغبراء بين عبس وذبيان .

٣ - وهذه الأيام كانت أكبر ميدان تتسابق فيه العقول والبلاغات والملكات .

فشعراء القبائل المختلفة طالما نظموا الشعر للتمدح بشجاعة الأبطال وظفرهم فى الحرب ، ووصفوا المعارك المختلفة وأحوالها . والقتال وأدواته وأسلحته . والأسرى وذلهم . ورثوا القتلى .

كما كانوا ينظمونه طلبا للاخذ بالثأر ؛ أو دعوة إلى السلام ومدحا لدعاة السلم والعاملين على إنهاء الحرب كما فعل زهير ، مع ما اتصل بذلك من صلح ووثام ومغارم ومحامل فى الديات .

فليس بعجيب إذا أن تقول إن شعر الحماسة وهو أغلب فنون الشعر عند العرب فى جاهليتهم وكذلك جزء كبير من شعر الرثاء والفخر والمدح كان أثرا لهذه الأيام التى اشتعلت فيها الحروب وتصاولت الأبطال من شتى

---

١) الضمير يعود إلى الافراس المذكورة فى بيت سابق

٢) ويروى أن أبا الفرج الاصفهانى صاحب الاغانى ألف كتابا فى أيام العرب يشمل ألفا وسبعمائة يوم .

القبائل فى الجاهلية . كما يشغل ذلك جزء كبيرا من النثر الجاهلى أيضا ، كما تجد فى خطبة هانىء بن قبيصة فى قومه يحرضهم على الحرب يوم ذى قار(١) وسواها .

وعناية العرب بأنسابهم وبخيولهم وأسلحتهم وبأنواع الحيوان المشهورة بالبطش والقوة كالأسد والذئب ، كل ذلك من آثار شعورهم بالحاجة إليها حين الخصام والنضال وفى المعارك والحروب .

وبعد فسنتحدث عن أهم هذه الأيام وأكثرها أثرا فى اللغة والأدب والشعر ، مما يكون قد اشتمل على خطبة بليغة أو قصيدة رائعة أو حكمة سائرة أو شعر قيل فى أثناء النضال والخصام .

— ٢ —

حرب داحس والغبراء (٢)

بين عبس وذبيان من مضر

وكان السبب الذى هاجها أن قيس بن زهير وحمل بن بدر ، تراهنا على فرسيهما : « داحس » و « والغبراء » أيهما يكون له السبق وكان داحس لقيس وكانت الغبراء لحمل بن بدر وجعلا الرهان مائة بعير وجعلا منتهى الغاية مائة غلوة(٣) .

ثم قادوهما لمى رأس الميدان بعد أن اضمروهما أربعين ليلة وفى طرف

---

(١) ١/١٦٩ الامالى

(٢) راجع ٢/٣٨ الميدانى . و ٢٠ ـ ١٦ الاغانى . والجزء الثالث من خزانة الادب . ومعجم البلدان . والنقائض . والجزء الثانى من العقد . ١/٤٥٣ أمالى المرتضى . والجزء الاول من ابن الاثير . والروض الانف . وتاريخ ابن كثير

(٣) توازى أربعمائة ذراع

الغاية شعاب كثيرة فأكمن حمل بن بدر فى تلك الشعاب فتيانا على طريق الفرسين وامرهم إن جاء داحس سابقا ان يردوا وجهه عن الغاية، فأرسلاهما، فلما جريا سبقت الغبراء فقال حمل بن بدر : سبقتك يا قيس ، فلما أوغلا فى الجرد(١) وخرجا إلى الوعث(٢) برز داحس عن الغبراء فقال قيس « جرى المذكيات غلاء(٣) » فذهبت مثلا ، فلما شارف داحس الغاية ودنا من الفتية وثبوا فى وجه داحس فردوه عن الغاية ففى ذلك يقول قيس بن زهير :

وما لاقيت من حمل بن بدر واخوته على ذات الأصاد
همو فخروا على بغير فخر وردوا دون غايته جوادى

وثارت الحرب بين عبس وذبيان ابنى بغيض أربعين سنة لم تنتج لهم ناقة ولا فرس لاشتغالهم بالحرب . بعث حذيفة بن بدر ابنه مالكا إلى قيس بن زهير يطلب منه حق السبق ، فقال قيس : كلا . لا مطلتك به . ثم أخذ الرمح فطعنه به فوق صلبه ، ورجعت فرسه غائرة فاجتمع الناس فاحتملوا دية مالك مائة عشراء ، وزعموا ان الربيع بن زياد حملها وحده فقبضها حذيفة وسكن الناس ، ثم ان مالك بن زهير أخا قيس نزل اللقاطة من أرض الشربة فأخبر حذيفة بمكانه فعدا عليه فقتله . ففى ذلك يقول عنترة الفوارس :

فلله عينا من رأى مثل مالك عقيرة قوم ان جرى فرسان
فليتهما لم يجريا قيد غلوة وليتهما لم يرسلا لرهان

فقالت بنو عبس : مالك بن زهير بمالك بن حذيفة وردوا علينا مالنا ، فأبى حذيفة أن يرد شيئا . وكان الربيع بن زياد القيسى عم قيس مجاورا لبنى فزارة ولم يكن فى العرب مثله ومثل اخوته وكان يقال لهم الكملة .

---

(١) الفضاء نبات به (٢) الطريق تغرق فيه الاقدام
(٣) ويروى غلاب . والمذكية من الخيل المسنة

وكان بينه وبين قيس بن زهير بغضاء وخصام ، فلما قتل مالك بن زهير قامت بنو فزارة يسألون ويقولون : ما فعل حماركم قالوا صدناه ، فقال الربيع : ما هذا الوحى ؟ قالوا : قتلنا مالك بن زهير قال : بئس ما فعلتم بقومكم ، قبلتم الدية ثم رضيتم بها وغدرتم ، قالوا : لولا أنك جارنا لقتلناك ، وكانت خفرة الجار ثلاثا فقالوا له : بعد ثلاث ليال اخرج عنا ، فخرج واتبعوه فلم يلحقوه حتى لحق بقومه واتاه قيس بن زهير فعاقده وفى ذلك يقول الربيع

فإن تك حربكم أمست عوانا ... فإنى لم أكن ممن جناها
ولكن ولد سودة أرّثوها ... وحثوا نارها لمن اصطلاها
فأنى غير خاذلكم ولكن ... سأسعى الآن اذ بلغت مداها

ورثى الربيع مالك بن زهير فقال :

من كان مسرورا بمقتل مالك ... فليأت نسوتنا بوجه نهار

ثم نهضت بنو عبس وحلفاؤهم بنو عبد الله بن غطفان إلى بنى فزارة وذبيان ورئيسهم الربيع بن زياد ورئيس بنى فزارة حذيفة بن بدر واستعرت الحرب بين الفريقين وظلت أربعين سنة . ومن أشهر أيامها :

يوم المريقب : لعبس على ذبيان ، وفيه قتل عنترة ضمضما المرى فتوعده وقال فى ذلك عنترة من معلقته :

ولقد خشيت بأن أموت ولم تدر ... للحرب دائرة على ابنى ضمضم
الشاتمى عرضى ولم أشتمهما ... والناذرين إذ لقيتهما دمى
إن يفعلا فلقد تركت أباهما ... جزر السباع وكل نسر قشعم

ويوم ذى حسا : لذبيان على عبس

ويوم الهباءة : لعبس على ذبيان ، وقتل فيه حمل بن بدر وأخوه حذيفة ولما اشتد الكرب بحمل قال : ناشدتك الله والرحم يا قيس ، فقال : لبيكم

لبيكم , فعرف حذيفه أنه لن يدعهم ، فانتهر حملا وقال : « إياك والمأثور من الكلام ، فذهبت مثلا ، وقال لقيس : لئن قتلتنى لا تصلح غطفان بعدها فقال قيس : أبعدها الله ولا أصلحها ، ولما قتلا قال قيس يرثى حمل ابن بدر :

تعلم ان خير الناس ميت على جعفر الهباءة ما يريم
ولولا ظله ما زلت أبكى عليه الدهر ما طلع النجوم
ولكن الفتى حمل بن بدر بغى والبغى مرتعه وخيم
أظن الحلم دلَّ علىَّ قومى وقد يستضعف الرجل الحليم
وما رست الرجال وما رسونى فمعوج على ومستقيم

ومثلوا بحذيفة .

فما أصيب أهل الهباءة واستعظمت غطفان قتل حذيفة تجمعوا ، وعرفت بنو عبس ان ليس لهم مقام بأرض غطفان ، فخرجوا الى اليمامة ، فنزلوا باخوانهم بنى حنيفة ، ثم رحلوا عنهم فنزلوا ببنى سعد بن زيد مناة .

وقال قيس أيضا يرثى حذيفة وأخاه :

شفيت النفس من حمل بن بدر وسيفى من حذيفة قد شفانى
فان أن قد بردت بهم غليلى فلم أقطع بهم إلا بنانى

ويوم الفروق

ولما امتد لهب الحرب وطال أمدها ، سعى الحارث بن عوف وهرم بن سنان المريان فى الصلح وتحمَّلا ديات القتلى ، وفى ذلك قال زهير معلقته :

أمن أم أو فى دمنة لم تكلم بحومانة الدراج فالمتثلم

ومنها :

لعمرى لنعم السيدان وُجدتما على كل حال من سحيل ومُبرم

تداركتما عبسا وذبيان بعد ما تفانوا ودقوا بينهم عطر منشم (١)

---

(١) ويروى ان الحارث بن عوف قال لصديق له أترانى أخطب إلى أحد فيردنى قال نعم قال ومن ذلك قال : أوس بن حارثة بن لام الطائى فقال الحارث لغلامه ارحل بنا ففعل فركبا حتى أتيا أوس بن حارثة فى بلاده فوجداه فى منزله فلما رأى الحارث بن عوف قال مرحباً بك يا حارث وقاك ربك ما جاء بك ياحارث قال جئتك خاطبا قال لست هناك فانصرف ولم يكلمه . ودخل أوس على امراته مغضباً وكانت من عبس فقالت من رجل وقف عليك فلم تطل ولم تكلمه قال ذاك سيد العرب الحارث بن عوف بن أبى حارثة المرى قالت فمالك لا تستنزله قال : انه استحمق قالت وكيف ؟ قال جاءنى خاطبا قالت أفتريد أن تزوج بناتك قال نعم قالت فاذا لم تزوج سيد العرب فمن ؟ قال قد كان ذلك قالت فتدارك ما كان منك قال فماذا ؟ قالت تلحقه فترده قال وكيف وقد فرط منى ما فرط اليه قالت تقول له انك لقيتنى مغضبا بأمر لم تقدم منى فيه قولا فلم يكن عندى فيه من الجواب إلا ما سمعت فانصرف ولك عندى كل ما أحببت فانه سيفعل فركب فى أثرهما . قال خارجة بن سنان (الظاهر انه غلام الحارث) فوالله إنى لأسير إذ حانت منى التفاتة فرأيته فأقبلت على الحارث يكلمنى غما فقلت له هذا أوس بن حارثة فى أثرنا . قال وما نصنع به امض فلما رآنا لا نقف عليه صاح : ياحارث ، أربع على ساعة فوقفنا له فكلمه بذلك الكلام فرجع مسروراً فبلغنى ان أوسا لما دخل منزله قال لزوجته ادعى لى فلانة لأكبر بناته فأتته ، فقال يابنية هذا الحارث بن عوف سيد من سادات العرب قد جاءنى طالبا خاطبا وقد أردت أن أزوجك منه فما تقولين ؟ قالت . لا تفعل ، قال : ولم ؟ قالت : لأنى امرأة فى وجهى ردة وفى خلقى بعض العهدة ولست بابنة عمه فيرعى رحمى وليس بجارك فى البلد فيستحى منك ولا آمن أن يرى منى ما يكره فيطلقنى فيكون على

. . . . . .

فى ذلك ما فيه ، قال : قومى بارك الله فيك وادعى لى فلانة لابنته الوسطى فدعتها ثم قال لها مثل ما قال لأختها ، فأجابته بمثل جوابها وقالت إنى خرقاء وليست بيدى صناعة ولا آمن أن يرى منى ما يكره فيطلقنى فيكون على فى ذلك ما تعلم وليس بابن عمى فيرعى حقى ولا جارك فى بلدك فيستحييك قال قومى بارك الله فيك ادعى لى بهية يعنى الصغرى فاتى بها فقال لها كما قال لهما فقالت انت وذاك فقال لها انى قد عرضت ذلك على أختيك فابتاه ولم يذكر لها مقالتيهما فقالت : لكنى والله الجميلة وجها الصناع يداً الرفيعة خلقا الحسيبة اباً فان طلقنى فلا أخلف الله عليه بخير فقال بارك الله عليك . ثم خرج الينا فقال قد زوجتك ياحارث بهية بنت أوس قال قد قبلت فأمر أمها أن تهيئها وتصلح من شأنها ثم أمر ببيت فضرب له وأنزله إياه فلما هيئت بعث بها اليه فلما ادخلت اليه لبث هنيهة ثم خرج فقلت أفرغت من شأنك قال لا والله قلت وكيف ذلك ؟ قال لما مددت يدى اليها قالت مه اعند أبى واخوتى هذا والله ما لا يكون قال فأمر بالرحلة فارتحلنا بها معنا فسرنا ما شاء الله ثم قال لى تقدم فتقدمت وعدل بها عن الطريق فما لبث ان لحق بى فقلت أفرغت قال لا والله . قلت ولم ؟ قال قالت لى اكما يفعل بالأمة الجليبة أو السبيه الاخيذة ؟ لا والله حتى تنحر الجزر وتذبح الغنم وتدعو العرب وتعمل ما يعمل لمثلى قلت والله إنى لأرى همة وعقلا وأرجو أن تكون المرأة منجبة ان شاء الله فرحلنا حتى جئنا بلادنا فاحضر الابل والغنم ثم دخل عليها وخرج إلى فقلت أفرغت قال لا والله قالت لى لقد ذكرت لى من الشرف مالا أراه فيك قلت وكيف قالت أتفرغ لنكاح النساء والعرب تقتل بعضها وذلك فى أيام حرب عبس وذبيان قلت فيكون ماذا قالت أخرج إلى هؤلاء القوم فاصلح بينهم ثم ارجع الى أهلك فلن يفوتك فقلت والله انى لأرى همة وعقلا ولقد قالت قولا . قال فاخرج بنا فخرجنا حتى أتينا القوم فمشينا فيما بينهم بالصلح فاصطلحوا على أن يحتسبوا القتلى فيؤخذ الفضل ممن هو عليه فحملنا عنهم الديات فكانت ثلاثة آلاف بعير فى ثلاث سنين فانصرفنا بأجمل الذكر قال محمد بن عبد العزيز فمدح بذلك وقال فيه زهير ابن أبى سلمى .

وفيه يقول طرفة :

سائلوا عنا الذى يعرفنا مالقوا يوم تحلاق اللمم

وفيه أسر الحارثُ عباد المهلهلَ وهو لا يعرفه ، فقال الحارث له : دلنى على عدىّ (اسم المهلهل) وأخلى عنك ، فقال له عدى : عليك العهود بذلك إن دللتك عليه ، قال : نعم ؛ قال : فأنا عدى ،فجزّنا صيته وتركه

ثم ان المهلهل فارق قومه ونزل فى بنى مذحج ، فخطبوا إليه ابنته فمنعهم ، فأجبروه على تزويجها وساقوا إليه فى صداقها جلودا من أدم ، فقال فى ذلك :

أعزز على تغلب بما لقيت أخت بنى الأكرمين من جشم

وعاش مهلهل باليمن (١) ومات هناك بنواحى هجر أسيرا فى يد عمرو بن

امن ام أوفى دمنه لم تكلم

ومنها :

تداركتما عبساً وذبيان بعدما تفانوا ودقوا بينهم عطر منشم

فاصبح يجرى فيهم من تلادكم مغانم شتى من أفال مزنم

ينجمها قوم لقوم غرامة ولم يهريقوا بينهم ملء محجم

وذكر قياءهم فى ذلك فقال :

صحا القلب عن سلمى وقد كاد لا يسلو

وفى قصيدة يقول فيها :

تداركتما الاحلاف قد ثل عرشها وذبيان قد ذلت بأقدامها النعل

وهذا لهم شرف الى الآن . ورجع فدخل بها فولدت له بنين و بنات

(١) راجع أخذ المهلهل بثأر أخيه كليب وقصيدته « أليلتنا بذى حسم أنيرى » فى الأمالى ص ١٢٩ / ٢

مالك اليشكرى . أما جساس فيروى أن ابن جليلة من كليب هو الذى قتله

٦ — هذا ولما خرجت جليلة من تغلب بعد قتل كليب قالت لأخته :

يا ابنة الأقوام إن شئت فلا تعجلى باللوم حتى تسألى
فاذا أنت تبيت الذى يوجب اللوم فلومى واعذلى
ان تكن أخت امرىء ليمت على شفق منها عليه فافعلى
جل عندى فعل جساس فيا حسرتى عما انجلت أو ينجلى

—٣—

حرب البسوس بين بكر وتغلب من ربيعة

١ — مجد كليب :

لم تجتمع معد كلها إلا على ثلاثة رهط من روسا. العرب ، وهم : عامر وربيعة ، وكليب ، فالأول عامر بن الظرب ، والثانى ربيعة بن الحارث ، والثالث كليب بن ربيعة ، وهو الذى يقال فيه أعز من كليب وائل ، وقاد معدا كلها يوم خزازى ففض جموع اليمن وهزمهم ، فاجتمعت عليه معد كلها ، وجعلوا له قسم الملك وتاجه ونجيبته ، واطاعته معد بذلك حينا من دهره ، ثم دخله زهو شديد ، وبغى على قومه لما هو فيه من عزه وانقياد معد له ، حتى بلغ من بغيه أنه كان يحمى مواقع السحاب فلا يرعى حماه ، ويجير على الدهر فلا تخفر ذمته ، ويقول : وحش أرض كذا فى جوارى فلا يهاج ، ولا تورد إبل أحد مع ابله ، ولا توقد نار مع ناره ، حتى قالت العرب أعز من كليب وائل . وكانت بنو جشم وبنو شيبان فى دار واحدة بتهامة ، وكان كليب قد تزوج بنت مرة بن ذهل بن شيبان ، وأخوها جساس . وكانت البسوس بنت منقذ التميمية خالة جساس ، وكانت نازلة فى بنى شيبان مجاورة لجساس ، وكان لها

ناقة يقال لها سراب ، ولها تقول العرب أشأم من سراب وأشأم من البسوس فمرت ابل لكليب بسراب ناقة البسوس وهى معقولة ، فلما رأت سراب الابل نازعت عقالها حتى قطعته وتبعت الابل ، واختلطت بها ، حتى أتت إلى كليب وهو على الحوض معه قريش وكنانة ، فلما رآها انكرها فشد عليها بسهم فخزم ضرعها ، فنفرت الناقة وهى ترغو ، فلما رأتها البسوس قذفت خمارها عن رأسها وصاحت . واذلاه واجاراه

٢ — مقتل كليب :

فأحمست جساسا ، فركب فرساله مغرورا به ، وأخذ آلته ، وتبعه عمرو ابن الحرث بن ذهل على فرسه ومعه رمحه ، حتى دخلا الحى على كليب فقال له : يا أبا الماجدة . عمدت الى ناقة جارتى فعقرتها ، فقال له : ما مانعى عن أن أذب عن حماى ؟ فأحمسه الغضب ، فطعنه جساس فقصم صلبه ، وطعنه عمرو بن الحارث من خلفه فقطع بطنه ، فوقع كليب وهو يفحص برجله ، وقال لجساس . أغثنى بشربة ماء فقال : تجاوزت شبيثا والآحص ، وأجهز عليه . وفى ذلك يقول الشاعر :

المستجير بعمرو عند كربته كالمستجير من الرمضاء بالنار

فلما قتل كليب ارتحلت بنو شيبان حتى نزلت بماء يقال له النهى ، وتشمر المهلهل أخو كليب واسمه عدى بن ربيعة ، واستعد لحرب بكر ، وترك النساء والغزل وحرم القمار والشراب على نفسه نفسه ، وجمع إليه قومه فأرسل رجلا منهم إلى بنى شيبان يعذر إليهم فيما وقع من الأمر ، فأتوا مرة بن ذهل وهو فى نادى قومه ، فقالوا له : انكم أتيتم عظيما بقتلكم كليبا بناب من الابل فقطعتم الرحم ، وانتهكتم الحرمة . وإنا كرهنا العجلة عليكم دون الاعذار اليكم ، ونحن نعرض عليكم خلالا أربعا ، لكم منها مخرج ، ولنا فيها مقنع ، فقال مرة . وما هى ؟ قال : تحيى لنا كليبا ، أو تدفع إلينا جساسا

قاتله فنقتله به ، أو هماما فانه كفء له ؟ أو تمكننا من نفسك فان فيك وفاء من دمه

فقال : اما إحيائى كليبا فهذا ما لا يكون ، واما جساس فانه غلام طعن طعنة على عجل ثم ركب فرسه فلا أدرى أى البلاد احتوت عليه وأما همام فانه أبو عشرة وأخو عشرة وعم عشرة وكلهم فرسان قومهم فلن يسلموه لى فأدفعه اليكم يقتل بجريرة غيره . وأما أنا فهل هو إلا ان تجول الخيل جولة غدا فأكون أول قتيل فيها فما اتعجل من الموت ؟ ولكن لكم عندى خصلتان : اما احداهما فهؤلاء بنى الباقون فعلقوا فى عنق أيهم شئتم نسعة فانطلقوا به إلى رحالكم فاذبحوه ذبح الجزور ، وإلا فألف ناقة سوداء المقل اقيم لكم بها كفيلا من بنى وائل فغضب القوم وقالوا : لقد أسأت ، تبذل لنا ولدك وتسومنا اللبن من دم كليب .

٣ — اشتعال الحرب :

ووقعت الحرب بينهم ، ولحقت جليلة زوجة كليب بأبيها وقومها واعتزلت قبائل بكر بن وائل وكرهوا معاونة بنى شيبان ومساعدتهم على قتال اخوتهم وأعظموا قتل جساس كليبا بناب من الابل ، وانقبض الحارث بن عباد فى أهله ، وهو أبو بجير وفارس النعامة ، وقال المهلهل يرثى كليبا

بت ليلى بالأنعمين طويلا أرقب النجم ساهرا أن يزولا
كيف اهدا ولا يزال قتيل من بنى وائل ينسى قتيلا

إلى أن قال :

قتلوا ربهم كليبا سفاها ثم قالوا : ما إن نخاف عويلا
كذبوا والحرام والحل حتى يسلب الخدر بيضه المحجولا
ويموت الجنين فى عاطف الرحم وتروى رماحنا والخيولا

وقال أيضا يرثيه :

كليب لا خير فى الدنيا ومن فيها ... اذا أنت خليتها فيمن يخليها

نعى النعاة كليبا لى فقلت لهم ... مالت بنا الأرض أو زالت رواسيها

الحزم والعزم كانا من طبيعته ... ما كل آلائه يا قوم احصيها

القائد الخيل تردى فى أعنتها ... زهوا إذا الخيل لجت فى تعاديها

من خيل تغلب ما تلقى اسنتها ... الا وقد خضبوها من أعاديها

ليت السماء على من تحتها وقعت ... وانشقت الأرض وانجابت بمن فيها

لا اصلح الله منا من يصالحكم ... مالاحت الشمس فى أعلى مجاريها

٤ — يوم النهى :

وأول وقعة بينهم كانت على ماء يقال له النهى كانت بنو شيبان نازلة عليه ، ورئيس تغلب المهلهل ، ورئيس شيبان الحارث بن مرة ، فكانت الدائرة لبنى تغلب وكانت الشوكة فى شيبان ، واستمر القتل فيهم إلا أنه لم يقتل فى ذلك اليوم احد من بنى مرة

يوم عنيزة :

ثم التقوا بعنيزة فظفرت بنو تغلب . ثم كانت بينهم معارك ووقائع كثيرة وكانت الدائرة لبنى تغلب على بنى بكر فيها كلها . وقال مهلهل يصف هذه الأيام وينعى على بكر فى قصيدة طويلة أولها

اليلتنا بذى حسم أنيرى ... اذا انت انقضيت فلا تحورى

وإن يك بالذنائب طال ليلى ... فقد ابكى من الليل القصير

وفيها يقول

فلو نبش المقابر عن كليب ... لأخبر بالذنائب أى زير
كأنا غدوة وبنى أبينا ... بجنب عنيزة رحيا مدير
وانى قد تركت بواردات ... بحيرا فى دم مثل العبير
هتكت به بيوت بنى عباد ... وبعض القتل أشفى للصدور
على أن ليس عدلا من كليب ... إذا برزت مخبات الخدور
ولولا الريح اسمع من بحجر ... صليل البيض تقرع بالذكور

وقال مهلهل لما أسرف فى الدماء

أكثرت قتل بنى بكر بربهم ... حتى بكيت وما يبكى لهم أحد
آليت بالله لا أرضى بقتلهم ... حتى أبهرج بكرا اينما وجدوا

قال أبو حاتم : ابهرج ادعهم بهرجا ، لا يقتل فيهم قتيل ، ولا يؤخذ لهم دية ، وقال : البهرج من الدراهم من هذا . وقال المهلهل :

يال بكر انشروا لى كليبا ... يال بكر اين اين الفرار

وقال

قتلوا كليبا ثم قالوا اربعوا ... كذبوا ورب الحل والأحرام
حتى تبيد قبيلة وقبيلة ... ويعض كل مثقف بالهام
وتقوم ربات الخدور حواسرا ... يمسحن عرض ذوائب الأيتام
حتى يعض الشيخ بعد حميمه ... مما يرى ندما على الأبهام

٥ — يوم قضة :

ثم ان مهلهلا أسرف فى القتل ولم يبال بأى قبيلة من قبائل بكر ، وكان

أكثر بكر قعد عن نصرة بنى شيبان لقتلهم كليب بن وائل ، فكان الحارث ابن عباد اعتزل تلك الحروب حتى قتل ابنه بجير ، فلما بلغ الحارث قتله قال : نعم القتيل قتيلا أصلح بين بنى وائل ، وظن أن المهلهل قد أدرك به ثأر كليب وجعله كفؤا له فقيل له إنما قتله بشسع نعل كليب ، وذلك ان المهلهل لما قتل بجيرا قال : « بؤ بشسع نعل كليب » ، فغضب الحارث بن عباد ، وكان له فرس يقال لها النعامة . فركبها ، وتولى أمر بكر ، فقتل من تغلب حتى هرب المهلهل ، وتفرقت قبائل تغلب ، فقال فى ذلك الحرث بن عباد .

قربا مربط النعامة منى لقحت حرب وائل عن حيال
لم أكن من جناتها علم الله وانى بحرها اليوم صالى
قربا مربط النعامة منى ان قتل الكريم بالشسع غالى

وكان اليوم الذى شهده الحارث بن عباد يوم قضة وهو يوم تحلاق اللمم وفيه يقول طرفة :

سائلوا عنا الذى يعرفنا بقوانا يوم تحلاق اللمم

وفيه أسر الحارث بن عباد المهلهل وهو لا يعرفه ، فقال الحارث له : دلنى على عدى (اسم المهلهل) وأخلى عنك فقال له عدى . عليك العهود بذلك إن دللتك عليه ، قال نعم ، قال فأنا عندى . فجزّ ناصيته وتركه

ثم إن المهلهل فارق قومه ونزل فى بنى مذحج فخطبوا إليه ابنته فمنعهم ، فأجبروه على تزوجها وساقوا إليه فى صداقها جلودا من أدم ، فقال فى ذلك

أعزز على تغلب بما لقيت اخت بنى الأكرمين من جشم

وعاش مهلهل باليمن(١) ومات هناك بنواحى هجر أسيرا فى يد عمرو

---

(١) راجع أخذ المهلهل بثأر اخيه كليب وقصيدته (أليلتنا بذى حسم أنيرى) فى الأمالى ٢ / ١٢٩

بن مالك البكرى . أما جساس فيروى أن ابن جليلة من كليب هو الذى قتله .

٦ — هذا ولما خرجت جليلة من تغلب بعد قتل كليب قالت لأخته :

يا ابنة الأقوام إن شئت فلا تعجلى باللوم حتى تسألى
فإذا أنت تبينت الذى يوجب اللوم فلومى واعذلى
إن تكن أخت امرء ليمت على شفق منها عليه فافعلى
جل عندى فعل جسّاس فيا حسرتى عما انجلت أو تنجلى

— ٤ —

يوم بعاث

بين الأوس والخزرج

قبيل الهجرة بنحو خمس سنوات

وبعاث اسم موضع فى ديار بنى قريظة من اليهود ، وكان بنو النضير وبنو قريظة يساعدون الأوس على الخزرج وذلك حينما قتل عمرو بن النعمان البياضى رهائن اليهود التى كانت عند الخزرج

والتقت الأوس وحلفاؤها من اليهود بالخزرج فى بعاث ، وعلى رأس الأوس حضير الكتائب ، وعلى رأس الخزرج عمرو بن النعمان ، فهزمت الخزرج ، ومات حضير بسبب جراح أصابته ، وفى رثائه يقول خفاف ابن ندبة :

فياعين بكى حضير الندى حضير الكتائب والمجلس

— ٥ —

يوم حليمة

بين المناذرة والغسانيين

كثرت الحروب بين ملوك الحيرة وملوك غسان تبعا للخصومات السياسية التى كانت بين الفرس والروم :

ومنها يوم حليمة وحليمة هى بنت الحرث بن أبى شمر الغسانى وكانت من اجمل النساء ، أمرها أبوها أن تطيب فرسان الغسانيين الذين أرسلهم ليفتكوا بالمنذر بن ماء السماء ، وكان لتحميس حليمة لهم أثره فى حماستهم وقلهم للمنذر ملك الحيرة فى مدينته اغتيالا ، فنسب هذا اليوم إلى حليمة . وقيل سمى هذا اليوم يوم حليمة لأنه كان فى مكان اسمه « مرج حليمة » ؛ ويضرب المثل بهذا اليوم . قالوا : « ما يوم حليمة بسر » . وقال النابغة يصف سيوفا :

تخيرن من أزمان يوم حليمة إلى اليوم قد جُربن كل التجارب

— ٦ —

يوم الزُّوَيْرَيْن

بين ربيعة ومضر

سببه اعتداء بكر على أرض تميم وعيثهم ببلادهم وهتكهم لعوراتهم فتحمس بنو تميم ، والتقوا ببنى بكر ، وكان على بكر عمرو الأصم سيدها وكانت تميم قد أقبلت بجملين مقرونين مقيدين وقالت : لا نبرح حتى يبرح هذان الزويران .

ودارت الدائرة على بنى تميم ، وأخذت بكر الزويرين ، وفى ذلك يقول شاعرهم :

يا سلم إن تسألى عنا فلا كشف عند اللقاء ولسنا بالمقاريف(١)
نحن الذين هزمنا يوم صبّحنا جيش الزويرين فى جمع الأحاليف
ظلوا وظلنا نكر الخيل وسطهم بالشيب منا وبالمرد الغطاريف

— ٧ —

يوم شِعْب جَبَلَة

لعامر وعبس على ذبيان وتميم

وهو أعظم أيام العرب وأكثر جمعا ، كان قبل الاسلام بنحو الأربعين عاما .

ألب لقيط بن زرارة الكلبى جموع العرب على بنى عامر وبنى عبس ، وكان فى جيشه : ابنا الجون الكلبى ملك هجر ، وحسان أخو النعمان بن المنذر لأمه ، وسنان بن أبى حارثة ، وسوامهم من سادة العرب .

وكان الأحوص بن جعفر سيد هوازن وشيخها وبطلها فأظمأ إبلا لقومه ومنعها المرعى وحبسها فى الشعب ، فلما اقتحم لقيط ومن معه عليهم فم الشعب أطلق الأبل من عقلها فانطلقت ثائرة إلى الماء والمرعى تحطم كل شىء أمامها ؛ فهزم لقيط وأحلافه ، وقتل فى هذا اليوم ، وأسر أخوه حاجب بن زرارة كما قتل معاوية بن الجون الكلبى . ورثت بنت لقيط ـ دختنوس ـ أباها :

فرت بنو أسد فرا ر الطير عن أربابها
عن خير خندف كلها من كهلها وشبابها
وأتمها حسبا إذا ضمت إلى أحسابها

---

(١) مقاريف جمع مقرف وهو : من أمه عربية وأبوه غير عربى . والكشف جمع أكشف وهو : من ينهزم فى الحرب .

ويقول جرير :

ويوم الشعب قد تركوا لقيطا كأن عليه حلة أرجوان

— ٨ —

يوم خَزَازَى

بين نزار واليمن

ولى ابرهة الحبشى زهير بن جناب الكلبى على العدنانيين فامتنعوا عن دفع الأتاوة له ، ووقع بعض العدنانيين أسرى عنده ، فذهب وفد من وجوه معد إليه ليطلق سراحهم ، فأطلقهم ولكنه احتجز بعض أعضاء الوفد ، فثارت معد ، وقادهم كليب وسار بهم إلى خزازى وهو جبل بين البصرة ومكة فأوقد عليه النار ، وأقبلت مذحج إلى خزازى ، فاقتتل الفريقان قتالا شديدا هزمت فيه مذحج . وفى ذلك يقول عمرو بن كلثوم .

ونحن غداة أوقد فى خزاز رفدنا فوق رفد الرافدينا

— ٩ —

أيام الفجار (١)

وهى أربعة أيام ، وكانت قريش ومعها بكر على هوازن فى هذه الأيام وأهم هذه الأيام هو الفجار الرابع والذى أشعل الحرب فيه أن البراض الكنانى قتل عروة الرحال الذى أجار لطيمة (٢) النعمان بن المنذر ، وكان عروة سيدا شجاعا شريفا ، والبراض خليعاً ماجنا ، فثارت الحرب

---

(١) الأغانى جـ ١٩ ، والجزء الأول من تاريخ ابن الأثير ، والجزء الثانى من العقد ، وأديان العرب ، ومعجم البلدان .

(٢) عير تحمل تجارة المنذر إلى أسواق العرب لتباع فيها

وسميت حرب الفجار ، لأنها حدثت فى الأشهر الحرام - ذى القعدة والحجة ومحرم ورجب - التى كان القتال فيها محرما .

وقد حضر النبى صلى الله عليه وسلم هذه الحرب واشترك فيها مع قومه وسنه أربع عشرة سنة ، وكان ينبل على أعمامه .

— ١٠ —

يوم ذى قار (١)

بين الفرس والعرب

كان عدى بن زيد العبادى أستاذا للنعمان بن المنذر ، ثم التحق عدى بخدمة أنوشروان ، فمات المنذر (٢) ، فأشار على كسرى بتولية النعمان على الحيرة مكان أبيه ، ثم وشى خصوم عدى به إلى النعمان فأرسل إليه يطلب أن يزوره فى الحيرة فقدم عدى عليه فأمر بحبسه ، وفى ذلك يقول عدى يستعطفه بشعره :

أبلغ النعمان عنى مألكا أنه قد طال حبسى وانتظارى
لو بغير الماء حلقى شرق كنت كالغصان بالماء اعتصارى

فأطلقه النعمان ، ثم خاف منه فقتله ، واحتل زيد مكان أبيه عدى فى خدمة كسرى ، ثم أخذ زيد يحرض كسرى على النعمان فاستدعاه من الحيرة فلجأ إلى هانىء بن قبيصة مستجيراً به ووضع عنده أمواله وسلاحه وبنته حرقة ، وذهب إلى كسرى فحبسه حتى مات فى السجن ، وولى مكانه على الحيرة إياس بن قبيصة الطائى ، وأمره أن يأخذ أمانات النعمان من هانىء ،

---

(١) راجع ٣/٣٧٤ العقد الفريد ط ١٩٢٨

(٢) راجع خبر المنذر بن ماء السماء وقتله نديمه وجعله لنفسه فى كل سنة يوم بؤس ويوم نعيم وقتله عبيد بن الأبرص يوم بؤسه (١٩٥ النوادر ملحق الأمالى) .

فطلبها منه فرفض ، فثار كسرى وانتظر على بنى شيبان حتى أنزلهم الحر بذى قار وأرسل اليهم جيشاً كثيفاً يحاربهم به ، ولكن بنى شيبان وأحلافها من العرب صمدوا لجيش الفرس وهزموه هزيمة منكرة ، وانتصر العرب انتصارا مؤزراً .

وفى هذا اليوم خطب هانىء خطبته المشهورة (١) : يامعشر بكر : هالك معذور خير من ناج فرور الخ » . وكان هذا اليوم بعد بعثة الرسول صلوات الله عليه ، وقال فيه : « ان هذا أول يوم انتصفت فيه العرب من العجم وبى نصروا » .

وقد افتخر الشعراء بهذا النصر العظيم ، قال الأعشى :

لو أن كل معد كان شاركنا ... فى يوم ذى قارما أخطاهم الشرف

وقال عدىل العجلى :

ما أوقد الناس من نار لمكرمة ... إلا اصطلينا وكنا موقدى النار

وما يعدون من يوم سمعت به ... للناس أفضل من يوم بذى قار

وقال أبو تمام :

وأنتم بذى قار أمالت سيوفكم ... عروش الذين استرهنوا قوس حاجب

---

(١) ١٦٩ / ١ الأمالى

اللغـــة العربية (١)

أصلها — نشأتها — خصائصها — عوامل نموها —
اختلاف لهجاتها — أطوار تهذيبها — أثر الأسواق فيها

أصل اللغة العربية :

١ — هى إحدى اللغات السامية المشهورة الباقية إلى يومنا هذا ، وهى لغة الجنس العربى الذى تحدثنا عنه وعن موطنه وحياته العـــامة وصفاته وأخلاقه فى العصر الجاهلى .

واللغات السامية هى — حسب ترتيبها ترتيبا زمنيا مطابقا لانتشار آدابها — كما يأتى :

١ — اللغة البابلية والأشورية (من ٣٠٠٠ إلى ٥٠٠ ق م)
٢ — « العبرية ظهرت من (١٥٠٠ ق م) واستمرت إلى يومنا هذا
٣ — « السبئية أو الحميرية أو العربية الجنوبية (٢) وجدت منها نقوش

---

(١) راجع الكلام على اصلها وخصائصها وعوامل نموها فى :
الخصائص — المزهر — الصاحبى — كتب فقه اللغة — الأدب العربى للرافعى
وراجع نشأة اللغة فى : ٤٣٣ / ٤ شرح نهج البلاغة و ٣/٨٠ بلوغ الأرب ، والميسر والقداح لابن قتيبة ، وكتاب الأدب للرافعى .

(٢) راجع الكلام عليها فى ٢٢٧ وما بعدها من كتاب تاريخ اللغات السامية لاسرائيل ولفنسون ط ١٩٢٩ القاهرة . ويرجع ولفنسون معلوماتنا عن اليمن ولغاتها إلى : القرآن وكتب السيرة وكتاب الاكليل للهمدانى ، وبعض مصادر عبرية يهودية ، ومصادر تاريخية يونانية ورومانية لهيرودوت وسترابو الرومانى وسواهما ، ونقوش وكتابات جمعها الرواد الأوربيون خلال القرن التاسع عشر .

يرجع تاريخها إلى القرن الثانى بعد ميلاد المسيح وقد تلاشى السبئيون نهائيا من صفحات التاريخ حينما أخذ العدنانيون فى الظهور والقوة

٤ - اللغة الآرمية وهى كاللغة الحميرية (نقوش وجدت منها منذ سنة ٨٠٠ ق م) .

٥ — اللغة الفنيقية وترجع النقوش التى عثر عليها منها إلى القرن السابع قبل المسيح .

٦ — اللغة الحبشية (٣٥٠ ق م حتى يومنا هذا) .

٧ — « العربية العدنانية (١) ، وهى لغة الشعر والنثر الجاهليين ولغة القرآن الكريم ، وهى من أحدث اللغات السامية عهدا وأقربها ظهورا ، وكل ما ألف ودون عنها وما روى من آثارها فهو ليس بعيدا عن البعثة المحمدية بأكثر من مائة عام تقريبا .

والعدنانية هى أقرب لغات الساميين إلى اللغة السامية القديمة (٢) لأن الجنس العربى عاش فى عزلة تامة بعيدا عن العالم ولم يختلط بغيره اختلاطا كاختلاط الأجناس الأخرى بسواها ولم تخضعهم أمم أخرى لحكمهم (٣) فلم تتأثر لغتهم تأثراً كبيرا بغيرهم .

---

(١) راجع تاريخ الأدب العربى للمستشرق الانجليزى رينولد نيكلسون . و ص ١٠٧ الشهاب الراصد للطفى جمعه ط ١٩٢٦ .

(٢) راجع ٧ — ٢ من كتاب تاريخ اللغات السامية طبع القاهرة ١٩٢٩ .

(٣) وقد يكون السبب فى قرب اللغة العربية من الأصل الأول للغات السامية أنها كانت موجودة فى مهد اللغات السامية أو فى ناحية قريبة منه أو أن العناصر التى نزحت إلى بلاد العرب كانت من أقدم الأمم السامية

ب — وتمتاز اللغات السامية عن أنواع اللغات الأخرى (١) بميزات وخصائص (٢) منها :

ا — كثرة عدد حروفها

ب — أغلب الكلمات فيها يرجع فى اشتقاقه إلى أصل ثلاثى الحروف وهذا الأصل هو الفعل ؛ والرأى الذى يذهب اليه بعض علماء العربية من أن أصل الاشتقاق هو المصدر مخالف لأصل الاشتقاق فى باقى اللغات السامية ولعله تسرب إلى اللغة العربية من العلماء الفرس الذين بحثوا فى اللغة العربية بعقليتهم الآرية إذ الأصل فى الاشتقاق عند الآريين هو المصدر الأسمى

جـ — ليس فى اللغات السامية أثر لأدغام كلمة فى أخرى حتى تصير الكلمتان كلمة واحدة تدل على معنى مركب من معنى كلمتين مستقلتين كما هى الحال فى غير اللغات السامية .

د — اقتصارها فى الكتابة على الحروف دون حركاتها

هـ — كثرة اشتقاق صيغ متعددة من المادة الواحدة

---

(١) اللغات الاخرى تشمل مجموعتين : اللغات اليافثية أو الآرية ، واللغات الحامية :

أما الآرية فقد انتشرت فى الهند وسارت منها إلى الافغان وفارس ثم إلى أوربا . وهى قسمان :

ا — الآرية الشمالية وهى لغات أوربا القديمة والحديثة

ب — الآرية الجنوبية وهى السنسكريتيه (الهندية القديمة) وفروعها الهندية الحالية والفارسية والأرمنية والافغانية .

وأما الحامية فقد انتشرت شمالى افريقية وتشمل الزنجية والبربرية (لغة سكان المغرب) والمصرية القديمة (قبل فتح الهكسوس لمصر)

أما اللغات السامية فقد انتشرت غربى آسيا

(٢) راجع ص ١٤ وما بعدها من كتاب تاريخ اللغات السامية ط ١٩٢٩

و ـ اشتراكها فى كثير من الكلمات مع اختلاف قليل أحيانا ويظهر ذلك من التشابه بين العربية والعبرية ، فبعض الكلمات بالسين فى العربية وهى بالشين فى العبرية ، والألف فى العربية واو فى العبرية ، فسلام فى العربية هى شلوم فى العبرية . وكذلك الثاء فى العربيه شين فى العبرية كثور وشور ، وما كان فى العربية بالضاد فهو فى العبرية بالصاد كأرض وأرص وهكذا .

وهذا الاشتراك دليل على أن اللغات السامية من أصل واحد (١) .

وأوجه الشبه بين أغلب اللغات السامية تظهر فى بعض أسماء الأشياء التى كانت معروفة لهم جميعا كأسماء أعضاء الجسم وكالصفائر فانها متقاربة فيها جميعا .

ج — تنقسم اللغة العربية بوجه عام — لا اللغة العدنانية خاصة — إلى لهجتين :

ا — لهجات القبائل العدنانية شمالى الجزيرة

ب — لهجات القبائل القحطانية جنوب الجزيرة وتسمى اللغة الحميرية (٢)

---

(١) يختلف الباحثون فى ذلك : فالبعض يذهب إلى أن اللغات السامية تفرعت من أصل واحد مجهول والبعض يذهب إلى أن إحداهن أصل لأخواتها ؛ فقيل البابلية هى الأصل وقيل العربية . والراجح أن اللغات السامية تفرعت من أصل واحد مجهول وأيد ذلك جورجى زيدان بك فى كتابه تاريخ آداب اللغة العربية .

ملاحظة :

اللغات السامية من الوجهة الجغرافية تنقسم إلى ثلاث مناطق :

ا ـ شرقية وتشمل البابلية والاشورية

ب ـ غربية وتشمل الكنعانية والعبرية والآرمية

ج ـ جنوبية وفيها اللهجات العربية فى جميع بلدان الجزيرة العربية واللهجات الحبشية

(٢) وتشمل اللغة المعينية واللغة السبئية واللغة الحميرية ولغة قتبان وحضرموت وفى تاريخ اللغات السامية لولفنسون حديث طويل عنها (٢٢٧ - ٢٥٢ ط القاهرة ١٩٢٩)

وهى أقدم من لغة الشمال ، وقد عثر فى اليمن على نقوش مكتوبة بهذه اللغة ولها حروف تخالف الحروف العربية المعروفة كما أن لها صيغا فى التنوين وجمع المذكر السالم وجمع التكسير وأداة التعريف وغيرها تخالف لغة أهل الحجاز وكذلك فى حروف الكلمات فهمزة أفعل فى بعض الكلمات الحميرية هاء .

أما لغة الشمال أو لغة الحجاز أو اللغة العدنانية فهى أحدث من لغة الجنوب ، وما روى إلينا من شعر جاهلى فهو بها لأن الشعراء الذين نظموا هذا الشعر إما من ربيعة أو مضر وهما فرعان عدنانيان وإما من قبائل يمنية رحلت إلى الشمال كطى وكندة وتنوخ .

واللغة العدنانية هى التى يعنينا البحث عنها ، وهى التى ينصرف إليها الحديث عند إطلاقنا لفظ « اللغة العربية »

نشأتها :

١ — اللغة العربية الباقية ـ التى هى العدنانية — هى مزيج من لهجات مختلفة اختلطت بعضها ببعض وصارت لغة واحدة بعد أن فنى أصحاب اللهجات الأولى وبادوا بالحروب والمهاجرة والامتزاج بغيرهم(١)

على أن امتزاج هذه اللهجات وتدخل بعضها فى بعض لم يتم مرة واحدة أو فى زمن واحد بل حدث شيئا فشيئاً وسار تدريجيا أزمنة طويلة أثناء الجاهلية إلى ما قبل الإسلام بقليل وهكذا كانت لغة الشمال اللغة العدنانية ذات سلطان قوى ونفوذ واسع فى العصور القريبة من ظهور الاسلام فابتلعت اللهجات الجنوبية والتهمتها الواحدة منها تلو الأخرى . وسادت هى فى أغلب أقاليم الجزيرة العربية ، وكونت لنفسها أدبا جديدا وشعرا فنيا .

(١) راجع ص ١٦٦ وما بعدها من تاريخ اللغات السامية ط ١٩٢٩

وأخذت اللهجات فى بلاد اليمن تتدهور وتتلاشى حتى كادت تفنى فى القرن السادس الميلادى ، وخاصة لفقدان اليمن لحريتها بخضوعها الأحباش طورا ثم للفرس طورا آخر فتدهورت حضارتها وتقلص ظل اللهجات اليمنية .

ويسر ذلك السبيل أمام اللغة العدنانية للنصر فى المعركة . وبقى من اللهجات اليمنية فى اللغة العربية صدى قليل لا يكاد يكون شيئا مذكورا(١)

٢ — ووجود بعض ألفاظ عبرية ، وآرامية ويونانية(٢) اندمجت فى العربية بواسطة السريانية ، وفارسية(٣) ، من الخطأ أن نستدل به على إفادة اللغة العربية من هذه اللغات فى طور نشأتها ، لأننا لا نعلم متى دخلت هذه الألفاظ فى اللغة العربية ، ولو سلمنا أنها دخلت فى العصر الجاهلى فيكون المعقول أن تعد أثرا من آثار تهذيب اللغة العربية أو طورا من أطواره

٣ — ولا شك أن اللهجات التى امتزجت باللغة العربية قسمان :

ا — لهجات سكان شمال الجزيرة كثمود(٤) وغيرها من القبائل العربية القديمة البائدة ، ومنها قبائل معين(٥) التى استوطنت فى شمال الجزيرة العربية.

ب — ولهجات سكان جنوب الجزيرة وتتمثل فى اللغة المعينية القديمة

---

(١) وفى ص ٣٤٠ من المزهر للسيوطى أن بعض لهجات عربية حمير كانت شائعة فى اليمن للقرن الثامن الهجرى .

(٢) مثل . انجيل واسطوانه ، وأسقف وناموس وميل وبستان وصراط وخندريس وفردوس

(٣) مثل . مجوس وجيش وأستاذ (راجع فى ذلك ١/١٥ من تاريخ آداب اللغة لمحمد بك دياب)

(٤) راجع موطنها وأخبارها فى ١٧١ وما بعدها من كتاب تاريخ اللغات الساميه .

(٥) راجع ص ١٧٦ وما بعدها تاريخ اللغات الساميه

للقديمة(١) ، واللغة السبئية التى خلفت اللغة المعينية(٢) ، أما اللغة الحميرية فهى السبئية مع خلاف قليل وقد نشأت مع اللغة العدنانية فى وقت واحد(٣) ثم تغذت بها العدنانية ثم التهمتها وقضت عليها، ومن المرجح أن ظهورهما بدأ قبل الميلاد بقرن واحد أى قبل البعثة بسبعمائة عام (١٣٤ الشهاب)

٤ — ورحل ابراهيم بابنه اسمعيل إلى الحجاز وأقام بمكة وخالط قبيلة جرهم الثانية اليمنية وصاهرها وتعلم لغتها فكان لهذا العنصر الذى يرجع إلى العبرية أثر فى اللغة العربية العدنانية .(٤)

٥ — ثم بدأت عوامل تهذيب اللغة العربية العدنانية تعمل عملها : باختلاط القبائل العربية بعضها ببعض ، ورحلات القرشيين فى البلاد واتصالهم بالأمم الأخرى ، ثم نزل القرآن الكريم فأضفى على العدنانية ثوب القوة والخلود (٥)

٦ — وهكذا نشأت العدنانية ونضجت ، وقبل أن تختم هذا البحث نعرض أمامكم هذا النص ، قال الأستاذ محمد لطفى جمعه فى كتابه الشهاب الراصد(٦) :

---

(١) والمعينيون قدموا من العراق إلى اليمن ولغتهم بابليه وبإقامتهم فى اليمن أخذت تتباعد عن أصلها شيئا فشيئا حتى صار لغة مستقلة (راجع ١٢٤ الشهاب الراصد) .

(٢) والسبئيون أو القحطانيون قدموا إلى جنوب شبه الجزيرة من الحبشه أو من العراق فى القرن الثامن قبل الميلاد واقتبسوا لغه المعينين (١٢٤ الشهاب الراصد) وأولهم هو يحطان رأس العرب العاربة وابنه يعرب هو الذى نطق بلغه المعينيين وبدأ بهذبها

(٣) ١٢٥ الشهاب الراصد

(٤) وراجع ما كتبه الجاحظ فى البيان والتبين عن اسماعيل ونطقه بالعربية دون تلقين (٣/١٦٨)

(٥) راجع ٢١٥ تاريخ اللغات الساميه

(٦) ١٢٥ الشهاب الراصد

« ومن المجمع عليه لدى علماء أصول اللغات وعلماء المشرقيات أن هذه العربية المحضة ـ العدنانية ـ هى الغاية التى انتهت اليها تلك اللغات وكانت جميعها روافد تغذى نهرها العظيم ، فالحبشية والسبئية والحميرية والعبرانية والنبطية وما تخلف عنها من لهجات متنوعة خدمت كلها تلك المضرية الفصحى الخالصة ،

أطوار تهذيب اللغة

١ ـ سبق (١) أن ذكرنا أن المعينين بعد هجرتهم من العراق إلى اليمن انحرفت لغتهم البابلية ثم استقلت فسميت اللغة المعينية وتوارثها السبئيون وتحولت فصارت لغة جديدة هى اللغة السبئية ، وكانت هى لغة الحميريين إلا أنها اكتسبت صفات جديدة بفعل الزمن وتبدل الحياة والمعيشة ؛ ثم هاجر اسماعيل إلى مكة وأقام بها وكان لسانه عبرانيا ، وجاور جرهم الثانية القحطانية وخالطها وصاهرها وتكلم بلغتها ـ وهى اللغة القحطانية أو السبئية ـ ، وتكلم بهذه اللغة أحفاده . وبذلك نشأت اللغة العدنانية ، وكان نشأتها هى واللغة الحميرية فى وقت واحد على الأرجح وذلك قبل الميلاد بقرن واحد أو قبل البعثة بسبعمائة عام ، ثم أفادت العدنانية من الحميرية وصارعتها حتى طوتها وتغلبت عليها . وذلك هو الدور الأول من أدوار تهذيب اللغة العربية .

٢ — ثم كان لاجتماع القبائل واختلاطهم بعضهم ببعض أثر فى تهذيب اللغة ورقيها .

ولا شك أن: الحروب ، والتجارة ، والحج ، كان لها أثر كبير فى اختلاط القبائل بعضها ببعض وتفاهمها وتقارب لغاتها ، مما يشبه الأثر الذى أحدثه سيل العرم ـ الذى حدث حوالى ميلاد المسيح (٢) ـ وأدى إلى هجرة القبائل

---

(١) راجع ١٣١ الشهاب الراصد

(٢) راجع ١١٩ الشهاب الراصد . ويخطىء الزيات فى جعل تاريخ سيل العرم

واختلاط القحطانيين بالعدنانيين وتأثرت لغاتهم بذلك الاختلاط .

والحج له - من بين هذه العوامل - أثر كبير فى تهذيب اللغة . فقد كان العرب يحجون إلى الكعبة وكانت قريش تتصل بهم ويتصلون بها ، وكان القرشيون على قسط من المعرفة والرقى الفكرى وفيهم ذوق ولهم ملكات ناضجة فى النقد اللغوى ، فكانوا يميزون بين اللهجات والألفاظ ، ويقتبسون من لهجات القبائل أعذبها ومن ألفاظهم أسهلها وأفصحها ، ويضيفون ذلك إلى لغتهم ، فهذبوا لغتهم حتى خلت من السقيم والمستبشع من الألفاظ واللهجات . كما كانوا فى رحلاتهم التجارية إلى الشام واليمن وفارس والحبشة يأخذون من لغات هذه الأمم بعض ألفاظها ويدخلونها فى لغتهم بعد أن ينطقوا بها نطقا عربيا فصيحا - وهو ما نسميه التعريب - ، وبذلك زادت ثروة اللغة العدنانية القرشية ، وقلدت القبائل الأخرى قريشا فى ذلك وحاكتها فى لغتها وأخذت عنها فكان بذلك لقريش أثر كبير فى تهذيب اللغة ، بل كانت تقوم بما تقوم به مجامع اللغة الآن ، وصارت لغة قريش أعذب اللغات لفظا وأبلغها أسلوبا وأوسعها مادة .

أثر الأسواق (١) : ومن العوامل الأخرى - التى ظهر فيها اختلاط العرب وكان لهـــا أثر فى تهذيب اللغة - الأسواق .

والأسواق العربية كانت ميدانا لاجتماع العرب وتبادلهم التجارة ، كما كانت سبباً فى دعم الوحدة والتفاهم بينهم وفى مزجهم بعضهم ببعض وفى التقريب بين لغاتهم ولهجاتهم وكانت مع ذلك مجمعا أدبيا كبيرا حيث كان يجتمع فيها الشعراء والخطباء فينشدون ويخطبون .

هو عام ٤٤٧ م (راجع ص ١٣ تاريخ الادب العربى للزيات)

(١) راجع الكلام على عكاظ والمربد فى مجلة الرسالة العدد ١٢ و ١٣ و ١٥ و ١٦ وبلوغ الارب ١/٤٦٤ ومعجم البلدان والكلام على عكاظ فى العقد الفريد ص ٣٦٩ ج ٣

ومن أهم هذه الأسواق : عكاظ ومجنة وذو المجاز .

أما عكاظ : فهى قرية بين نخلة والطائف ، كانت تقام بها سوق تجارية عامة ، وتاريخ إقامة هذه السوق يبدأ من عام ٥٤٠ م ، وكانت تعقد فى أول ذى الحجة إلى عشرين منه ، وبقيت فى الاسلام ، إلى أن نهبها الخوارج عام ١٢٩ هـ . وكانت ميدانا للمنافرة والمفاخرة والتجارة وفداء الأسرى وإنشاد القصائد ، وجاء ذكرها فى الشعر العربى ، قال طريف بن تميم :

أوكلما وردت عكاظ قبيلة بعثوا إلى عريفهم يتوسم

وقال النابغة :

أرأيت يوم عكاظ حين لقيتنى تحت العجاج فما شققت غبارى

وقال حسان .

سأنشر إن بقيت لهم كلاما يفرق فى المجامع من عكاظ

وسوق عكاظ سوق عامة كان يحضرها العرب جميعا ، أما الأسواق الأخرى فكانت أسوافا محلية . وفيها كان النابغة يتحاكم اليه الشعراء وكان يضرب له قبة بها ، وبها كانت المفاضلة بين الأعشى وحسان والخنساء وكان قس بن ساعدة يخطب فيها وسمعه الرسول صلوات الله عليه ، ويقال ان المعلقات أنشدت فيها . ويقول أحمد أمين من مقالة له :

كان لعكاظ أثر كبير لغوى وأدبى ، فقد رأينا قبائل العرب على اختلافها من قحطانيين وعدنانيين تنزل بها ، وملك الحيرة يبعث تجارته إليها ، ويأتى التجار من مصر والشام والعراق(١) ، فكان ذلك وسيلة من وسائل تفاهم القبائل ، وتقارب اللهجات ، واختيار القبائل بعضها من بعض ما ترى أنه

---

(٣) يروون أن عبد الله بن جدعان أتى مصر فباع ما معه وعاد إلى سوق عكاظ . أنظر الاكليل للهمدانى جزء ٨ ص ١٨٤ وما بعدها .

اليق بها وأنسب لها ، كما أن التجار من البلدان المتمدنة كالشام ومصر والعراق كانوا يطلعون العرب على شيء مما رأوا من أحوال تلك الأمم الاجتماعية .

وفوق هذا كانت عكاظ معرضا للبلاغة ومدرسة بدوية يلقى فيها الشعر والخطب وينقد ذلك كله ويهذب ، قال أبو المنذر : « كانت بعكاظ منابر فى الجاهلية يقوم عليها الخطيب بخطبته وفعاله وعد مآثره وأيام قومه من عام إلى عام فمنها أخذت العرب أيامها وفخرها » وكانت المنابر قديمة يقول فيها حسان :

أولاء بنو ماء السماء توارثوا دمشق بملك كابرا بعد كابر
يؤمون ملك الشام حتى تمكنوا ملوكا بأرض الشام فوق المنابر(١)

فيقف أشراف العرب يفخرون بمناقبهم ومناقب قومهم . .

قام عمرو بن كلثوم خطيبا بسوق عكاظ وأنشد قصيدته المشهورة :

ألا هبى بصحنك فاصبحينا(٢)

ووافى الأعشى سوق عكاظ كل سنة ، وفيها أنشدهم قصيدته فى مدح المحلق (٣)

وكان النابغة الذبيانى تضرب له قبة أدم بسوق عكاظ يجتمع اليه فيها الشعراء فيدخل اليه حسان بن ثابت وعنده الأعشى والخنساء فينشدونه جميعاً ويفاضل بينهم وينقد فيما زعموا قول حسان :

لنا الجفنات الغر يلمعن فى الضحى

فيقول لحسان قللت العدد ولو قلت الجفان لكان أكثر . وقلت يلمعن بالضحى ولو قلت يبرقن بالدجى لكان أبلغ فى المديح لأن الضيف بالليل أكثر طروقا (٤) .

ودريد بن الصمة يمدح ابن جدعان بعد ان هجاه فيقول : اليك ابن جدعان

---

(١) الأزمنة والأمكنة ٢ ص ١٧٠ (٢) الأغانى ٩ ص ١٨٢
(٣) الأغانى ٨ ص ٧٩ ، ٨٠ (٤) المرجع ٨ / ١٩٤ و ١٩٥

أعملتها (١) الخ . وخطب قس بن ساعدة الناس خطبته المشهورة فذكرهم بالله والموت ورسول الله يسمع له (٢) ، وكانت الخنساء تشهد الموسم بعكاظ وتعاظم العرب بمصيبتها فى أبيها عمرو بن الشريد وأخويها صخر ومعاوية ، وتنشد فى ذلك القصائد ، فلما وقعت وقعة بدر وقتل فيها عتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة والوليد بن عتبة أقبلت هند بنت عتبة إلى عكاظ ، وفعلت كما فعلت الخنساء ، وقالت اقرنوا جملى بجمل الخنساء ففعلوا ، فعاظمت هند الخنساء فى مصيبتها وتناشدتا الأشعار : تقول احداهما قصيدة فى عظم مصيبتها وترد الأخرى عليها (٣) ، وعلى الجملة فكانوا فى عكاظ يتبايعون ويتعاكظون ويتفاخرون ويتحاجون ، وتنشد الشعراء ماتجددلهم ، وفى ذلك يقول حسان : سأنشر ماحييت لهم كلاما ينشر فى المجامع من عكاظ .

فمن هذا كله نرى كيف كانت عكاظ مركزاً لحركة أدبية ولغوية واسعة النطاق كما كانت مركزا لحركة اجتماعية واقتصادية .

نظام سوق عكاظ

كانت القبائل ـ كما أسلفنا ـ تنزل كل قبيلة منها فى مكان خاص بها ، ثم تتلاقى أفراد القبائل عند البيع والشراء أو فى الحلقات المختلفة . كالذى حكينا فكان الناس يجتمعون على سرحة ، أو حول الخطيب يخطب على منبر ، أو فى قباب من أدم تقام هنا وهناك ، ويختلط الرجال بالنساء فى المجامع ، وقد يكون ذلك سببا فى خطبة أو زواج أو تبادر (٤) وكانت تحضر الأسواق ـ وخاصة سوق عكاظ ـ أشراف القبائل « وكان أشراف القبائل يتوافون بتلك الأسواق مع التجار من أجل أن الملوك كانت ترضخ للاشراف، لكل شريف بسهم من الأرباح ، فكان شريف كل بلد يحضر سوق بلده ، إلا

---

(١) أغانى ٩ ص ١٠ (٢) أغانى ١٤ ص ٤١ و ٤٢

(٣) صفة جزيرة العرب ص ٢٦٣

(٤) أنظر الأغانى ج ١٠ ص ١٤٥ وما بعدها و ج ١٣ ص ١٤٠ وما بعدها

عكاظا فانهم كانوا يتوافون بها من كل أوب »(١) .

والظاهر أن المراد بالملوك هم الأمراء ورؤساء القبائل الذين يرسلون بضائعهم لبيعها فى أسواق العرب كملك الحيرة والغساسنة وأمراء اليمن ونحوهم وكانت القبائل تؤتى لرؤسائها اتاوة فى نظير إقامتهم بالسوق ، فقد ذكر اليعقوبى فى تاريخه أخبار أسواق كثيرة كان يعشرها أشرافها - أى يأخذون العشر(٢) - وفى عكاظ كانت القبائل تدفع لأشرافها هذه الأتاوة « فهوازن كانت تؤتى زهير بن جذيمة الاتاوة كل سنة بعكاظ ، وهو يسومها الخسف وفى أنفسها منه غيظ وحقد »(٣) وكانت الاتاوة سمنا وأقطا وغنما(٤) « وكان عبد الله بن جدعة سيدا مطاعا وكانت له اتاوة بعكاظ يؤتى بها ، ويأتى بها هذا الحى من الازد وغيرهم ، ومن هذه الأتاوة ثياب(٥)

وكان الأشراف يمشون فى هذه الأسواق ملثمين ، ولا يوافيها (عكاظ) شريف إلا ملثما مخافة أن يؤسر يوما فيكبر فداؤه ، فكان أول من كشف طريف العنبرى ، لما رآهم يطلعون فى وجهه ويتفرسون فى شمائله قال : قبح من وطن نفسه الا على شرفه ، وحسر عن وجهه وقال : أوكلما وردت عكاظ قبيلة إلى آخر الأبيات(٦)

وكان على سوق عكاظ كلها رئيس اليه أمر الموسم وإليه القضاء بين المتخاصمين ، قال أبو المنذر : وتزعم مضر أن أمر الموسم وقضاء عكاظ كان فى بنى تميم . . . وكان ممن اجتمع له ذلك منهم بعد عامر بن الظرب

---

(١) الأزمنة والامكنة ٢ ص ١٦٦ (٢) اليعقوبى جزء ٢ ص ٣١٣ وما بعدها (٣) الكامل لابن الاثير ١ ص ٢٢٩ (٥) أعانى ١٠ ص ١٢ أغانى ٤ ص ١٣٦ وما بعدها (٧) الازمنة والامكنة ٢ ص ١٦٦

العدوانى سعد بن زيد بن مناة من تميم ، وقد فخر المخبل بذلك فى شعره :

ليالى سعد فى عكاظ يسوقها له كل شرق من عكاظ ومغرب

حتى جاء الإسلام فكا يقضى بعكاظ محمد بن سفيان بن مجاشع(١)

تاريخ عكاظ :

من العسير جدا أن نحدد بدء عكاظ ، فلم نجد فى ذلك خبرا يصح التعويل عليه ، يقول الألوسى فى بلوغ الأرب « انها اتخذت سوقا بعد الفيل بخمس عشرة سنة » ، ولكن إذا بحثنا فى الأحداث التى رويت فى عكاظ وجدنا ذلك غير صحيح ، فهم يروون - كما قدمنا - أن عمرو بن كلثوم أنشد قصيدته فى عكاظ ، وعمرو بن كلثوم كان قبل ذلك

كذلك اذا عدنا إلى ما رواه المرزوقى فى الأزمنة والأمكنة عن رؤساء عكاظ وجدنا أنه عدهم قبل الاسلام عشرة ، أولهم عامر بن الظرب العدوانى . وهذا - من غير شك - يجعل تاريخ عكاظ أبعد مما يحكى الألوسى بزمان طويل ، كذلك يروى الأغانى ان عبلة زوجة عبد شمس بن عبد مناف باعت أنحاء سمن بعكاظ( )

وظلت سوق عكاظ تقوم كل سنة ، وكانت فيها قبيل الاسلام حروب الفجار وهى حروب أربع ، وكان سبب الأولى على ما يروى ، المفاخرة فى سوق عكاظ . وسبب الثانية تعرض فتية من قريش لامرأة من بنى عامر بن صعصعة بسوق عكاظ ، وسبب الثالثة مقاضاة دائن لمدينه مع اذلاله فى سوق عكاظ ، وسبب الأخيرة أن عروة الرجال ضمن أن تصل تجارة النعمان بن المنذر إلى سوق عكاظ آمنة فقتله البراض فى الطريق (٣) .

---

(١) أنظر تعداد من ولى عكاظ فى الازمنة والامكنة ٢ ص ١٦٧

(٢) أغانى ١ ص ٨٤ . (٣) أنظر العقد الفريد ٣ ص ١٠٨ والاغانى .

فكلها تدور حول سوق عكاظ ، وهذه الحروب كانت قبل مبعث النبي صلى الله عليه وسلم بست وعشرين سنة ، وشهدها النبي وهو ابن أربع عشرة سنة مع أعمامه ، وقال : كنت يوم الفجار أنبل على عمومتي [١] .

واستمرت هذه الحروب نحو أربع سنوات . وقد كانت هناك نزعتان عند أشراف العرب : نزعة قوم يقصدون إلى السلب والنهب وسفك الدماء لا يصدهم صاد ، ولا يرعون حتى الأشهر الحرم ، ويتحرشون بالناس ، فيمد أحدهم رجله فى سوق عكاظ ويتحدى الأشراف مثله أن يضربوها فتثور من ذلك الثائرة (٢) . وفريق يميل إلى السلم ودرء أسباب الحروب ونجاح التجارة والأسواق بتأمين السالكين وعدم التعرض لهم بأذى ، جاء فى تاريخ اليعقوبى : « أنه كان فى العرب قوم يستحلون المظالم إذا حضروا هذه الأسواق فسموا « المحلون » ، وكان فيهم من ينكر ذلك وينصب نفسه لنصرة المظلوم والمنع من سفك الدماء وارتكاب المنكر فيسمون الذادة « المحرمون » ، فاما المحلون فكانوا من أسد وطيء وبنى بكر بن عبد مناة وقوم من بنى عامر بن صعصعة وأما الذادة المحرمون فكانوا من بنى عمرو بن تميم وبنى حنظلة بن زيد مناة وقوم من هذيل وقوم من بنى شيبان . . . فكان هؤلاء يلبسون السلاح لدفعهم عن الناس (٣) » .

وكان من أشهر الداعين إلى السلم عبد الله بن جدعان ، فقد كان إذا اجتمعت العرب فى سوق عكاظ دفعت أسلحتها إلى بن جدعان ، ثم يردها عليهم إذا ظعنوا ، وكان سيدا حكيما مثريا (٤) .

ويظهر أن أصحاب هذه النزعة الثانية وهم الذادة هم الذين سموا هذه

---

(١) النهاية لابن الاثير مادة فجر (٢) الأغانى ٤ ص ١٣٦ .

(٣) اليعقوبى ٢ : ٢١٣ وما بعدها (٤) أنظر الأغانى ١٩ ص ٧٣ وما بعدها

الحروب حروب الفجار ، لما ارتكب فيها من الفجور وسفك الدماء ، وهم الذين تغلبوا فيما بعد ونجحوا فى وقف هذه الحروب ، ودعوا الناس أن يعدوا القتلى فيدوا من فضل ، وأن يتعاقدوا على الصلح ، فلا يعرض بعضهم لبعض ، وربما كان من أثر ذلك حلف الفضول ، وقد عقد فى بيت عبد الله بن جدعان هذا .

واستمرت عكاظ فى الاسلام ، وكان يعين فيها من يقضى بين الناس ، فعين محمد بن سفيان بن مجاشع قاضيا لعكاظ ، وكان أبوه يقضى بينهم فى الجاهلية وصار ذلك ميراثا لهم (١) .

ولكن يظهر أن هذه الأسواق ضعف شأنها بعد الفتوح فأصبحت البلاد المفتوحة أسواقا للعرب خيرا من سوق عكاظ ، وصار العرب يغشون المدن الكبيرة لقضاء أغراضهم ، فضعفت أسواق العرب ومنها عكاظ . ومع ذلك ظلت قائمة وكان آخر العهد بها قبيل سقوط الدولة الأموية . قال الكلبى ، وكانت هذه الأسواق بعكاظ ومجنة وذى المجاز قائمة فى الاسلام حتى كان حديثا من الدهر ، فأما عكاظ فانما تركت عام خرجت الحرورية بمكة مع أبى حمزة المختار بن عوف الأزدى الأباضى فى سنة تسع وعشرين ومائة ، خاف الناس أن ينهبوا وخافوا الفتنة فتركت حتى الآن ، ثم تركت مجنة وذو المجاز بعد ذلك واستغنوا بالأسواق بمكة وبمنى وبعرفة . . . . وآخر سوق خربت سنة ١٩٧ أشار فقهاء أهل مكه على داود بن عيسى بتخريبها فخربها وتركت إلى اليوم (٢)

فعكاظ عاصرت العصر الجاهلى الذى كان فيه ما وصل إلينا من شعر وأدب ، وجرت فيها أحداث بحياة النبى صلى الله عليه وسلم قبيل مبعثه ، ومهدت السبيل قبيل الاسلام لتوحيد اللغة والأدب ، وعملت على إزالة

---

(١) الازمنة والأمكنة ج ٢ ص ١٦٧ وما بعدها .

أخبار مكة للازرقى ص ١٣١ و ١٢٣

الفوارق بين عقليات القبائل ، وقصدها النبى صلى الله عليه وسلم يبث فيها دعوته ، وعاصرت الاسلام فى عهد الخلفاء الراشدين والعهد الأموى ولكن كانت حياتها فى الاسلام أضعف من حياتها قبله ، وبدأ ضعفها من وقت الهجرة لما كان من غزوات وحروب بين مكة والمدينة وبين المؤمنين والمشركين ، فلما فتحت الفتوح رأى العرب فى أسواق المدن المتحضرة فى فارس والشام والعراق ومصر عوضا عنها ، ثم كانت ثورة أبى حمزة الخارجى بمكة فلم يأمن الناس على أموالهم فخربت السوق ، وختمت صحيفة لحياة حافلة ذات أثر سياسى واجتماعى وأدبى

مجنة :

موضع بمر الظهران . وكانوا ينتقلون إليها من عكاظ فيقيمون إلى غاية ذى القعدة .

ذو المجاز :

خلف عرفة وكانوا يقيمون فيه ثمانية أيام من ذى الحجة ثم يقفون بعرفة فى اليوم التاسع .

وكان لهذه الأسواق عملها اللغوى فى الفهم والنقد والأيثار والاختيار ثم فى التبادل اللغوى بين القبائل عامة مما كان له أثر كبير فى تهذيب اللغة

٣ — ثم أنزل القرآن بلغة قريش فجمع العرب عليها وهذبها وجعلها أفصح اللغات ونشرها فى الدنيا وجعلها لغة عالمية بعد أن كانت لغة العرب وحدهم ، وبالقرآن الكريم تمت سيادة لغة قريش على لغات جميع القبائل العربية الأخرى ولهجاتهم

اختلاف اللهجات العربية :

ا — كانت اللهجات كثيرة لأن العرب شعوب وقبائل وبطون وأفخاذ

وعشائر وفصائل متشعبة ، وكان لكل قبيلة لهجة تميزها ، وبذلك كثرت اللهجات العربية وظهر الاختلاف بينها (١)، ولكنه كان فى الفروع واللهجات لا فى أصل اللغة ذاتها وكان أثرا للبيئة والمعيشة والحياة والجو . ولم تدون جميع هذه اللهجات(٢) ، ولكن بقى ظلها فى اللغة العربية .

ويقول أبو عمرو بن العلاء م ١٥٤ هـ : « ما لسان حمير وأقاصى اليمن بلساننا ولا عربيتهم بعربيتنا ، وكذلك يقول ابن خلدون فى مقدمته : « ولغة حمير لغة أخرى مغايرة للغة مضر كما هى لغة للعرب لعهدنا » .

وهذا طبعا تصوير للخلاف الواسع بين العربية والحميرية على عهد ابن العلاء وعهد ابن خلدون ، وهما يقصدان إلى اختلاف اللهجات . وذلك بدهى مما ذكرناه

ب ـ ومن صور اختلاف اللهجات العربية ما يبدو لك (٣) من :

١ ـ الكشكشة فى لهجة ربيعة ومضر ، وهى : زيادة شين بعد كاف المخاطبة المؤنثة فى الوقف ، أو فى الوقف والوصل جميعا ، أو جعل الشين مكان هذه الكاف مع كسرها فى الوصل واسكانها وقفا .

---

(١) واختلاف اللغات ـ أو اللهجات ـ يرجع إلى أمور ثلاثة :

١ ـ تباين اللهجات وتنوع المنطق كاختلافهم فى صيغة اللفظ أو كيفية النطق وهو المراد هنـــا .

٢ ـ اختلاف الدلالة للفظ الواحد باختلاف اللغات التى تنطق به ومن هذا النوع المترادف والأضداد .

٣ ـ ما يكون قد انفرد به عربى مع أطباق العرب على النطق بخلافه وهذا يجوز أن يكون قد دفع لذلك الأعرابى من لغة قديمة طال عليها العهد وبادت آثارها .

(٢) وبقيت اللغات مسماة منسوبة إلى أصحابها من العرب عند الرواة والعلماء إلى آخر القرن الثالث (١٢٩ الشهاب الراصد)

(٣) راجع ص ٩ وما بعدها ج ١ من تاريخ آداب اللغة العربية لمحمد بك دياب

فيقولون فى رأيتك : رأيتكش ، أو رأيتش .

٢ — الكسكسة فى لهجة ربيعة ومضر أيضا ، وهى : أن يجعلوا بعد الكاف أو مكانها فى خطاب المذكر سينا فيقولون فى عرفتك : عرفتس أو عرفتكس ونسبها الحريرى لبكر لا لربيعة ومضر ، وجعلها مثل الكشكشة (زيادة شين بعد خطاب المؤنثة) ، ونسبها القاموس لتميم وفسرها بما فسرها به الحريرى .

٣ — شنشنة اليمن ؛ وهى : ابدال الكاف شينا مطلقا ، فيقولون فى لبيك : لبيش ، وفى كلمنى : شلمنى .

٤ — القُطعة فى لغة طىء ، وهى قطع اللفظ قبل تمامه فيقولون « يا أبا الحكا » فى « يا أبا الحكم » .

٥ — لخلخانية الشحر وعمان ، وهى حذف بعض الحروف اللينة فيقولون « مشا الله » فى « ما شاء الله » .

٦ — طمطمانية حمير : والطمطمة أن يكون الكلام مشبها لكلام العجم . والطمطمانية هى : إبدال لام التعريف ميما ، ومن ذلك « ليس من أمبر أمصيام فى أمسفر . وفى اللغة : الطمطم والطمطمانى : الذى فى لسانه عجمة والعيى الذى لا يفصح .

٧ — فحفحة هذيل وهى قلب الحاء عينا مثل « عتى » فى « حتى » .

٨ — عجعجة قضاعة (١) وهى قلب الياء المتطرفة بعد عين جيما مثل « الساعج » فى « الساعى » .

٩ — غمغمة قضاعة وهى اخفاء الحروف عند الكلام فلا تكاد تظهر

١٠ — عنعنة تميم وقيس وهى جعل الهمزة المبدوء بها عينا مثل « عنت

---

(١) راجع ٦١ / ١ تاريخ آداب اللغة لمحمد بك دياب

كريم ، فى « انت كريم » ..والفرنج يعكسون فيقلبون العين همزة فيقولون فى على « ألِ » .

١١ — الاستنطاء فى لغة سعد والأزد وقيس والانصار وهو قلب العين الساكنة نونا قبل الطاء نحو « أنطى » فى أعطى .

١٢ — تلتلة بهراء من تميم وينسبها ابن فارس إلى أسد وغيرهم وهى كسر أحرف المضارعة ، وقيل كسر تاء تفعلون .

١٣ — وهم كلب وهو كسر هاء الغيبة إذا لم يكن قبلها ياء ساكنة ولا كسرة مثل منهم وعنهم .

١٤ — وكم ربيعة وهو كسر كاف الخطاب فى الجمع قبل ياء أو كسرة مثل « عليكم » .

١٥ — وتم اليمن : وهو ابدال السين المهملة تاء مثل النات فى الناس .

ج — على أن هناك اختلافات أخرى فى اللهجات منها :

١ — ابدال التاء هاء وعكسه فى الوقف عند طىء فيقول فى فاطمة « فاطمت » وفى « نعمت » « نعمه » .

٢ — ابدال الياء ميما وعكسه مثل « باسمك » مكان « ما اسمك » و« مكر » مكان « بكر » ، وهو لغة « مازن » ومنها آثار فى لهجة أهل مديرية الدقهلية وبعض الغربية حديثا فى مصر .

٣ — وابدال الحاء هاء مثل « مدهته » فى مدحته .

خصائص اللغة العربية :

تمتاز اللغة العربية بما يأتى :

١ — ثروتها اللغوية ، ففيها أسماء لكل ما تقع عليه العين أو تسمعه

الأذن أو يجول فى الخاطر .

٢ — صيغ المشاركة ، كتخاصموا وتحاجوا ، فهى خاصة باللغة العربية ولا توجد فى اللغات الأخرى .

٣ — الاعراب ويشاركها فيه كما يقول جورجى زيدان الحبشية والألمانية وكادت الألمانية تتخلص منه ، ويلاحظ أن العربية العامية تخلصت من الاعراب

٤ — الايجاز فهو فيها أوضح .

٥ — المجاز والاشتقاق وهما كذلك ظاهران فى اللغة العربية .

٦ — الاشتراك وهو دلالة اللفظ الواحد على أكثر من معنى كالعين للماء والذهب والفضة وللبصر ، وهو خاص باللغة العربية . ومنشؤه على الأرجح تعدد القبائل فيكون اللفظ بمعنى عند قبيلة وهو بمعنى آخر عند قبيلة أخرى . وقرائن الكلام والأسلوب توضح المراد من اللفظ .

٧ — التضاد : وهو أن يدل اللفظ على معنيين متضادين كجلل للعظيم والحقير (١) . ومنشؤه كذلك تعدد القبائل ، فتضع قبيلة اللفظ لمعنى ؛ وتضعه أخرى لضده .

والقرينة فيه أيضا هى التى ترشد إلى المراد .

عوامل نمو اللغة :

وأسباب نمو اللغة كثيرة منها :

---

(١) وكلفظ الجون للابيض والأسود ، ولفظ الوثب للقعود فى لغة حمير . ويروى فى أصل المثل « من دخل ظفار حمر » أن اعرابيا دخل على ملك من ملوك حمير فقال له الملك : « ثب » يريد : اقعد بلغة حمير ؛ فوثب الاعرابى ، فسأل الملك عن ذلك فقيل له أن الوثب بلغة العرب هكذا ، فقال أما إنه ليست عندنا عربية من دخل ظفار حمر ، أى تكلم بلغة حمير ، وهذا المثل صار يضرب لمن يدخل فى القوم فيأخذ بريهم .

١ ـ الاشتقاق : وهو أخذ كلمة من أخرى مع تشابه فى المعنى واتفاق فى الأحرف الأصلية وفى ترتيبها . وذلك كأكرم يكرم الخ وهو قياسى .

وأصل الاشتقاق المصدر أو الفعل على خلاف فى ذلك ، ويشتق من أسماء الأجناس كتذأب الرجل واستأسد . وهذا النوع من الاشتقاق سماعى والمراد بالاشتقاق هنا الاشتقاق الصغير طبعا .

٢ ـ المجاز ، وبه يتسع التعبير ، وتظهر البلاغة ، ويتنوع البيان .

٣ ـ التعريب وهو نقل اللفظ من العجمية إلى العربية (١) ، وفى القرآن ألفاظ معربة كسجيل ومشكاة وأباريق واستبرق ويم وطور ، وأنكر ذلك أبو عبيدة . وجمع آخرون بين الرأيين بأن الألفاظ أعجمية بحسب الأصل ثم صارت عربية .

وقد نشأ التعريب فى اللغة العربية بمجاورة العرب فى الجاهلية لسواهم من الأمم كالفرس والروم وباختلاطهم بهم فى التجارة والحروب والبعوث الدينية وغير ذلك .

٤ ـ النحت :

وهو أخذ كلمة من كلمتين فأكثر للدلالة بها على معنى ما نحتت منه « كحمدل فى » « الحمدلله » ، « وبسمل » فى « بسم الله » وعبشمى فى « عبدشمس » وفائدته الاختصار وزيادة ثروة اللغة وسهولة النطق .

وهو غير قياسى إلا عند ابن فارس ، ومن الألفاظ المنحوتة المولدة : الفذلكة

٥ ـ الترادف (٢) :

وهو توارد لفظين أو أكثر على معنى واحد كالبر والقمح والليث والأسد وينكر بعض الباحثين الترادف فى اللغة العربية بدعوى أن كل لفظ

---

(١) ٣ شفاء الغليل للخفاجى ط ١٢٨٢

(٢) راجع ٣٠٣ / ١ مجلة مجمع فؤاد الأول للغة العربية ط ١٩٣٥

من المترادفات يفيد مالا يفيده الآخر والصحيح أنه ورد فى اللغة .

والترادف وسيلة للتعبير والايضاح والبلاغة وهو ثروة فى اللغة وسهولة فى النطق .

وسبب الترادف قد يكون تعدد القبائل فتضع قبيلة اسما للشىء وتضع أخرى إسماً آخر له ؛ وقد يكون اختلاف صفات الشىء ، ويرى ابن جنى أنه لا مانع من أن تضع القبيلة للمعنى الواحد ألفاظا كثيرة . ويروى أن الرسول (ص) قال لأبى هريرة - وكان من قبيلة دوس - : ناولنى السكين ، فلم يفهم أبو هريرة حتى أشار اليها الرسول (ص) فقال : آلمدية تريد؟ فقيل له نعم فقال : أوتسمى عندكم سكينا ؟ ثم قال : والله لم أكن سمعتها إلا يومئذ .

٦ — الابدال :

وهو جعل حرف مكان حرف يقرب منه مخرجا غالبا .

وهو عظيم الأثر فى زيادة ثروة اللغة . كمدح ومده .

ومنشؤه تعدد اللغات ووضع القبائل ، أو تعدد الوضع من القبيلة الواحدة

ومن أمثلته : لطم ولدم ، ولثم أنفه ورثمه . فاللطم : الضرب بالكف مفتوحة ، واللدم : الضرب بشىء ثقيل يسمع صوته . ولثم أنفه : لكمه . ورثمه : كسره .

٧ — القلب :

وهو تقديم حرف أو تأخيره من حروف اللفظ الواحد مع المحافظة على معناه أو انحرافه قليلا عن أصله .

وهو الاشتقاق الكبير . ومثاله : سبك وسكب ، وجذب وجبذ وهكذا

وسببه التحريف أو اختلاف اللهجات أو استعمال القبيلة لهما فيما لهما مصدر واحد .

فالقلب وروده فى اللغة مسلم ، وهو رأى اللغويين والكوفيين ، ويرى

ابن درستويه أن مثل هذا لا يسمى قلباً لأن كل لفظ موضوع على حدة وذلك بسبب تعدد وضع القبائل .

ويرى آخرون أن ما كان له أصل واحد كان من القلب مثل أيس ويئس وما كان له أصلان معروفان فهو من تعدد اللغات مثل جذب وجبذ وهو مذهب البصريين .

فصاحة لغة قريش :

١ — وبعد فاللغة العدنانية كما سادت على جميع لهجات العرب ، كذلك سادت لهجة قريش على جميع اللهجات العدنانية ، بما كانت تضيفه إلى لغتها دائما من ثروة لغوية يفضل ما أفادته من ذوق لغوى فى رحلاتها التجارية وفى مواسم الحج وفى الاجتماعات العربية فى الأسواق وسواها .

ثم جاء القرآن الكريم بلغة قريش فتم لها السيادة على جميع لهجات العرب .

وقال معاوية يوما لجلسائه : أى الناس أفصح ؟ فقال رجل من السماط يا أمير المؤمنين : قوم قد ارتفعوا عن رُتة العراق ، وتياسروا عن كسكسة بكر ، وتيامنوا عن قشقشة تغلب ليس فيهم غمغمة قضاعة ، ولا طمطمانية حمير . قال : من هم ؟ قال : قومك يا أمير المؤمنين قريش . قال : صدقت ، فمن أنت ؟ قال من جرم . قال الأصمعى : جرم فصحاء الناس . وبحق كانت قريش أفصح العرب كما يقول الجاحظ (١٢٧ / ٣ البيان والتبيين) .

٢ — وكانت قريش تسمى آل الله وجيران الله وسكان الله واكتسبوا منزلة دينية وسياسية واجتماعية وأدبية كبيرة مما جعل فى العصر الجاهلى للغتهم السيادة والغلبة والذيوع .

ويقول عبد المطلب بن هاشم :

نحن آل الله فى ذمته لم تزل فينا على عهد قدم

لم تزل لله فينا حرمة يدفع الله بها عنا النقم

ويقول عمر بن عتبة : « إن كلامنا كلام يقل لفظه ويكثر معناه ويكتفى بأولاه ويستشفى بأخراه يتحدر تحدر الزلال على الكبد الحراء ، ولله قوم أدركتهم كأنما خلقوا لتحسين ماقبحت الدنيا ، سهلت ألفاظهم كما سهلت عليهم أنفاسهم »

وقال أبو الحسن : أسرع الناس جوابا عند البديهة قريش ثم بقية العرب

اللغة العربية ومنزلتها بعد نزول القرآن

وقد انتشرت اللغة العربية بعد نزول القرآن والفتح الاسلامى فى جميع أرجاء العالم ، وأصبح يلهج بها بعد قرن سكان سوريا ومصر وفلسطين وأفريقية الشمالية . وكان الاغريق قد سيطروا من قبل على الشرق الأدنى ، لكن سكانه ظلوا يتكلمون لغاتهم الأصلية منذ فتوح الاسكندر إلى الفتح العربى . ولم تعد اللغة اليونانية خلال عشرة قرون ان تكون لغة الطبقة المثقفة التى تبحث فى السياسة والعلوم والآداب .

وحدث بعد مرور قرنين على الفتح العربى ان أعرضت كل هذه الشعوب عن لغاتها الوطنية واعتنقت العربية ، حتى ان المتكلمين بالعربية زاد عددهم عن عدد المتكلمين بالسريانية فى القرن الثالث الهجرى .

وقال الدكتور طه حسين فى محاضرة له : أن للغة العربية ميزة لا توجد فى اللغة اليونانية ، وهى قوتها وجاذبيتها وقدرتها على زحزحة اللغات الوطنية والتمركز محلها ، وهى فى العالم الشرقى تشبه اللاتينية فى أوروبا الغربية . وقد فعلت فى الشرق الأدنى وأفريقيا الشمالية وأسبانيا ما فعلته اللاتينية فى أوروبا الغربية ، فللغتين إذا القوة نفسها والمهمة نفسها .

ثم قال : ان أثر الثقافة اليونانية يومئذ لم يكن عميقا ، وأن أولى الخدمات التى أدتها اللغة العربية للمدنية العالمية ، ولعلها اعظمها ، هى أنها سهلت للثقافة

اليونانية الاتصال بمختلف طبقات الشعب فى الشرق الأدنى . ولهذا التعمق فى الثقافة اليونانية أهميته الخاصة نظرا إلى أثر هذه الثقافة فى العالم . فاللغة العربية لغة عالمية عملت على التعاون بين الأمم والشعوب وهذه اللغة التى تكلمت بها شعوب الشرق الأدنى فى أقل من قرنين انتشرت أيضا فى ايران والهندوالشرق الأقصى ، وهى وان لم تتمكن من زحزحة لغات هذه البلاد ، إلا أنها تركت فيها الأثر البين ، وهى لغة السياسة كما أنها بصفة خاصة لغة الدين والعلوم والاداب .

وفى خلال ثلاثة قرون أعرض الايرانيون عن أدبهم الايرانى وتأدبوا بالأدب العربى . وكثيرون من كبار شعراء العربية هم من أصل إيرانى أمثال بشار وأبو العتاهية وسواهما . وهكذا تمكنت العربية ، هذه اللغة البدوية ، فى بعض الوقت ، من زحزحة لغة عريقة كالايرانية التى صمدت فى وجه اللغة اليونانية .

واللغة العربية لم تقتصر على الزحزحة والاحتلال ، بل أنها أخذت تغنى الشعوب التى اعتنقتها عن لغاتها الأصلية ، وقدفتحت صدرهاللفلسفة اليونانية وللحكمة الهندية والايرانية ، وللسياسة الايرانية ولمدنية اليونان والهندوايران وأصبحت العربية لغة تعاون بين الشعوب ، وخاصة بين الذين لم يتمكنوا بغير واسطتها من الاتصال والتفاهم . واللغة العربية هى الأولى فى التاريخ التى أوجدت التعاون بين العالمين الشرقى والغربى ، وهذا عمل كبير وجليل .

وقد استطاعت العربية أن تحفظ مكانها بوصفها لغة مدنية فى عالم اليوم عالم القرن العشرين .

الباب الثانى

النثر الجاهلى

معنى الجاهلية

يسمى العهد الذى كان قبل بعثة الرسول صلوات الله عليه العصر الجاهلى وقد وردت نصوص اسلامية كثيرة فيها لفظ « الجاهلية » . من ذلك قول عمر رضى الله : إنى نذرت فى الجاهلية أن أعتكف ليلة ، وقول عائشة رضى الله عنها : كان النكاح فى الجاهلية على أربعة أنحاء ، وقولهم : يارسول الله كنا فى جاهلية وشر ، وقالوا : شاعر جاهلى ، وقال رسول الله صلوات الله عليه أربعة فى أمتى من أمر الجاهلية . كل ذلك من الجهل ، ضد العلم والمعرفة أو بمعنى السفه والطيش والأثم ، أو بمعناهما جميعا ، ثم قيل جاهل بهذا المعنى أو ذاك أو ذلك ونسب إليه ، وأصبح ذلك علما على العصر الذى كان فى شبه الجزيرة العربية قبل مبعث محمد صلوات الله وسلامه عليه ، وهذا الاسم حدث فى الاسلام كما يقول ابن خالويه (١)

وسنتحدث هنا عن الأدب العربى فى العصر الجاهلى وما كان عليه شعرا ونثرا ، وعن أعلام الادب وحياتهم وأدبهم .

الشعر والنثر

١ — والادب الجاهلى ، أو قل الادب على الاطلاق . قسمان : شعر ونثر فالشعر هو الكلام الموزون المقفى ، والنثر هو ما خلا من الوزن والتقفية

---

(١) راجع ص ١٥ من كتاب عادات العرب فى جاهليتهم ط القاهرة ١٩٢٤ وراجع فى هذا البحث الشهاب الراصد ص٤٩ ط ١٩٢٦

والشعر يعتمد على الخيال والعاطفة ، ويثير الشعور والوجدان . والنثر غالبا مما يعتمد على الحقائق ويركن إلى صدق التعبير ، وقد يعتمد على الخيال ويتعمد إثارة العواطف ، ويصاغ فى أساليب شبيهة بأساليب الشعر فيسمى شعرا منثورا .

٢ — والنثر نوعان : أحدهما ما يدور فى كلامنا المألوف إذا تحدث الناس بعضهم إلى بعض فى حاجاتهم ومصالحهم فيرسلونه إرسالا على سجيتهم وعلى ما تدعو إليه الحاجة والمصلحة ، وهذا ما نسميه لغة التخاطب ، وهذا لا يعنى به الادب وليس قسما منه ، فليس شعرا ، وهو فى الوقت نفسه ليس هو النثر الذى يحفظ ويروى ويتأدب به الذى هو أحد قسمى الادب ، وإنما هو كلام عادى لم يقصد أصحابه فيه غالبا إلى الاجادة ولا إلى جمال فنى وإنما أرادوا تأدية مافى نفوسهم من المعانى وتحقيق ما تقتضيه منافعهم من الاغراض .

والثانى هو ما يسمى نثرا فنيا وهو ما حوى أفكارا منظمة ، فى عرض جميل جذاب وصياغة جيدة السبك فصيحة الاسلوب ، وهذا هو الذى يعد قسيما للشعر فى باب الادب ، وأهم أنواعه : الخطابة ، والكتابة الفنية . والكتابة عند الاوربيين : وصف أو قصص ، وعند العرب : رسائل وقصص ومناظرة وجدل وتاريخ .

وسنتكلم على مظاهر الأدب فى العصر الجاهلى بالتفصيل

٣ — ولكن هل الشعر هو السابق فى النشأة الأدبية أو النثر الفنى ؟

يرى الدكتور طه حسين ومن اتبعه إمقلدين فى ذلك بعض المستشرقين كالمسيو مرسيه الفرنسى أن الشعر أسبق فى الوجود من النثر الفنى (١) . ويستدلون على ذلك بما يأتى (٢) :

---

(١) راجع ص ٣٣/١ النثر الفنى لزكى مبارك

(٢) ص ١٠ - ١٢، ١٧٣ وما بعدها التوجيه الادبى ط ١٩٤٠ . الباب السابع =

ا ـ الشعر فى آداب الأمم الأوربية سابق على النثر فعند اليونان كانت قصائد هوميروس تنشد ويتغنى بها قبل أن يؤلف كتاب أو يظهر نثر فنى ، وفى الأدب الانكليزى ترى أن أقدم الآثار الأدبية عند الانكليز القدماء القصائد التى تصف أعمال «بيولف» وهى ترجع إلى القرن السادس أو السابع الميلادى . فقد ظلت الأمم تتمتع بأدب الشعر قبل أن ينشأ فيها أدب النثر.

ب ـ كثرة الشعراء فى العهد الأول لأدب أى أمة من الأمم وزيادتهم زيادة بينة على كتاب النثر .

حـ ـ ومن أقوى الأسباب التى قدمت نشأة الشعر على نشأة النثر فى رأيهم أن الأدب المنثور يتطلب معرفة بالكتابة والكتابة متأخرة فى تاريخ كل أمة فقصائد هوميروس انتشرت وذاعت وتناقلها الناس قبل أن تذيع الكتابة وكذلك روى الرواة الشعر العربى القديم قبل أن تذيع الكتابة ، ومنشىء الأدب المنثور لابد له من تدوين مايخطر له

د ـ الشعر يعتمد على الخيال فى حين يعتمد النثر الفنى على المنطق والتفكير والخيال يسبق التفكير فى حياة الأفراد والجماعات .

هـ ـ الجماعات الساذجة نجد عندها كلاما موزونا دون أن نجد عندها نثرا فنيا صحيحا .

و ـ الشعر متصل بالغناء فالناس يغنون شعرا قبل أن يغنوا نثرا لأنهم يجدون فى الشعر أوزانا تلائم تقطيع الغناء وأنغامه (١)

= من كتاب أصول النقد الادبى للشايب ، ٣٦٤ - ٣٦٨ من كتاب الادب الجاهلى لطه حسين . وراجع فى ذلك البحث : الطبع والصفة للهيأوى و١/٣٧ الحيوان للجاحظ .

(١) ويبدو لى أن نظرية سبق الشعر للنثر أخذها المستشرقون من كتاب الشعر لارسطو ففى الشفاء ـ فن الشعر ـ ما نصه . التخيل أسبق فى الزمن من التصديق فالناس أول مايسمعون انما يسمعون الامثال الشعرية التى فيها مشاكلة الاقاويل =

أما الدليل الأول فلا يدل على شيء ، بل هو إن دل فانما يدل على ضياع النثر لعدم تدوينه وبقاء الشعر لأنه يعلق بالحافظة ويخلد بالرواية .

ومن أجل ذلك بقى الشعر وأخبار الشعراء معروفة لم يحف عليها النسيان وهو السبب فى كثرة الشعراء فى العصور الأولى من عصور آداب الأمم كثرة كبيرة فى زيادتهم على الكتاب ورجال النثر وبذلك نجد الدليل الثانى منهارا .

ولعدم وجود الكتابة فى العصور القديمة التى هى وسيلة لتخليد النثر الفنى ضاع أغلب مالدى الأمم من نثر فنى ، فكيف إذا يستدلون على سبق الشعر للنثر باحتياج الأدب المنثور للكتابة فى تدوينه ، وبذلك تجد الدليل الثالث لايكاد يسير نحو الهدف خطوة واحدة .

وزعمهم أن الشعر يعتمد على الخيال والنثر على المنطق والتفكير صحيح فى الأول مبالغ فيه فى الثانى ، فلم يكون النثر الفنى فى بدء نشأته قد اعتمد على الخيال أيضا كالشعر ، ولم لايكون هذا النثر قد اعتمد على المنطق والتفكير على حسب عقلية الأمة وثقافتها ومقدار تفكيرها فى هذه العصور القديمة . وبذلك نجد الدليل الرابع لايؤدى إلى غاية .

وأما أن الأمم التى لم تصعد درجة فى الحضارة لها شعر وليس لها نثر فنى فخطأ فى الرأى ، فان هذه الجماعات الساذجة يوجد بجانب مالديها من شعر نثر فنى ملائم لعقلياتهم ومظهره الأمثال والحكم والتجارب والنصائح ، وذلك يشاهد كثيرا فى بيئتنا المصرية العامية التى يمثل بها هؤلاء تأييدا لرأيهم من سبق الشعر للنثر وبذلك لايمكننا التعويل على الدليل الخامس .

وأما أن الشعر غنى من قديم قبل أن يغنوا نثرا فمنشأ ذلك أن الشعر أصلح

= التخيلية ثم يتدرجون إلى الخطابة ثم إلى البرهان (الشفاء فن الشعر)

للغناء من النثر لموسيقاه وقافيته ، فكيف يتركونه ويغنونه بنثر فنى لا يلائم الغناء .

والحق أن النثر وجد أولا ثم تحول إلى النثر الفنى ، ثم نشأ بعد ذلك الشعر ، ويؤيد هذا الرأى إجماع كثير من المستشرقين على أن السجع كان المرحلة الأولى التى عبرها النثر إلى الشعر فى الأدب العربى القديم .

ويؤيده أيضا وجود الكتب الدينية السماوية من قديم الأجيال فى الأمم التى أنزلت لها ، وذلك قبل أن نسمع بالشعر والشعراء . ولعل هذه الكتب هى التى أدت إلى نشأة النثر الفنى فى العصور القديمة البعيدة قبل أن يوجد الشعر بزمن طويل .

ويؤيده أيضا إجماع الباحثين أو شبه إجماعهم على أن النثر أسبق من الشعر (١) .

٤ — وبعد فالنثر مرسل ومزدوج ومسجوع .

فالمسجوع كما فى سورة الكوثر ، والسجع هو ما أتحدت فاصلتاه أو فواصله فى الحرف الأخير مثل : من عاش مات ، ومن مات فات .

والمزدوج هو ما اتحدث فواصله فى وزنها لا فى الحرف الأخير منها — مما نسميه تقفية .. مثل قوله تعالى : ونمارق مصفوفة ؛ وزرابى مبثوثة .

والمرسل هو ماخلت فواصله من الاتحاد فى الوزن والقافية معا مثل : « لايلاف قريش ، إيلافهم رحلة الشتاء والصيف ، فليعبدوا رب هذا البيت ، الذى أطعمهم من جوع ، وآمنهم من خوف »

٥ — هذا وينكر بعض المستشرقين ومن تابعهم وجود نثر فنى جاهلى لأن عيشة العرب الأولين لم تكن توجد النثر الفنى لأنه لغة العقل ، على حين سمحت بالشعر لأنه لغة الخيال والعاطفة ، وهذا الرأى خطأ ، بدليل مايأتى:

---

(١) راجع ١٧ تاريخ الأدب العربى للزيات وسواه

ا ـــ كان عند كثير من الأمم القديمة كالفرس والهنود وقدماء المصريين نثر فنى قبل الميلاد بكثير فلم لايكون للعرب نثر فنى بعد الميلاد بخمسة قرون؟

ب ـ وجود الكتب الدينية يستدعى وجود نثر فنى

حـ ـــ بقاء بعض من النثر الجاهلى فى مصادر الأدب العربى وأمهات كتبه كالأغانى والأمالى وسواهما ، أما الكثير منه فقد ضاع لعدم تدوينه بالكتابة التى لم تكن معروفة فى الجاهلية إلا للقليل النادر من الناس .

٦ ـــ هذا والنثر الجاهلى ينقسم إلى أمثال وحكم ووصايا ، وخطب ، ومنافرات ، ومغامرات ، ومحاورات ، ونثر الكهان .

وسنتكلم على كل هذه الألوان الأدبية ان شاء الله تعالى (١)

---

(١) راجع ٣٦٤ - ٣٧٥ الادب الجاهلى لطه حسين فى الكلام على النثر الجاهلى . و ص ٨٦ - ١١٣ من كتاب الاسلوب للشايب فى الكلام على أساليب النثر . والباب السابع فى النثر من كتاب أصول النقد الأدبى للشايب .

ميزات النثر الجاهلى

فى معانيه ومبانيه وأساليبه

معانى النثر الجاهلى :

يمتاز النثر الجاهلى فى معانيه بما يأتى :

١ ــ الصدق والسذاجة والبساطة وعدم المبالغة أو الغلو

٢ ــ عدم التعمق فى المعانى أو تعقيدها أو التركيب والمزج بينها ، لأنهم كانوا فى بداوة تامة فى حياتهم وتفكيرهم وكل شئون معيشتهم

٣ ــ معانيهم مستمدة من بيئتهم وحياتهم ، ومنطلقة مع الحرية التى ألفتهم وألفوها وهى بدوية كلون حياتهم ، تنطق عن فطرة البداوة وتفكيرها وإحساسها

٤ ــ كثرة الحكم والأمثال فى نثرهم

٥ ــ تفكك المعانى وكثرة الانتقال بينها

أغراض النثر الجاهلى :

وأغراض النثر الجاهلى تشمل مايأتى :

١ ــ الدعوة إلى الانتقام والأخذ بالثار وإشعال نار الحرب . أو الدعوة إلى الصلح والسلام

٢ ــ المفاخرة والمنافرة والمحاورة والكهانة

٣ ــ وصف مشاهد الحياة ومظاهرها فى الصحراء

٤ ــ التوصية بفعل خير أو إسداء معروف أو سلوك نهج محمود أو بعد عن خطة مذمومة

٥ — الوفادة على الأمراء والملوك إلى غير ذلك من شتى أغراض النثر فى العصر الجاهلى

أسلوب النثر الجاهلى وألفاظه :

١ — وألفاظ النثر الجاهلى يبدو عليها السذاجة والبداوة ، فأحيانا سهلة رقيقة . وأحيانا وحشية وغريبة ، ولم يكونوا يتأنقون فى اختيار اللفظ ذى النغمة المتشابهة أو الجرس المتآلف ، ويندر استعمالهم للألفاظ الأعجمية فى نثرهم إلا قليلا منهم ممن اتصلوا بالفرس وسواها من الأمم القديمة

٢ — وأسلوب النثر الجاهلى يمتاز : بالخلو من اللحن والايجاز ، وقلة المترادف . وإيثار الكناية القريبة على التصريح ، وبقصر الجمل غالباً ، وخاصة فى الحكم والأمثال وسجع الكهان ، كما يمتاز بعدم التكلف فى الصياغة والأسلوب ، وإهمال الربط بين الجمل وعدم قصد المحسنات البديعية أو تعمدها . وكلامهم يخلو منها إلا نادرا وعن غير عمد أو قصد . وفى أسلوبهم الجزالة والقوة وشدة الأسر ، والوضوح . والقرب إلى الذوق الأدبى المطبوع

امثلة للنثر الفنى

فى العصر الجاهلى

١ — من النثر الفنى فى العصر الجاهلى هذه القطعة التى رواها القالى عن ابن الكلبي عن أبيه قال (١) :

كان قيل من أقيال حمير منع الولد دهرا ، ثم ولدت له بنت ، فبنى لها قصراً منيفا بعيدا من الناس ، ووكل بها نساء من بنات الأقيال يخدمنها ويؤدبنها ، حتى بلغت مبلغ النساء ، فنشأت أحسن منشأ وأتمه فى عقلها وكمالها فلما مات أبوها ملكها أهل مخلافها (٢) ، فاصطنعت النسوة اللواتى ربينها وأحسنت إليهن وكانت تشاورهن ولا تقطع أمراً دونهن . فقلن لها يوما : يابنت الكرام لو تزوجت لتم لك الملك ، فقالت : وما الزوج ؟ فقالت إحداهن : الزوج عز فى الشدائد ، وفى الخطوب مساعد ، إن غضبت عطف ، وإن مرضت لطف . قالت : نعم الشىء هذا فقالت الثانية : الزوج شعارى حين أصرد (٣) ؛ ومتكئى حين أرقد ، وأنسى حين أفرد ، فقالت : إن هذا من كمال طيب العيش الى آخر هذه القطعة الطويلة الجميلة الساحرة

٢ — وعن أبى عبيدة قال (٤) :

كان قيس بن رفاعة يفدسنة إلى النعمان اللخمى بالعراق وسنة إلى الحارث ابن أبى شمر الغسانى بالشام ، فقال له يوما وهو عنده : يا ابن رفاعة ، بلغنى أنك تفضل النعمان على ، قال : وكيف أفضله عليك أبيت اللعن ؟ فوالله لقفاك أحسن من وجهه ، ولأمك أشرف من أبيه ، ولأبوك أشرف من قومه ، ولشمالك أجود من يمينه ؛ ولحرمانك أنفع من نداه ؛ ولقليلك أكثر

---

(١) ١/٨٠ الأمالى (٢) المخلاف : الكورة (٣) أى أبرد (٤) ١/٢٥٧ الأمالى

من كثيره ، ولكرسيك أرفع من سريره ، ولجدولك أغمر من بحوره ، وليومك أفضل من شهوره ، ولزندك أورى من زنده ، ولجندك أعز من جنده ، وإنك لمن غسان أرباب الملوك ، وإنه لمن لخم الكثيرى النوك (١) فكيف أفضله عليك ؟

٣ — وعن العباس بن هشام عن أبيه قال (٢) :

كان قس بن ساعدة يفد على قيصر ويزوره ، فقال له قيصر يوما : ما أفضل العقل ؟ قال : معرفة المرء بنفسه ، قال : فما أفضل العلم ؟ قال : وقوف المرء عند علمه ، قال : فما أفضل المروءة ؟ قال : استبقاء الرجل ماء وجهه ، قال : فما أفضل المال ؟ قال : ماقضى به الحقوق

٤ — ومن المثل كذلك ماقالته وفود العرب فى تعزية سلامة ذى فائش بابنه(٣) ومنها :

قال الملأ : أيها الملك ، إن الدنيا تجود لتسلب ، وتعطى لتأخذ ، وتجمع لتشتت ، وتحلى لتمر ، وتزرع الأحزان فى القلوب بما تفجأ به من استرداد الموهوب . وقد تناهت إليك أنباء من رزىء فصبر ، وأصيب فاغتفر الخ

٥ — واجتمع (٤) عامر بن الظرب العدوانى وحمة بن رافع الدوسى(٥) عند ملك من حمير فقال : تساءلا حتى أسمع ماتقولان ، فقال عامر لحمة : من أجدر الناس بالصنيعة ؟ قال : من إذا أعطى شكر ، وإذا منع عذر ، وإذا موطل صبر ، وإذا قدم العهود ذكر ، قال : من أكرم الناس عشرة ؟ قال : من إن قرب منح ، وإن بعد مرح ، وإن ظلم صفح ، وإن ضويق سمح

---

(١) أى الحمق (٢) ٢/٣٧ الأمالى (٣) ٩٩ / ٢ الأمالى

(٤) ٢/٢٧٦ الأمالى

(٥) وكان ابنه عمرو أحد من تتحاكم اليه العرب (١٤٣ / ٢ الأمالى)

قال : من أحكم الناس ؟ قال : من صمت فادكر ، ونظر فاعتبر ، ووعظ فازدجر الخ

٥ — وكان هوذة بن على الحنفى يجير لطيمة كسرى فى كل عام (واللطيمة عير تحمل الطيب والبز) فوفد على كسرى ، فسأله عن بنيه ، فسمى له عددا . فقال: أيهم أحب إليك ؟ قال : الصغير حتى يكبر . والغائب حتى يرجع ، والمريض حتى يفيق ، فقال له : ماغذاؤك فى بلدك ؟ قال : الخبز . فقال كسرى لجلسائه: هذا عقل الخبز ، يفضله على عقول أهل البوادى الذين غذاؤهم اللبن والتمر (١)

٦ — وخطب عمرو بن حجر إلى عوف بن محلم الشيبانى ابنته فقال : نعم أزوجكها على أن اسمى بنيها وأزوج بناتها . فقال عمرو : أما بنونا فنسميهم بأسمائنا وأسماء آبائنا وعمومتنا ، وأما بناتنا فنزوجهن أكفاءنا من الملوك ، ولكنى أصدقها عقارا فى كندة ، وأمنحها حاجات قومها ، لاترد لأحد منهم حاجة . فقبل ذلك منه أبوها فلما كان بناؤها به ، خلت بها أمها فقالت :

« أى بنية ، انك فارقت بيتك الذى منه خرجت ، وعشك الذى فيه درجت ، إلى رجل لم تعرفيه ، وقرين لم تألفيه ، فكونى له أمة يكن لك عبدا ، واحفظى له خصالا عشرا يكن لك ذخرا ، اما الأولى والثانية فالخشوع له بالقناعة وحسن السمع له والطاعة ، وأما الثالثة والرابعة فالتفقد لموضع عينه وأنفه فلاتقع عينه منك على قبيح ولايشم منك إلا أطيب ريح وأما الخامسة والسادسة فالتفقد لوقت طعامه ومنامه ، فان تواتر الجوع ملهبة وتنغيص النوم مغضبة ، وأما السابعة والثامنة فالاحتراس بماله والارعاء على حشمه وعياله ، وملاك الأمر فى المال حسن التقدير ، وفى العيال حسن التدبير وأما التاسعة والعاشرة فلا تعصن له أمراً ، ولاتفشين له سرا . فانك إن عصيت أمره أوغرت صدره ، وإن أفشيت سره لم تأمنى غدره ، ثم إياك

---

(١) ص ٩٧ مختار العقد الفريد ١٩١٠

والفرح بين يديه إذا كان مهتما والكآبة بين يديه إذا كان فرحا . فولدت له الحارث بن عمرو جد امرىء القيس الشاعر (١)

٧ — وذكروا أن هند بنت عتبة قالت لأبيها : لاتزوجنى من أحد حتى تعرض على أمره وتبين لى خصاله ، فخطبها أبو سفيان وسهيل بن عمرو فدخل عليها أبوها يقول

أتاك سهيل وابن حرب وفيهما رضا لك ياهند الهنود ومقنع
وما منهما إلا يواسى بفضله وما منهما إلا يضر وينفع
وما منهما إلا كريم مرزأ وما منهما إلا أغر سميدع
فدونك فاختارى فأنت بصيرة ولا تخدعى إن المخادع يخدع

قالت : ياأبت والله ماأصنع بهذا شيئاً ، ولكن فسر لى أمرهما ، وبين لى خصالهما ، حتى اختار أشدهما موافقة لى ، فبدأ بذكر سهيل ، فقال : فى ثروة وسعة من العيش ان تابعته تابعك ، وإن مات عنه حط اليك ، تحكمين عليه فى أهله وماله . وأما الآخر : فموسع عليه ، منظور إليه فى الحسب الحسيب ، والرأى الأريب ، مدره أرومته ، وعز عشيرته ، شديد الغيرة ، كبير الطهرة . فقالت : ياأبت الأول سيد مضياع للحرة ، فما عست أن تلين بعد إبائها ، وتضيع تحت جناحه ، إذا تابعها بعلها فأشرت ، وخافها أهلها فأمنت ، فساء عند ذلك حالها ، وقبح دلالها ، فان جاءت بولد أحمقت ، وان أنجبت فعن خطأ ماانجبت ، فاطو ذكر هذا عنى ، ولاتسمه على بعد . وأما الآخر فبعل الفتاة الخريدة ، الحرة العفيفة ، وإنى لأخلاق مثل هذا لموافقة . فزوجنيه . فزوجها من أبى سفيان (٢)

---

(١) ٣٢٧ مختار العقد

(٢) ٣٢٨ مختار العقد ، ٢/١٠٤ الامالى

أقسام النثر

١ — الحكم والأمثال

نماذج لهما :

١ — من حكماء العرب أكثم بن صيفى التميمى ، ومن حكمه : رب عجلة تهب ريثا . رضا جميع الناس غاية لاتدرك آفة الرأى الهوى . من يزر غبا يزدد حبا . من سأل فوق قدره استحق الحرمان . لم يذهب من مالك ماوعظك ويلى للشجى من الخلى . مقتل الرجل بين فكيه . قبل الرماء تملأ الكنائن (١)

٢ — ومن حكمائهم : ذو الأصبع العدوانى ، وعامر بن الظرب وقس بن ساعدة ، وحاجب بن زرارة ، وهاشم بن عبد مناف ، وعبد المطلب بن هاشم وهند بنت الخس . وسواهم ولا داعى لذكر أمثلة لحكمتهم . ومن أقدم حكمائهم لقمان المشهور (٢) ومن حكمه : رب أخ لك لم تلده أمك . الصمت حكم وقليل فاعله . اخر الدواء الكى وكان عمرو بن جمة الدوسى أحد من تتحاكم إليه العرب (٣) .

٣ — ومن حكمهم : العتاب قبل العقاب . كلم اللسان أنكى من كلم السنان أول الحزم المشورة . أنجز حر ماوعد . اترك الشر يتركك . رب ملوم لاذنب له . من مأمنه يؤتى الحذر .

---

(١) راجع ص ٢١٦ مفراج البيان . وراجع أمثال أكثم بن صيفى وبزرجمهر فى العقد ص ٦٢ ج ٢

(٢) يتنازعه العرب والحبشة والمصريون واليهود وراجع الحديث عنه فى الجزء الثانى من الشريشى

(٣) ١٤٣ / ٢ الأمالى .

٤ — ومن أمثالهم :

ان العوان لاتعلم الخمرة (١)

ان البلاء موكل بالمنطق (٢)

إن أخاك من اساك .

سبق السيف العذل (٣)

عينك عبرى والفؤاد فى دد . الدر اللهو (٤)

عند جهينة الخبر اليقين .

مايوم حليمة يسر (٥)

أحشفا وسوء كيلة — يضرب لمن يجمع بين خصلتين مكروهتين

نفس عصام سودت عصاما (٦)

الصيف ضيعت اللبن

كالمستجير من الرمضاء بالنار

رجع بخفى حنين

اليوم خمر وغدا أمر (٧)

إلى غير ذلك (٨)

---

(١) العوان النصف التى بلغت مبلغ النساء . والخمرة : لبس الخمار . يضرب للعالم بالأمر المجرب له .

(٢) ينسب لأبى بكر قاله حين أمرا لرسول أن يعرض نفسه على القبائل ويضرب لمن يتورط بقوله فيما يؤذيه .

(٣) يضرب فى الخطأ يلام فاعله بعد وقوعه .

(٤) يضرب لمن يظهر خلاف مايبطن .

(٥) حليمة بنت ملك غسان . يضرب للامر المشهور الذى لايكاد يجهل .

(٦) يضرب فى تردد الرجل بنفسه

(٧) يضرب فى تقلب الايام

(٨) راجع ٢٢٤ وما بعدها معراج البيان ، وراجع كتاب الامثال للميدانى

٥ — وقد يتمثل بالأمثال على لسان طائر أو حيوان أو نبات أو جماد تسلية وفكاهة أو خوفا وحذرا من استبداد مستبد أو استطرافا وروعة أو وضعا للحكمة فى موضع الأمر المشهور المسلم به من كل شىء . ويمثل ذلك كليلة ودمنة وفاكهة الخلفاء وسواهما

ومن ذلك :

فى بيته يؤتى الحكم (١)

كيف أعاودك وهذا أثر فأسك (٢)

الى غير ذلك

ماهى الحكمة :

والحكمة قول بليغ موجز صائب يصدر عن عقل وتجربة وخبرة بالحياة ويتضمن حكما مسلما فى أمر بخير أو نهى عن شر . وقد كثرت الحكم والحكماء فى الجاهلية (٣) وكان فى كل قبيلة حكيم تفزع اليه فى الشدائد والمعضلات والمنافرات والخصومات .

---

(١) قالوا : إن الأرنب التقطت ثمرة فاختلسها الثعلب وأكلها فانطلقا يتخاصمان إلى الضب فقالت الأرنب يا أبا الحسل . قال سميعا دعوت . قالت . أتيناك لنختصم اليك . قال . عادلا حكمتما . قالت : فاخرج إلينا . قال : فى بيت يؤتى الحكم . قالت : إنى وجدت ثمرة . قال : حلوة تكليها . قالت . فاختلسها الثعلب قال . لنفسه بغى الخير . قالت . فلطمته . قال . بحقك أخذت . قالت . فلطمنى قال . حر انتصر . قالت . فاقض بيننا . قال . قد قضيت . فذهبت أقواله كلها أمثالا

(٢) يضرب لمن لا يفى بالعهد . وهو مقول على لسان حية

(٣) وكانت هند بنت الخس من حكيمات العرب (راجع حديثها مع أبيها فى ص ١٠٧ ذيل الأمالى)

والحكم من البلاغة بمكان كبير لايجازها ووضوحها وفصاحتها ودقة معناها وروعة هدفها

وتكسب الكلام سحرا وحلاوة ، وتجعله مقبولا فى الذوق قريبا إلى القلب مسلما به من العقل والشعور والوجدان

وإذا اشتهرت الحكمة صارت مثلا

ماهو المثل ؟

والمثل قول سائر شبه مضربه بموردة ، أو قل شبه فيه حال المقول فيه ثانيا بحال المقول فيه أولا

ويمتاز المثل بشهرته وإيجازه ورقة معناه وإصابة الغرض المنشود منه وصدق تمثيله للحياة العامة ولأفكار الشعب على وجـــه الخصوص ، وهو يكسب الكلام سحرا وروعة وجمالا وبلاغة . وتقال الأمثال الفرضية للحذر من استبداد المستبدين وطغيانهم ، وهى وسيلة للنقد والسخرية حقا

والأمثال أصدق شىء يتحدث عن أخلاق الأمة وتفكيرها وعقليتها وتقاليدها وعاداتها ، ويصور المجتمع وحياته وشعوره أتم تصوير ، وهى مرآة للحياة الاجتماعية والسياسية والعقلية

والأمثال يصعب عليك تمييز الجاهلى منها من الاسلامى لاختلاطهما ببعض عند الرواة والمؤلفين ولكن مايشير إليه المثل من حادث أو قصة أو خبر مما يتصل بالجاهلية قد يساعد على معرفة الجاهلى منها وتميزه من الاسلامى

والأمثال إما حقيقية أو فرضية ، فالحقيقية لها أصل وقائلها غالبا معرف والفرضية ماكانت من تخيل أديب ووضعها على لسان حيوان أو جماد أو ماشاكل ذلك

والأمثال إما شعر وإما نثر ، ومثالها من الشعر :

تمتع من شميم عرار نجد فما بعد العشية من عرار (١)
أن ترد الماء بماء أوفق لاذنب لى قد قلت للقوم استقوا (٢)
لاتقطعن ذنب الأفعى وترسلها إن كنت شهما فأتبع رأسها الذنبا (٣)
كناطح صخرة يوما ليوهنها فلم يضرها وأوهى قرنه الوعل (٤)

وكذلك الحكم : إما نثر أو شعر . وقد سبق أمثلة لها وللأمثال من النثر أما الحكمة الشعرية فمن مثلها :

إذا المرء لم يخزن عليه لسانه فليس على شىء سواه بخزان
ولست بمستبق أخا لاتلمه على شعث أى الرجال المهذب ؟
إذا المرء لم يدنس من اللؤم عرضه فكل رداء يرتديه جميل
ومن لايذد عن عرضه بسلاحه يهدم ومن لايظلم الناس يظلم

ب ـ الوصايا والنصائح

نماذج :

١ — ذو الأصبع العدوانى حكيم شاعر وأحد المعمرين فى الجاهلية . قال لما احتضر يوصى ابنه أسيدا :

يابنى إن أباك قذفنى وهو حى ، وعاش حتى سئم العيش ، وإنى موصيك

---

(١) للصمة بن عبد الله القشيرى . ويضرب فى التمتع بالزائل . والعرار : نبت طيب الرائحة وهو النرجس البحرى

(٢) يضرب لمن لايقبل الموعظة

(٣) هو لأبى أذينه اللخمى يحرض الأسود بن المنذر على قتل بعض أسارى غسان يضرب فى التحريض على استئصال شأفة الشر

(٤) يضرب لمن يحاول مالا يستطيع فيطيب نفسه دون فائدة

بما أن حفظته بلغت فى قومك مابلغته ألن جانبك لقومك يحبوك، وتواضع لهم يرفعوك ، وأبسط لهم وجهك يطيعوك ، ولا تستأثر عليهم بشىء يسودوك وأكرم صغارهم ، كما تكرم كبارهم ، يكرمك كبارهم ، ويكبر على مودتك صغارهم ، واسمح بمالك ، وأعزز جارك وأعن من استعان بك وأكرم ضيفك ، وصن وجهك عن مسألة أحد شيئاً ، فبذلك يتم سؤددك

٢ — ونصح أوس بن حارثة ابنه مالكا حين حضره الموت فقال (١) : يامالك المنية ولا الدنية ، والعتاب قبل العقاب ، والتجلد لا التبلد ، واعلم أن القبر خير من الفقر ، ومن كرم الكريم ، الدفاع عن الحريم ، ومن قل ذل ، وخير الغنى القناعة ، وشر الفقر الضراعة الخ

٣ — وأوصت اعرابية ولدها فقالت :

أى بنى إياك والنميمة ، فانها تزرع الضغينة ، وتفرق بين المحبين ، وإياك والتعرض للعيوب فتتخذ غرضا . وخليق ألا يثبت الغرض على كثرة السهام وقلما اعترضت السهام غرضا إلا كلمته حتى يهى ما اشتد من قوته ، وإياك والجود بدينك والبخل بمالك ، وإذا هززت فأهزز كريما يلن لهزتك ، ولا تهز لئيما فان الصخرة لا ينفجر ماؤها .

٤ — واقرأ وصية زهير بن جناب الكلبى لبنيه ، والتى يقول منها :

يابنى قد كبرت سنى ، وبلغت حرسا (١) من دهرى ، فأحكمتنى التجارب والأمور تجربة واختيار ، فاحفظوا عنى ما أقول وعوه ، إياكم والخور عند المصائب ، والتواكل عند النوائب ، فان ذلك داعية للغم ، وشماتة للعدو ، وسوء ظن بالرب الخ .

٥ — وأوصى النعمان بن ثواب العبدى ابنا له فقال :

---

(١) اى امرا طويلا منه .

(١) ١/١٠٢ الأمالى

يابنى ان الصارم ينبو ، والجواد يكبو ، والأثر يعفو ، فاذا شهدت حربا فرأيت نارها تسعر وبطلها يخطر ، وبحرها يزخر ، وضعيفها ينصر ، وجبانها يجسر ، فأقلل المكث والانتظار ، فان الفرار غير عار ، إذا لم تكن طالب ثار .

٦ — واقرأ وصية امرأة عوف بن محلم الشيبانى لابنتها أم إياس وكان عمرو بن حجر جد امرىء القيس تزوجها ، ثم خرج بها من نادى قومها ، فأوصتها أمها قالت :

أى بنية إنك فارقت الجو الذى منه خرجت وخلفت العش الذى فيه درجت ، إلى وكر لم تعرفيه ، وقرين لم تألفيه ، فاحملى عنى عشر خصال تكن لك ذخرا :

اصحبيه بالقناعة ، وعاشريه بحسن السمع والطاعة ، وتعهدى موقع عينه فلا تقع عينه منك على قبيح ، ثم اعرفى وقت طعامه ، واهدئى عند منامه ، فان حرارة الجوع ملهبة ، وتنغيص النوم مبغضة ، ثم اتقى مع ذلك الفرح أمامه إن كان ترحاً ، والاكتئاب عنده إن كان فرحا ، فان الخصلة الأولى من التقصير ، والثانية من التكدير ، وكونى أشد الناس له إعظاما ، يكن أشدهم لك إكراما ، واعلمى انك لاتصلين إلى ماتحبين حتى تؤثرى رضاه على رضاك ، وهواه على هواك ، فيما أحببت أو كرهت . والله يخير لك.

٧ — وصية لأكثم بن صيفى

تباروا فان البريق عليه العدد ، وكفوا ألسنتكم فإن مقتل الرجل بين فكيه ، إن قول الحق لم يدع لى صديقاً ، الصدق منجاة ، لاينفع التوقى بماهو واقع ، فى طلب المعالى يكون العنا ، الاقتصاد فى السعى أبقى للجمام ، أصبح عند رأس الأمر أحب إلى من أن أصبح عند ذنبه ، لم يهلك من مالك ما وعظك ويل لعالم أمر من جاهله ، يتشابه الأمر إذا أقبل ، وإذا أدبر عرفه الكيس والأحمق ، البطر عند الرخاء حمق والعجز عند البلاء أمن ، لاتغضبوا من اليسير

فانه يجنى الكثير ، لاتجيبوا فيما لاتسألون عنه ، ولا تضحكوا مما لايضحك منه ، حيلة من لاحيلة له الصبر ، إن تعش تر مالم تره ، المكثار كحاطب ليل من أكثر أسقط ، لاتجعلوا سراً إلى أمة

إلى ماسوى ذلك من بليغ وصاياهم وفصيح نصائحهم المأثورة .

ماهى الوصايا :

والوصايا جمع وصية ، والوصية ماتوجهه الى انسان أثير لديك من ثمرة تجربة وحكمة وارشادو توجيه ، وكذلك النصيحة ، فمعناهما متقاربان أو متحدان

والوصية لون من ألوان الخطابة قاصر على الأهل والأقارب والأصدقاء . والفرق بينهما أن الوصية تكون من الرجل لقومه أو أبنائه ومن الأم لابنتها والخطابة تكون فى المشاهد والمجامع والحروب والمعارك وفى المغامرة والمحـــاورة والمنافرة وفى الوفادة على ملك أو أمير وفى المواسم والاجتماعات العامة .

والوصايا كثيرة فى النثر الجاهلى ، وتمتاز بجمالها وتناسب جملها وأساليبها ورقتها وما يشيع فيها من حكمة وصدق تعبير ونفاذ فكر وثقوب نظر

جـ — الخطابة فى الجاهلية

نماذج لها :

١ — خطب هانىء بن قبيصة الشيبانى فى قومه يوم ذى قار وهو يحرضهم ؛ قال :

يامعشر بكر ، هالك معذور خير من ناج فرور ، ان الحذر لاينجى من القدر ، وان الصبر من أسباب الظفر ، المنية ولا الدنية ، استقبال الموت خير

من استدباره . الطعن فى ثغر النحور أكرم منه فى الاعجاز والظهور . يا آل بكر قاتلوا فما للمنايا من بد (١) .

٢ — خطبة المأمون الحارثى فى نادى قومه :

قعد المأمون الحارثى فى نادى قومه . فنظر الى السماء والنجوم ثم أفكر طويلا . ثم قال :

أرعونى اسماعكم ، وأصغوا إلى قلوبكم ، يبلغ الوعظ منكم حيث أريد . طمح (٢) بالأهواء الأشر (٣) ، وران (٤) على القلوب الكدر ، وطخطخ (٥) الجهل النظر ، إن فيما نرى لمعتبراً لمن اعتبر ، أرض موضوعة . وسماء مرفوعة ، وشمس تطلع وتغرب ، ونجوم تسرى فتعزب ، وشاب مختضر (٦) ، ويفن (٧) قد غبر ، وراحلون لايؤوبون . وموقوفون لايفرطون ، ومطر يرسل بقدر ، فيحيي البشر ، ويورق الشجر ، ويطلع الثمر ، وينبت الزهر ، إن فى ذلك لأوضح الدلائل على المدبر المقدر ، البارىء المصور (٨)

٣ — خطباء العرب يعزون قيلا من أقيال حمير فى ابنه :

نشأ لسلامة ذى فائش ابن كأكمل أبناء المقاول (٩) ، وكان به مسرورا يرشحه لموضعه ، فركب ذات يوم فرسا صعبا ، فكب به فوقصه (١٠) ، فجزع عليه أبوه جزعا شديدا ، وامتنع من الطعام ، واحتجب عن الناس ، واجتمعت وفود العرب ببابه ليعزوه ، فخرج إلى الناس ، فقام خطباؤهم يؤسونه (١١) ، فقام الملبب بن عوف الجعفى ، فقال :

أيها الملك ، إن الدنيا تجود لتسلب ، وتعطى لتأخذ . وتجمع لتشتت ،

---

(١) ١/١٦٩ الأمالى (٢) ارتفع وعلا (٣) البطر
(٤) غلب (٥) أظلم
(٦) أى مات حدثا صغيرا (٧) الشيخ الكبير
(٨) راجع ١/٢٧٣ الأمالى . والمأمون بالنون فى الأمالى ، وبالراء (المأمور) عند بعض الرواة (٩) من هم دون الملوك العظماء
(١٠) كسره (١١) يعزونه

وتحلى لتمر ، وتزرع الأحزان فى القلوب ، بما تفجأ به من استرداد الموهوب، وكل مصيبة تخطأتك [١] جلل [٢] ، مالم تدن الأجل . وتقطع الأمل ، وإن حادثا ألم بك ، فاستبد [٣] بأقلك وصفح عن أكثرك لمن أجل النعم عليك . وقد تناهت إليك أنباء من رزىء فصبر ، وأصيب فاغتفر . فاستشعر اليأس عما فات إذ كان ارتجاعه ممتنعا ، ومرامه مستصعبا ، فلشىء ماضربت الأسى [٤] . وفزع أولو الألباب إلى حسن العزاء [٥]

٤ — خطبة قس بن ساعدة الايادى (٦) فى عكاظ :

قدم وفد اياد على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : أيكم يعرف قس ابن ساعدة الايادى قالوا : كلنا نعرفه قال : فما فعل قالوا : هلك قال : ماأنساه بسوق عكاظ فى الشهر الحرام على جمل له أحمر وهو يخطب الناس ويقول : اسمعوا ، وعوا ، من عاش مات ، ومن مات فات ، وكل ما هو آت آت ، ان فى السماء لخبرا ، وان فى الأرض لعبرا . سحائب تمور ، ونجوم تغور ، فى فلك يدور ، ويقسم قس قسما ان لله دينا هو أرضى من دينكم هذا ، ثم قال : مالى أرى الناس يذهبون ولا يرجعون ، أرضوا بالاقامة فأقاموا أم تركوا فناموا ؟ أيكم يروى من شعره ، فأنشأ بعضهم :

فى الذاهبين الأولين من القرون لنا بصائر
لما رأيت مواردا للموت ليس لها مصادر
ورأيت قومى نحوها تمضى الأكابر والأصاغر
لايرجع الماضى ولا يبقى من الباقين غابر
أيقنت أنى لامحالة حيث صار القوم صائر [٧]

---

(١) أخطأتك (٢) صغير (٣) استبد به : أى جعله نصيبه
(٤) جمع اسوة . وهى القدوة (٥) ٢/٩٩ الأمالى
(٦) تجدها ب البيان والتبيين «١/٢٠٣» ، وفى العقد ص ٣٨٥ ج ٢
(٧) ٢٦٩ و ٢٧٠ مختار العقد الفريد ط ١٩١٠

٥ — وراجع ماقيل من خطب فى :

ا — وفود العرب على كسرى[١]

ب — ووفود أبى سفيان على كسرى [٢]

ج — « قريش على سيف بن ذى يزن [٣]

د — « العرب على النعمان [٤]

٦ — ومن خطبة مرثد الخير [٥] — وكان قيلا من أقيال اليمن — فى سبيع بن الحارث وميثم بن مثوب بن ذى رعين ، حين تنازعا الشرف وتخاصما وخيف أن يقع بين حييهما شر فيتفانى جذماهما (٦)

ان التخبط [٧] ، وامتطاء الهجاج [٨] ، واستحقاب [٩] اللجاج ، سيقفكما على شفا هوة ، فى توردها بوار [١٠] الأصيلة [١١] ، وانقطاع الوسيلة ، فتلافيا أمركما قبل انتكاث العهد ، وانحلال العقد ، وتشتت الألفة ، وتباين السهمة (٢) ، وأنتما فى فسحة رافهة (٣) وقدم واطدة (٤) . فقد عرفتم أنباء من كان قبلكم من العرب ، ممن عصى النصيح ، وخالف الرشيد ، وأصغى إلى التقاطع ، ورأيتم ما آلت إليه عواقب سوء سعيهم ، وكيف كان صيور (٥) أمورهم

٧ — وخطب أبو طالب حين تزوج النبى صلى الله عليه وسلم السيدة خديجة ، فقال :

---

(١) ١/١٦٦ العقد الفريد ط ١٩٢٨ (٢) ١/١٧٤ المرجع

(٣) ١/١٧٥ المرجع (٤) ١/٢٥٦ المرجع (٥) راجع ١/٩٢ الأمالى

(٦) الجذم : الأصل (٧) ركوب الرجل رأسه فى الشر خاصة

(٨) ركب الرجل هجاجه إذا لج أى ركب رأسه

(٩) استفعال من الحقيبة وهى ما يجعل الرجل فيه متاعه . وهذا مثل يريد أنه احتزم باللجاج أو جعله فى وعائه (١٠) هلاك (١١) الاصيلة والاصل واحد

(٢) القرابة (٣) ناعمة (٤) ثابتة (٥) الصيور : الامر الذى يرجع إليه

الحمد لله الذى جعلنا من ذرية ابراهيم ، وزرع اسماعيل ، وجعل لنا بلدا حراما ، وبيتا محجوجا

وجعلنا الحكام على الناس . ثم إن محمد بن عبد الله من لايوزن به فتى من قريش إلا رجح عليه برا وفضلا ، وكرما وعقلا ، ومجدا ونبلا ، وإن كان فى المال قل ، فانما المال ظل زائل ، وعارية مسترجعة ، وله فى خديجة بنت خويلد رغبة ، ولها فيه مثل ذلك ، وما أحببتم من الصداق فعلى .

٨ — خطبة هاشم بن عبد مناف يحث قريشا على إكرام زوار بيت الله الحرام :

رووا أن هاشم بن عبد مناف كان يقوم أول نهار اليوم الأول من ذى الحجة ، فيسند ظهره إلى الكعبة من تلقاء بابها ، فيخطب قريشا ، فيقول :

يامعشر قريش ، أنتم سادة العرب ، أحسنها وجوها ، وأعظمها أحلاما ، وأوسطها أنسابا ، وأقربها أرحاما .

« يامعشر قريش ، أنتم جيران بيت الله ، أكرمكم بولايته ، وخصكم بجواره دون بنى اسماعيل ، وحفظ منكم أحسن ماحفظ جار من جاره ، فأكرموا ضيفه ، وزوار بيته ، فإنهم يأتونكم شعثاً غبرا من كل بلد ، فورب هذه البنية : لو كان لى مال يحمل ذلك لكفيتكموه ، ألا وإنى مخرج من طيب مالى وحلاله ، مالم يقطع فيه رحم ، ولم يؤخذ بظلم ، ولم يدخل فيه حرام ، فواضعه ؛ فمن شاء منكم أن يفعل مثل ذلك فعل ، وأسألكم بحرمة هذا البيت ألا يخرج رجل منكم من ماله لكرامة زوار بيت الله ومعونتهم إلا طيباً ، لم يؤخذ ظلماً ، ولم يقطع فيه رحم ، ولم يغتصب » .

٩ — خطبة هاشم بن عبد مناف فى قريش وخزاعة :

تنافرت قريش وخزاعة إلى هاشم بن عبد مناف ؛ فخطبهم بما أذعن له الفريقان بالطاعة ، فقال فى خطبته :

« أيها الناس ، نحن آل ابراهيم ، وذرية اسماعيل ، وبنو النضر بن كنانة ، وبنو قصى بن كلاب ، وأرباب مكة ، وسكان الحرم ، لنا ذروة الحسب ، ومعدن المجد ، ولكل فى كل حلف ، يجب عليه نصرته ، وإجابة دعوته ، إلا مادعا إلى عقوق عشيرة ، وقطع رحم .

يابنى قصى ، أنتم كغصنى شجرة : أيهما كسر أوحش صاحبه ، والسيف لايصان إلا بغمده ، ورامى العشيرة يصيبه سهمه ، ومن أمحكه اللجاج أخرجه إلى البغى .

أيها الناس ، الحلم شرف ، والصبر ظفر ، والمعروف كنز ، والجود سؤدد ، والجهل سفه ، والأيام دول ، والدهر غير ، والمرء منسوب إلى فعله ومأخوذ بعمله ، فاصطنعوا المعروف تكسبوا الحمد ، ودعوا الفضول تجانبكم السفهاء ، وأكرموا الجليس يعمر ناديكم ، وحاموا الخليط يرغب فى جواركم وأنصفوا من أنفسكم يوثق بكم ، وعليكم بمكارم الأخلاق فإنها رفعة ، وإياكم والأخلاق الدنية ، فإنها تضع الشرف . وتهدم المجد ، وإن نهنهة الجاهل أهون من جريرته ، ورأس العشيرة يحمل أثقالها ، ومقام الحليم عظة لمن انتفع به .

فقالت قريش : رضينا بك أبا نضلة ! وهى كنيته

١٠ — وراجع خطبة البرجمى أمام حاتم الطائى فى وفادته عليه فى دماء حملها (١) .

ماهى الخطابة : ؟(٢)

الخطابة فن من فنون النثر ، وهى فن مخاطبة الجمهور الذى يعتمد على

---

(١) ص ٢١ ذيل الآمالى .

(٢) راجع . الخطابة لأبى زهرة — جمهرة الخطابة لصفوت — ٢٣٥ و ٩٩ ج ١ =

الاقناع والاستمالة . أو هى كلام بليغ يلقى فى جمع من الناس لأقناعهم بمافيه الخير لهم فى دنياهم وآخرتهم .

والخطابة قديمة نشأت مع الانسان ، وتروى للامم القديمة خطب كثيرة كقدماء المصريين واليونان والرومان .

والخطابة ضرورية للأمة فى سلمها وحربها ، وهى أداة الدعوة إلى الرأى والعقيدة فى شتى نواحى الحياة والمجتمع ، وهى وسيلة الدعاة والمصلحين ، والمهذبين والمرشدين وعماد القادة والزعماء ، وأداة الأحزاب السياسية ، والجمعيات الأدبية والاجتماعية ، وعليها الاعتماد فى كثير من شئون الحياة ، فى السياسة وفى التربية والتعليم ، والوعظ والارشاد ، وفى محافل الأنس ، ومآتم الحزن

والخطابة تقوى عندما تكون الأمة متمتعة بقسط من الحرية ، شاعرة بما هى فيه ، طامحة إلى آمال واسعة فى الحياة ، وحينما تتصارع الخصومات ، وتختلف الأفكار والمبادىء والمذاهب .

والخطابة إما سياسية أو اجتماعية أو دينية ، وفى العصر الحديث نشأت الخطابة القضائية والبرلمانية .

الخطابة عند العرب فى العصر الجاهلى :

ويروى للعرب فى جاهليتهم خطب كثيرة ، ونبغ فيهم خطباء مشهورون وكانت الخطابة لسان الأشراف والرؤساء والنابهين من القبائل ، يفضلونها

و ١٩ و ٢١ و ٢٦ ج ٢ و ٣ و ٦ و ١٥ و ٦٦ و ٥٢ ج ٣ البيان والتبيين والعقد الفريد ـ مواسم الأدب ـ بلاغات النساء لابن طيفور ـ بلوغ الأرب

على الشعر الذى غض من قدره تكسب الشعراء به (١) ، ويعبرون بها عما يجيش فى صدورهم من أفكار وآراء ، ويصرفون بها ملكة البلاغة المتأصلة فى أعماق نفوسهم وطوايا قلوبهم ، ويصورون بها جميع مايطوف بعقولهم فى شئون السياسة والاجتماع .

وكانت الخطابة عندهم منتشرة ذائعة ، لها مكانتها فى النفوس ، وسحرها فى الألباب ، وأثرها فى الشدائد والمشكلات . وكان لكل قبيلة شاعرا . وبالجملة فان الخطابة فى العصر الجاهلى كان لها حظ من القوة والنهضة والازدهار .

دواعى الخطابة في العصر الجاهلى :

وكانت دواعيها كثيرة متشعبة عندهم ، فأذواقهم الأدبية وتأصل ملكات البلاغة فى نفوسهم وتملكهم زمام الفصاحة . ثم كثرة الحروب والخلافات بينهم ، ثم تفرقهم قبائل وأحياء مع أميتهم الغالبة عليهم والتى ألجأتهم إلى الاستعانة باللسان دون الكتابة ثم ضعف شأن الشعر ومكانته فى نفوس أشرافهم بتكسب الشعراء به . ثم سعة مجال الخطابة فيهم وكثرة أسبابها لديهم .

كل ذلك كان داعيا لذيوع الخطابة فيهم . وانتشارها بينهم .

أغراض الخطابة في العصر الجاهلى :

وأغراض الخطابة كثيرة عند العرب فى العصر الجاهلى . من ذلك :

١ — التحريض على القتال أو الدعوة للسلام والوئام . وهذا كثير عند العرب فى جاهليتهم لكثرة حروبهم . وكثرة ماكان بينهم من خلافات وخصومات .

---

(١) راجع ١٧٠ ج ١ و ٢٥٩ ج ٣ من البيان والتبيين .

٢ — التبشير بدين جديد . ومحاربة الفوضى والرذائل والوثنية التى كانت سائدة فى العصر الجاهلى . كما ترون فى خطبة المأمون الحارثى فى نادى قومه (١) . وخطبة اكثم بن صيفى التميمى فى قومه (٢) . بعد أن بعث الرسول وبعث اكثم ابنه حبيشا ليأتيه بخبره . وكما فى خطبة قس فى سوق عكاظ

٣ — التعزية فى عظيم من عظمائهم أو رئيس من رؤسائهم

٤ — وفادتهم على الملوك والرؤساء للتهنئة أو الاستنجاد أو لتأمين سبل أو إجازة تجارة أو التعزية أو سواها . والخطب المأثورة فيها الكثير من ذلك

٥ — الدعوة إلى الصلح وفض الخصومات وجمع الكلمة كما فى خطبة مرثد الخير

٦ — الخطب فى المحافل حين الأملاك (١) أو الولادة أو ماشاكل ذلك

٧ — المفاخرة والمنافرة والمباهاة بعز العشيرة وشرف المحتد وجلال الأصل .

٨ — التوصية بفعل جميل أو أدب حميد . وهكذا تعددت أغراض خطابة وتشعبت مناحيها .

---

(١) ١/٢٧٣ الأمالى

(٢) ٢/٢٤٧ أمثال العسكرى ، وبجمع الأمثال للميدانى الجزء الثانى . ومنها : إن ابنى شافه هذا الرجل مشافهة ، وأتانى بخبره وكتابه ، يأمر فيه بالمعروف وينهى عن المنكر ، ويأخذ فيه بمحاسن الأخلاق ، ويدعو إلى توحيد الله تعالى وخلع الأوثان ، وترك الحلف بالنيران ، وقد عرف ذوو الرأى منكم أن الفضل فيما يدعو إليه ، وإن الرأى ترك ماينهى عنه . إن الذى يدعو إليه محمد ، لو لم يكن دينا ، كان فى أخلاق الناس حسنا . أطيعونى واتبعوا امرى

(١) الاملاك . التزويج .

المأثور من خطب الجاهليين :

والمأثور من خطب الجاهليين قليل ، أقل من الشعر ، المروى عنهم . ذلك أن الخطابة يصعب حفظها لطولها وعدم تقييدها بوزن أو قافية ، وعدم تدوينها إلا فى القرن الثانى الهجرى ؛ مما أدى إلى إلى ضياع كثير منها ولاشك لطول العهد بها

الخطابة والخطيب :

وكانوا يلزمون أنفسهم الوقوف فى الخطبة إلا فى خطب إملاكهم (١) وكثيرا ما كانوا يؤثرون أن يخطبوا وهم واقفون على نشز من الأرض . أو على شىء مرتفع : كظهر الراحلة وسواها . وذلك لظهور الخطيب ولشدة تأثيره .

كما كانوا يقبضون بأيديهم على عصا أو رمح أو سيف أو قوس أوسوى ذلك . ويعصب الخطيب عمامته .

والخطيب يلتزم رباطة الجأش وجهارة الصوت (٢) وبلاغة القول وقوة الحجة . قليل الحركة . قليل الاشارة . ينطق بالصدق . ويتكلم عن الحقائق . فى مظهر نبيل وزى جميل . وهو غالبا رئيس قومه أو من أشرافهم .

---

(١) الاملاك . التزويج .

(٢) ويشيدون بالعباس بن عبد المطلب فى جهارة صوته (٩٥ ج ١ البيان والتبيين) كما أشادوا بجهارة الصوت (٩٤ ج ١ المرجع)

أشهر خطباء العرب فى العصر الجاهلى

— ١ —

قس بن ساعدة الأيادى (١)

من أياد يضرب به المثل فى الفصاحة والبلاغة والحكمة والخطابة . ويعدونه خطيب العرب كافة .

اعتنق النصرانية فامن بها . وكان يدعو فى خطبة إلى التوحيد وتبذ الأوثان والأصنام وعبادة الله . وكان أسقف نجران وكان يفد على قيصر ويحادثه .

وهو أول من قال : أما بعد ، والسابق إلى الاتكاء على العصا والسيف حين يخطب . وهو القائل هذه الحكمة : « البينة على من ادعى واليمين على من أنكر »

وكان الناس يتحاكمون إليه فى خصوماتهم . فيقضى بينهم بالحق والخير وكان معدودا من حكماء العرب وأعقلهم

وكثيرا ماكان يقف فيخطب فى سوق عكاظ . وقد سبقت خطبة له سمعها النبى صلى الله عليه وسلم فى عكاظ قبل البعثة

عاش قس طويلا نحو ثمانين ومائة سنة . ومات قبل البعثة نحو عام ٦٠٠م ويعده الجاحظ من الخطباء والشعراء (١) ورسول الله (ص) هو الذى روى كلامه بعكاظ (٢)

---

(١) راجع ٥١ و ٥٦ و ٢٠٣ ج١ البيان والتبيين نشر السندوبى ط ١٩٢٧ . وراجع حديث قس بن ساعدة مع قيصر (٣٧ ج٢ الأمالى) وراجع ٥١ و ٥٦ و ٢٠٣ ج ١ البيان والتبيين و ٣٨٥ ج ٢ العقد .

(١) ٥١ ج ١ البيان والتبيين (٢) ٥٦ ج ١ المرجع

أسلوبه :

كان بلغ القول . سهل الأسلوب . متخير اللفظ . كثير الحكمة والمثل سجعه قصير غالب على خطابته . وكلامه على ايجازه بعيد عن اللغو والفضول والحشو . مطبوع على الخطابة واللفظ الشريف . والقول الرائع الحكيم . وله شعر فيه جزالة مع رقة تعبير ودقة تصوير وقوة تأثير

ومن حكمه : إذا نهيت عن الشيء فابدأ بنفسك . من عيرك شيئاً ففيه مثله . البينة على من ادعى واليمين على من أنكر . وقد سبق ذكر خطبته التى سمعها الرسول صلوات الله عليه منه فى عكاظ

وفى آخرها نموذج من شعره

— ٢ —

اكثم بن صيفى التميمى

هو حكيم العرب وقاضيها وخطيب من أشهر خطبائها . أوفده النعمان بن المنذر إلى كسرى أنو شروان بالمدائن . ومعه رهط من أشرف سادات العرب (١) وخطبائهم مثل حاجب بن زرارة التميمى (٢) ، وعمرو بن الشريد السلمى (٣) وعامر بن الطفيل العامرى (٤) . وعلقمة بن علاثة

---

(١) راجع ١٦٦ و ١٧٤ ج ١ العقد الفريد ط ١٩٢٨ . ويشك كثير فى صدق الرواية التى رواها صاحب العقد .

(٢) سيد من سادات تميم وخطيب من أبلغ خطباء العرب

(٣) أبو الخنساء الشاعرة وكان شجاعا شاعرا خطيبا

(٤) ابن عم لبيد الشاعر . فارس شجاع وشاعر

العامرى [١] والحارث بن ظالم [٢] . وعمرو بن معد يكرب الزبيدى [٣] ، والحارث بن عبادة البكرى [٤] ، وسواهم ، وأعجب به كسرى حتى قال له : لو لم يكن للعرب غيرك لكفى .

وقد أدرك بعثة الرسول وبعث ابنه حبيشا ليأتيه بخبره ، ودعا قومه إلى الإيمان بمحمد صلوات الله عليه .

وكان أكثم علامة بالانساب ، كثير الحكم وضرب الأمثال فى خطابته ، مصيب الرأى قوى الحجة ملهما بالصواب وسداد القول . كما كان عظيم المنزلة عند بنى تميم قومه وعند العرب أجمعين ، وجعله الجاحظ من الخطباء البلغاء والحكام الرؤساء [٥] ، وكان فى خطبه كثير الايجاز وضرب الأمثال لا يلتزم السجع ولا يقصده ؛ عميق الفكر ، دقيق النظر ، قوى الحجة ، كثير الاقناع ، جميل الأسلوب حلو الألفاظ

ومن خطبه تعزيته لعمرو بن هند ملك العرب فى أخيه ، قال :

أيها الملك إن أهل هذه الدار سفر ، لايحلون عقد الترحال إلا فى غيرها ، وقد أتاك ما ليس بمردود عنك ، وارتحل عنك ماليس براجع إليك ، وأقام معك من سيظعن عنك ويدعك . ان فى الدنيا ثلاثة أيام : فأمس عظة وشاهد عدل ، فجعك بنفسه وأبقى لك وعليك حكمه ، واليوم غنيمة وصديق أتاك ولم تأته ، طالت عليك غيبته ، وستسرع عنك رحلته ، وغدا لاتدرى من أهله ، وسيأتيك ان وجدك . فما أحسن الشكر للمنعم ، والتسليم للقادر . وقد مضت لنا أصول نحن فروعها ، فما بقاء الفروع بعد أصولها . واعلم أن أعظم من المصيبة سوء الخلف منها ، وخير من الخير معطيه ، وشر من الشر فاعله

---

(١) خطيب بليغ اشتهر بالعقل الراجح والأخلاق الكريمة

(٢) من مرة ، شجاع شاعر خطيب (٣) فارس شاعر توفى عام ٢١ هـ

(٤) خطيب مؤثر وشاعر بليغ (٥) ١/٢٣١ من البيان والتبيين

— ٣ —

عمرو بن معد يكرب الزبيدى (١)

١ — قحطانى يمنى ، وفارس شجاع ، وخطيب مطبوع ، عاش فى الجاهلية ، وأسلم سنة تسع من الهجرة هو وقومه ، ثم ارتد بعد إسلامه بعد وفاة الرسول ، ثم عاد من جديد إلى الاسلام عقيدة الحق والتوحيد والخير ، وابلى فى القادسية بلاء عظيما وكان عمره فيها عشرا ومائة سنة ، وتوفى فى آخر خلافة عمر بن الخطاب عام ٢١ هـ — ٦٤٣ م . وفيه يقول أبو تمام :

إقدام عمرو ، فى سماحة حاتم فى حلم أحنف ، فى ذكاء إياس

٢ — كان عمرو شجاعا فارسا وخطيبا شاعرا ، شعره صورة لشجاعته وبطولته وفروسيته ؟ وحديث عن مواقفه وانتصاراته فى غزواته ، وعن نفسه واقتحامها الأهوال ومغامرتها وقت الطعن والنضال ، ويعد فى الطبقة الثانية من الشعراء المخضرمين وخطابته تنم عن شخصيته واعتداده ببطولته ونفسه ، فيها وضوح وقوة وتدفق ومنطق ، مع اشراق بيان ، وسهوله عبارة ، وقصر فقر ، وقلة سجع ، وكثرة حكمة ومثل .

٣ — قال عمرو أمام كسرى :

إنما المرء بأصغريه . قلبه ولسانه ، فبلاغ المنطق الدار ، وملاك النجعة الارتياد ، وعفو الرأى خير من استكراه الفكرة ، وتوقيف الخبرة خير من اعتساف الحيرة ، فاجتبذ طاعتنا بلفظك ، واكتظم بادرتنا بحلمك ، وألن لنا كنفك يكن لك قيادنا

شعره:

روى له صاحب الحماسة عدة قصائد :

١ — منها قصيدته : (٢)

---

(١) راجع فى ص ١٥٠ ذيل الأمالى وما بعدها حديث عمرو بن معد يكرب مع امرأة

(٢) ص ١/٤٣ مختصر الحماسة ط ١٩٢٧ الطبعة الثالثة

ولما رأيت الخيل زورا كأنها جداول زرع أرسلت فاسبطرت
فجاشت إلى النفس أول مرة فردت على مكروهها فاستقرت

ومن شعره قصيدته :

تمنانى ليلقانى أبى وددت وأينما منى ودادى
أريد حياته ويريد قتلى عذيرك من خليك من مراد

ومن شعره :

ليس الجمال يئزر فاعلم وإن رديت بردا
إن الجمال معادن ومناقب أورثن مجدا
كم من أخ لى صالح بوأته بيدى لحدا
ما إن جزعت ولا هلعت ولا يرد بكاى رشدا
ذهب الذين أحبهم وبقيت مثل السيف فردا(١)

— ٤ —

ومن خطباء العرب :

حاجب بن زرارة التميمى وهو سيد من سادات تميم ، وفد على كسرى حين منع تميما من ريف العراق فاشتد بهم القحط فأعجب به وببلاغته ومنحه ما أراد وتعهد له بحسن الجوار ورهنه قوسه على ذلك .

وهانىء بن قبيصة الشيبانى(٢) ، ومرثد الخير الحميرى ، والمأمون الحارثى

ومن خطبائهم عامر بن الظرب العدوانى

وهو أحد حكماء العرب المشهورين ، وخطيب بليغ وشاعر مجيد .

---

(١) ومن شعره أيضا قصيدته :

أمن ريحانة الداعى السميع يؤرقنى وأصحابى هجوع

(٢) راجع ١٢٩ ج ٢ الأغانى ، ١٢٥ ج ٢ منه ، ١٣٢ ج ٣

ويقول الجاحظ فيه : وهو من الخطباء البلغاء والحكام الرؤساء (١) ، وهو حكم العرب فى الجاهلية (٢) .

خطب إليه صعصعة بن معاوية ابنته فقال:

ياصعصعة إنك أتيتنى تشترى منى كبدى ، أبغيتك (٣) أو رددتك . النكاح خير من الأيمة (٤) ، والحسيب كفء الحسيب ، والزوج الصالح أب بعد أب ، وقد أنكحتك خشية ألا أجد مثلك ، أفر من السر إلى العلانية ، أنصح ابنا وأودع ضعيفاً قويا . يامعشر عدوان أخرجت من بين أظهركم كريمتكم ، من غير رغبة عنكم ، ولكن من خط له شىء جاءه ، رب زارع لنفسه ، ماحصده غيره ، ولولا قسم الحظوظ ماترك الأول للاخر مايعيش به

— ٥ —

ومن خطبائهم قبيصة بن نعيم ، وكان من رجالات بنى أسد ، وخطب أمام امرىء القيس بعد مقتل أبيه قال :

إنك فى المحل والقدر ، والمعرفة بتصرف الدهر ، وماتحدثه أيامه ، وتنتقل به أحواله ، بحيث لاتحتاج إلى تبصير واعظ ، ولاتذكرة مجرب ، ولك من سؤدد منصبك ، وشرف أعراقك ، وكرم أصلك فى العرب ، محتد يحتمل ماحمل عليه من اقالة العثرة ، والرجوع عن الهفوة ، وقد كان الذى كان من الخطب الجليل . عمت رزيته نزارا واليمن ، ولم تخصص به كندة دوننا ، للشرف البارع الذى كان لحجر : التاج والعمة فوق الجبين الكريم ، وإخاء الحمد وطيب الشيم ، ولو كان يفدى هالك بالأنفس الباقية بعده لما بخلت كرائمنا على مثله ببذل ذلك ولفديناه منه ، ولكن مضى به سبيل لاترجع أولاه على أخراه ، ولا يلحق أقصاه أدناه ، فأحمد الحالات فى ذلك أن تعرف الواجب

---

(١) ٢٣٣ ج ١ البيان (٢) ٢٠ ج ٣ البيان

(٣) أعطاه بغيته (٤) العزوبة

عليك فى إحدى خلال ثلاث إما أن اخترت من بنى أسد أشرفها بيتا ، وأعلاها فى بناء المكرمات صوتا ، فقدناه اليك بنسعة ، تذهب مع شفرات حسامك بباقى قصرته ، أو فداء بما يروح على بنى أسد من نعمها ، فهى ألوف تجاوز الحسبة ، وإما أن توادعنا حتى تضع الحوامل ، فنسدل الأزر ، ونعقد الخمر فوق الرايات .

فبكى امرؤ القيس وقال : قد علمت العرب أن لا كفء لحجر فى دم ، وأنى لن أعتاض به ناقة أو جملا فأكتسب بذلك سبة الأبد وفت العضد ، وأما النظرة فقد أوجبتها الأجنة فى بطون أمهاتها ولن أكون لعطبها سببا ، وستعرفون طلائع كندة من بعد ، تحمل فى القلوب حنقاً ، وفوق الأسنة علقا .

إذا جالت الخيل فى مأزق تصافح فيه المنايا النفوسا

— ٦ —

ومن خطباء العرب :

كعب بن لؤى (١) ، ولؤى بن غالب (٢) ،

وهاشم بن عبد مناف (٣) ، وأبو طالب (٤) ،

---

(١) الروض الأنف - صبح الأعشى ٢١١ ج ١ و ٢٢٦ ج ١ البيان والتبيين للجاحظ . قال الجاحظ . وكان يخطب العرب عامة ويخص كنانة خاصة على البر فلما مات أكبروا موته فلم تزل كنانة تؤرخ بموته إلى عام الفيل (٢٢٦ ج ١ البيان)

(٢) الروض الأنف و ٢٣٣ ج ١ البيان والتبيين .

(٣) « « و ٤٥٨ ج ٢ ابن أبى الحديد و بلوغ الأرب ١٣٢ ج ١

(٤) « « و ٢١٢ ج ١ صبح الاعشى و ج ٣ من ابن ابى الحديد

وعمرو بن كلثوم (١) ، وضمرة بن ضمرة (٢) ،
وعمرو بن عمار الطائى (٣) ، وعبيد بن شرية الجرهمى .

ويقول الجاحظ فى البيان والتبيين :

ا — ومن خطباء العرب فى الجاهلية : خويلد بن عمرو خطيب يوم الفجار (٤)

ب — ومن الخطباء البلغاء والحكام الرؤساء : ربيعة بن حذار ولبيد وهرم بن قطبة (٥)

ج — ومن القدماء فى الحكمة والخطابة والرياسة : عبيد بن شرية الجرهمى وأسقف نجران وأكيدر صاحب دومة الجندل وجذيمة الأبرش ()

— ٧ —

ومن خطبائهم هاشم بن عبد مناف ، وهو سيد قريش وإمامها ، وداعيها إلى الخير والشرف والوحدة ، وحامى البيت والزائد عنه . خطب فى قريش وخزاعة حين تنافرا إليه فقال :

يابنى قصى ، أنتم كغصنى شجرة ، أيهما كسر أوحش صاحبه ، والسيف لايصان إلا بغمده ، ورامى العشيرة يصيبه سهمه

أيها الناس الحلم شرف ، والصبر ظفر ، والمعروف كنز ، والجود سؤدد والجهل سفه ، والأيام دول ، والدهر غير ، والمرء منسوب إلى فعله ،

---

(١) ٤٩-١ البيان والتبيين

(٢) ٢٥ ج ١٠ الاغانى و ١٦٨ ج ١ البيان و ١٨٦ ج ١ الميدانى و ١٦٨ و ١٢٨ و ١١٨ ج ٢ :

(٣) ١٥٩ و ٢٢٥ ج ١ البيان ، ٢٣٦ المؤتلف ويقول فيه الجاحظ . كان خطيب مذحج كلها وحمله النعمان على منادمته ثم قتله (٢٢٥ ج ١ البيان)

(٤) ١/٢٢٦ البيان (٥) ١/٢٣٣ المرجع (٦) ١/٢٣٢ المرجع

ومأخوذ بعمله ، فاصطنعوا المعروف ، تكسبوا الحمد ، ودعوا الفضول ، وتجانبوا السفهاء ، وأكرموا الجليس يعمر ناديكم ، وحامواعن الخليط يرغب فى جواركم ، وأنصفوا من أنفسكم يوثق بكم ، وعليكم بمكارم الأخلاق فانها رفعة ، وإياكم والأخلاق الدنية فانها تضع الشرف وتهدم المجد

ولعمرى إن هذه لنفحة نبوية ، وحكمة من شريف ملهم ، وسيد مطاع

- ٨ -

ومن خطبائهم عبد المطلب بن هاشم ؛ خطب يهنىء سيف بن ذى يزن بظفره على الحبشة (١) ، فقال :

إن الله أحلك أيها الملك محلا رفيعا ، شامخا باذخا ، وأنبتك نبتا طابت أرومته ، وعزت جرثومته (٢) ، وثبت أصله ، وبسق (٣) فرعه ، فى أكرم موطن ، وأطيب معدن ، وأنت - أبيت اللعن - ملك العرب ، وربيعها الذى تخصب به ، وأنت أيها الملك رأس العرب الذى إليه تنقاد ، وعمودها الذى عليه العماد ، ومعقلها الذى تلجأ إليه العباد . سلفك خير سلف ، وأنت لنا منهم خير خلف ، فلن يخمل ذكر من أنت سلفه ، ولن يهلك من أنت خلفه ، ونحن أيها الملك أهل حرم الله ، وسدنة بيته ، أشخصنا إليك الذى أبهجنا بكشف الكرب الذى فدحنا ، فنحن وفد التهنئة لا وفد المرزئة (٤)

د - المحاورات

نماذج لها :

١ - مفاخرة طريف بن العاصى والحارث بن ذبيان عند بعض مقاول حمير (٥)

---

(١) راجع أديان العرب فى الجاهليه (٢) الأصل (٣) علا
(٤) الرزء والمصيبه (٥) ٧٢ ج ١ الأمالى

قال الملك للحارث : ياحارث ألا تخبرنى بالسبب الذى أخرجكم عن قومكم حتى لحقتم بالنمر بن عثمان ؟

قال الحارث : خرج هجينان منا يرعيان غنما لهما ، فتشاولا (١) بسيفهما فأصاب صاحبهم عقب صاحبنا فمات ، فسألونا أخذ دية صاحبنا : دية الهجين (٢) ، وهى نصف دية الصريح (٣) ، فأبى قومى إلا دية الصريح وأبوا إلا دية الهجين ، فتفاقم الأمر بين الحيين فتظافروا علينا حسدا ، فأجمع ذوو الحجا منا أن نلحق بأمنع بطن من الأزد ، فلحقنا بالنمر بن عثمان ، فوالله مافت فى أعضادنا ، فأينا عنهم ولقد أثأرنا (٤) صاحبنا وهم راغمون

فوثب طريف من مجلسه ، فجلس بإزاء الحارث فقال : تالله ، ماسمعت قولا أبعد من صواب ، ولاأقرب من خطل ، من قول هذا . والله أيها الملك ماقتلوا بهجينهم بذجا (٥) ، ولارقوا به درجا ، ولقد أخرجهم الخوف عن أصلهم ، وأجلاهم عن محلهم

فقال الحارث : أتسمع ياطريف ؟ إنى والله ما إخالك كافا غرب لسانك ، ولامنهنها شرة نزواتك ، حتى أسطو بك سطوة تكف طماحك ، وترد جماحك

فقال طريف : مهلا ياحارث ، لاتعرض لذرب (٦) سنانى ، وغرب سبابى ،

فقال الحارث : إياى تخاطب بمثل هذا القول . فقال طريف : أما والأصنام المحجوبة ، والأنصاب المنصوبة ، لئن لم تقف عند قدرك ، لأدعن حزنك سهلا ، وصفاك وحلا

فقال الحارث : أما والله لو رمت ذلك لمرغت بالحضيض (٧)

---

(١) تضاربا (٢) هو الذى أبوه عربى وأمه عربية (٣) الخالص

(٤) اثأر . افتعل من الثأر

(٥) الخروف (٦) الذرب . الحدة (٧) القرار إذا اتصل بالجبل

وأغصصت بالجريض ، وضاقت عليك الرحاب ، وتقطعت بك الأسباب

فقال طريف : دون ماناجتك به نفسك مقارعة أبطال ، وحياض أهوال .

فقال الملك : أيها عنكما

٢ — وراجع حديث النسوة اللواتى أشرن على بنت الملك بالتزوج ، ووصفن لها محاسن الزوج (١) . وقد سبق ذكره

وراجع حديث اوس بن حارثة ونصيحته لابنه مالك (٢)

وحديث بعض مقاول حمير مع بنتيه ، وما دار بينه وبينهما من الحوار ، حين كبرت سنه ، وهو حديث طريف ممتع (٣) . وما وقع بين عمرو بن براقة الهمدانى وحريم المرادى من الأغارة وما قال عمرو فى ذلك (٤)

واجتماع عامر بن الظرب وحممة بن رافع عند ملك من ملوك حمير ، وتحاورهما أمامه (٥)

وحديث ابنة الحسن مع أبيها (٦)

وما وقع لحاتم مع زوجته ماوية (٧)

٣ — وكان قس يفد على قيصر ويزوره فقال له قيصر يوما :

ما أفضل العقل ؟

قال : معرفة المرء بنفسه

قال : فما أفضل العلم ؟

قال : وقوف المرء عند علمه

قال : فما أفضل المروءة ؟

قال : استبقاء الرجل ماء وجهه

---

(١) ١/٨٠ الأمالى (٢) ١/١٠٢ الأمالى (٣) ١/١٥٢ الأمالى
(٤) ٢/١٢٦ الأمالى (٥) ٢/٢٧٦ الأمالى (٦) ١٠٧ الذيل (٧) ١٥٢ الذيل

قال : فما أفضل المال ؟

قال : ما قضى به الحقوق

٤ — ومن أمثلة المفاخرة ما وقع من بعض سادات العرب أمام كسرى، وقد قال لهم : ليتكلم كل رجل منكم بمآثر قومه ، وليصدق

فأخذ : حذيفة بن بدر ، والأشعث بن قيس ، وبسطام بن قيس، وحاجب ابن زرارة التميمى ، وقيس بن عاصم، يعدد كل منهم مآثر قومه ومفاخر أحسابه

٥ — منافرة خالد والقعقاع التميميين :

نافر خالد القعقاع ، إلى ربيعة بن حذار الأسدى فقال : هاتيا مكارمكما

فقال خالد : أعطيت من سأل ، وأطعمت من أكل ، ونصبت قدورى حين وضعت السماك ذيولها ، وطعنت يوم شواحظ (١) فارسا فجللت فخذيه بفرسه

فقال : ياقعقاع ماعندك ؟

فأخرج قوس حاجب ، وقال : هذه قوس عمى رهنها عن العرب ، وهاتان نعلا جدى قسم فيها أربعين مرباعا ، وهذه زرْ بيّةٌ (٢) زرارة لم ير ناره خائف إلا أمن ، ولم يمسك بطنب (٣) فسطاسه أسير إلا فك

فنادى ربيعة بن حذار : ان السماحة واللها (٤) والمرباع والشرف الأسبغ للقعقاع ، ألا إنى نفرت من كان أبوه معبدا وعمه حاجبا ، وجده زرارة (٥)

٦ — ومن أمثلة المنافرات منافرة عامر بن الطفيل وعلقمة بن علاثة العامريين . وهى أشهر المنافرات فى الجاهلية

تنازع عامر وعلقمة الرياسة ، فقال علقمة الرياسة لجدى الأحوص ، وإنما صارت إلى عمك أبى براء من أجله ، وقد استسنّ عمك وقعد عنها فأنا أولى بها منك ، وان شئت نافرتك . قال له عامر : قد شئت والله لأنا أشرف منك حسبا ، وأثبت منك نسبا ، وأطول قصبا ، فقال علقمة أنا فرك وإنى لبر

---

(١) من أيام العرب وكان لبنى محارب على بنى عامر

(٢) البساط (٣) حبل طويل يشد به السرداق

(٤) جمع لهوة وهى : العطيه (٥) وهو القعقاع بن معبد بن زرارة التميمى

وانك لفاجر ، وإنى لولود وإنك لعاقر، وإنى لواف وإنك لغادر .فقال عامر. إنى أنشر منك أمة ، وأطول قمة ، وأحسن لمة (١) ،وأجعد جمة (٢) وأبعد همة

فقال علقمة : أنا جميل وأنت قبيح ، وأنا أولى بالخيرات منك

فتنافرا إلى أبى سفيان بن حرب ، ثم إلى أبى جهل بن هشام ، فتنحيا عن الحكم ، ثم إلى هرم بن قطبة بن سنان الفزارى (٣) .

فقال هرم : يا ابنى جعفر ، قد تحاكمتما عندى ، وأنتما كركبتى البعير تقعان إلى الأرض معا ، وفى علقمة يقول الأعشى هاجيا :

علقم ما أنت إلى عامر الناقض الأوتار والواتر
إن تسد الحوص فلم تعدهم وعامر ساد بنى عامر
ساد ، وألفى قومه سادة وكابرا سادوك عن كابر

هذا والمحاورة: هى التحاور والتراجع فى الكلام والحديث . وهى من ضرورات المجتمع والحياة

والعرب كثيرو المحاورة لكثرة خصوماتهم ومفاخراتهم وتنازعهم على الشرف وسواه .

وتشمل المحاورات : المنافرة والمفاخرة ، وسواهما من المحاورة العامة

ا — فالمنافرة : المحاكمة فى المفاخرة ، وأصلها من قولهم : أينا أعز نفرا : فهى التحاكم إلى الأشراف من حكام العرب ، ليفصلوا بينهما ، ويقضوا بالشرف لأحدهما .

ب — والمفاخرة : مصدر فاخر ، وهى تفاخر القوم بعضهم على بعض وكان يفاخرون بالحسب والشرف والأخلاق الكريمة والعز والثروة والكثرة والعدد .

---

(١) الشعر الذى يجاوز شحمه الأذن (٢) مجتمع شعر الرأس

(٣) راجع حديث هرم بن قطبه مع عمر بن الخطاب حول هذه المنافرة فى البيان والتبيين (١/١٦٨)

جـ — والمحاورة العامة فى شئون الحياة مما لا يتصل بمفاخرة أو منافرة وهى كثيرة ، كثرة مطالب الحياة وشئونها ودواعى اتصال الإنسان بسواه من المجتمع .

— ٩ —

٥ — سجع الكهان

نماذج له :

١ — حديث زبراء الكاهنة مع بنى رئام :

كان ثلاثة بطون من قضاعة متجاورين بين الشحر وحضرموت وهم : بنو ناعب ، وبنو داهن ، وبنو رئام ، وكان بنو ناعب وبنو داهن متظاهرين على بنى رئام ، وكانت بنو رئام أقلهم عددا وأشجعهم لقاء ، وكان لهم عجوز تسمى خويلة ، كان يدخل عليها أربعون رجلا كلهم لها محرم . بنو إخوة ، وبنو أخوات ، وكانت خويلة عقيما ، وكان لها أمة من مولدات العرب تسمى زبراء ، وكانت زبراء كاهنة .

فقالت زبراء لخويلة : انطلق بنا إلى قومك أنذرهم ، فأقبلت خويلة تتوكأ على زبراء ، فقاموا إجلالا لها .

فقالت يا ثمر الأكباد ، وشجا الحساد ، هذه زبراء ، تخبركم عن أنباء ، قبل انحسار الظلماء ، بالمؤبد (١) الشنعاء ، فاسمعوا ما تقول . قالوا : وما تقولين يا زبراء ؟ قالت :

واللوح الخافق ، والليل الغاسق ، والصباح الشارق ، والنجم الطارق ، إن شجر الوادى ليأدو (٢) ختلا ، ويحرق أنيابا عصلا (٣) ، وإن صخر

---

(١) الداهية والأمر العظيم (٢) أى يختل (٣) حرق أنيابه . حك بعضها

الطود لينذر ثكلا ، لاتجدون عنه معلا (١) .

وانصرفت عنهم ، فانصرف منهم أربعون رجلا ، وبقى ثلاثون، فرقدوا فى مشربهم ، وطرقتهم بنو راهن وبنو ناعب فقتلوهم أجمعين .وأقبلت خويلة عند الصباح ، فوقفت على مصارعهم ، ثم عمدت إلى خناصرهم فقطعتها ، وانتظمت منها قلادة وألقتها فى عنقها (٢)

٢ — وراجع حديث مصاد بن مذعور وخروجه فى طلب الذود ، وما أخبره به الجوارى الأربع الطوارق بالحصا(٣) .

وحديث الرواد الذين أرسلتهم مذحج ووصفهم الأرض لقومهم بعد رجوعهم (٤) .

واقرأ حديث سواد بن قارب وكهانته (٥) ، وحديث ابنة الخس مع أبيها (٦) .

ووفود عبد المسيح ـ رسول كسرى ـ على سطيح الكاهن (٧) .

٣ — وكانت هند بنت عتبة زوجا للفاكه بن المغيرة المخزومى ، وكانت داره ناديا لقومه ، فاتهمها الفاكه برجل واستلحقها بأبيها ، فخرج بها والدها إلى بعض الكهان يستخبره عن أمرها ، وأخرج معها نسوة من قومها، وأقبل معهم الفاكه فى رجال من قومه . فلما شارفوا ديار الكاهن رأى عتبة من ابنته انكسارا وتغيرا ، فقال لها : يابنية لاتكتمينى من أمرك شيئا ، فان كان مابك لريبة نرجع ولا بأس عليك ، فقالت هند : لا والله يا أبت ، ماذاك لريبة ولا فاحشة ، ولكنكم تقدمون على بشر يخطىء ويصيب، وأخشى أن يسمنى بسمة ، تبقى على وصمة عار آخر الدهر ، قال سأبلوه لك ، ثم

= بيعض . والعصل . المعوجة (١) أى منجى

(٢) راجع ١٢٦ جـ ١ الأمالى (٣) ١٤٢ جـ ١ الامالى

(٤) ١٨٠ جـ١ الامالى (٥) ٢٨٩ جـ ٢ الامالى

(٦) ١٠٧ ذيل الامالى (٧) ١٧٨ جـ ١ العقد ط ١٩٢٨

خبأ خبيئا ، واقبلوا حتى آتو الكاهن ، فأخبرهم بخبيئهم ، ثم أقبل على هند فقال انهضى غير رسحاء ولا زانية ، وستلدين ملكا اسمه معاوية .

ماهى الكهانة :

والكهانة قد سبق الحديث عنها وهى تعرف الغيب من الأمور المستقبلة أو الماضية

وكان فى العرب كهان يتنبأون بالحوادث ، وللعرب اعتقاد كبير فيهم ، فهم ملاذ المريض ، وطمأنينة الحائر ، والحكم فى الخصومة

ومن أشهر هؤلاء الكهان : شق وسطيح الذئبى (١) ، وطريفة الخير امرأة عمرو بن عامر الحميرية وكانت باليمن وهى التى تنبأت بخراب سد مأرب ، ومنهم : فاطمة الخثعمية وكانت بمكة ، ولها قصة مع والد الرسول صلوات الله عليه وسلم عبد الله بن عبد المطلب قبل أن يتزوج بآمنة بنت وهب ، ومنهم : زبراء ، وسواد بن قارب ، وغير هؤلاء كثيرون

ويتحدث الرواة بأعاجيب كثيرة لأولئك الكهان بعجائبهم فى الأخبار بالغيب ومعرفة الحوادث

وكانت الكهانة منتشرة فى الجاهلية قبل البعثة . وتدور غالبا حول : التبشير بنبى يبعث ، وتفسير الرؤى ، ومعرفة ماخفى عنهم من الحوادث

وهى نوع من الفراسة والألهام وصدق الحدس وصفاء الروح والقدرة على التحليق فى جو سماوى مجرد عن حدود المادة ، وكثيراً ماتصدق النبوءات فى مثل هذه الأحوال

ويقول الجاحظ فى البيان والتبيين :

١ — كان كهان العرب يتحاكم إليهم أكثر أهل الجاهلية ، وكانوا يدعون

---

(١) كانا متعاصرين فى زمن كسرى أنو شروان وولدا معا

الكهانة وأن مع كل واحد منهم رئيا من الجن ، مثل حازى جهينة ، وشق ، وسطيح ، وعزى سلمة ، وأشباههم . وكانوا يتكهنون ويحكمون بالأسجاع . وكان ضمرة بن ضمرة وهرم بن قطبة والأقرع بن حابس ونفيل بن عبد العزى يحكمون وينفرون بالأسجاع وكذلك ربيعة بن حذار (١)

ب — ومن أهل الدهاء والنكراء ، ومن أهل اللسن واللقن ، والكلام الصحيح ، والأمثال السائرة ، والمخارج العجيبة : « هند بنت الخس » وهى الزرقاء ، « وخمعة بنت حابس » ، وهما داهيتا نساء العرب كما يقول أبو عمرو ابن العلاء (٢) ، ويذكر حوارا لابنة الخس مع أبيها (٣)

جـ — ويذكر أسماء الكهان والحكام والخطباء والعلماء من قحطان (٤) ومنهم — كما يقول — فى الجاهلية : عبيد بن شرية ، وشق بن الصعب ، وربيع بن ربيعة السطيح الذئبى والمأمور الحارثى ، والديان الحارثى الشريفان الكاهنان (٥) .

---

(١) ١٩٥ جـ ١ البيان والتبيين (٢) ٢٠٥ جـ ١ المرجع (٣) ٢١٢ جـ ١ المرجع
(٤) ٢٣٠ جـ ١ المرجع (٥) ٢٣١ جـ ١ المرجع

الباب الثالث

الشعر الجاهلى

- ١ -

تمهيد : ماهو الشعر؟

عرف أرسطو بأنه كلام مخيل مؤلف من أقوال موزونة متساوية والمخيل هو الكلام الذى ينفعل له الانسان انفعالا نفسانيا غير فكرى (١) وعرفه قدامة وابن رشيق بأنه كلام موزون مقفى يدل على معنى(٢) ، ويقول المعرى : الشعر كلام موزون تقبله الغريزة على شرائط إن زاد أو نقص أبانه الحس(٣) ويقول ابن خلدون : الشعر هو الكلام البليغ المبنى على الاستعارات والأوصاف المنفصل بأجزاء متفقة فى الوزن والروى مستقل كل جزء منها فى غرضه ومقصده عما قبله وبعده الجارى على أساليب العرب المخصوصة (٤) ، والشاعر من شعر يشعر وإنما سمى شاعرا لأنه يشعر من معانى القول وإصابة الوصف بما لا يشعر به غيره فكل من كان خارجا عن هذا الوصف فليس بشاعر وإن أتى بكلام موزون (٥) فاذا لم يكن عند الشاعر توكيد معنى ولا اختراعه أو استظراف النظر وابتداعه كان اسم الشاعر عليه مجازا لا حقيقة ولم يكن له إلا فضل الوزن(٦) . ويعرفه المحدثون بأنه الكلام المنظوم الذى يعتمد فيه صاحبه على الخيال

---

(١) راجع الفن التاسع ـ الشعر ـ من الشفاء لابن سينا

(٢) ١٣ نقد الشعر ، ١/٩٩ العمدة (٣) ٥٥ رسالة الغفران المعرى

(٤) ٥٧٣ مقدمة ابن خلدون (٥) ٧٧ نقد النثر (٦) ١/٩٦ العمدة

ويقصد فيه إلى الجمال الفنى (١)، وبأنه الكلام الموزون المقفى الذى يصور العاطفة (٢)، ويعرفه الرصافى بأنه مرآة من الشعور تنعكس فيها صور الطبيعة بواسطة الألفاظ انعكاسا يؤثر فى النفوس (٣)، ويقول آخر : هو الحياة باكية وضاحكة ناطقة وصامتة (٤)؛ ويقول أرتولد : هو كمال اللغة البشرية فيه يقرب الانسان من الحق ويجسر على أن يفوه به (٥)، ويقول كارليل : الشعر الحقيقى هو الموسيقى الأزلية التى يسمعها الشاعر من وراء الوجود (٦)، ويقول غيره : هو المحاولة الخالدة للتعبير عن روح الأشياء (٧)

وبعد فالشعر إلهام يفيض على القلب من عالم الروح ويلبس ثوبا من الخيال الساحر وينطق بلغة العاطفة الشاعرة ويحدث آثارا بعيدة فى المشاعر والوجدان ويستشف معانى الحياة فى كل شىء نفكر فيه ونحس به فى هذا الوجود، والشاعر ملك يغنى على قيثارة الفن الخالدة ليبعث معانى الطفولة السامية والصوفية المتبتلة فى الحياة وليشرق بفنه مع الفجر روحية وطهرا ومع الصبح نورا وسحرا ومع الضحى قوة وحرارة ومع الأصيل هدوءا وجمالا ومع الليل رهبة وروعة، وهو منذ الأزل يغنى وسيعيش فى سرحة الفن يملأ الوجود شدوا وغناءا، فى سبيل أداء الرسالة التى حملها والتى نيط بها بعث الجمال وإيقاظ الشعور وتجديد الأخلاق والسمو بالعواطف ليصل حيوان الأرض الناطق إلى مستوى ملك السماء الطاهر العظيم

---

(١) ٣٢٧ الأدب الجاهلى

(٢) أصول النقد الأدبى للثايب . ويقول وردزورث : الشعر هو الحقيقة الرائعة التى تصل إلى القلب بوساطة العاطفة ، ويقول رسكن : هو عرض البواعث النبيلة للعواطف النبيلة بوساطة الخيال (٩٦ مملكة الجمال لمحمود قراعة ط ١٩٣٧)

(٣) ٨٥ ج ١ سحر الشعر

(٤) ١٦٩ ج ١ المرجع

(٥) ١٦٧ ج ١ المرجع

(٦) ٢١٠ ج ١ المرجع

(٧) ٩٦ مملكة الجمال

— ٢ —

آراء فى الشعر :

١ — الشعر عند بعض الأدباء الكلام البليغ المؤثر ، الذى يصور الشعور والاحساس والعاطفة ، وينطق عن حسن تخيل ودقة معان وجمال إلهام فهو على هذا لايجب أن يكون موزونا ، فالنثر قد يكون شعرا إذا اشتمل على لطف التخيل وروعة الشعور ، ولقد قال حسان لابنه عند ماوصف له زنبورا لسعه فأحسن الوصف وسما به إلى درجة جميلة من جمال الخيال والتخيل ، قال : قد قلت الشعر ورب الكعبة يابنى ، ويروى عن الأصمعى أنه قال : قلت لبشار بن برد إنى رأيت رجال الرأى يتعجبون من أبياتك فى المشورة فقال : أنا علمت أن المشاور بين إحدى الحسنيين بين صواب يفوز بثمرته ، أو خطأ يشارك فى مكروهه ، فقلت له : والله أنت فى كلامك هذا أشعر منك فى أبياتك ، فقد جعل الأصمعى وناهيك به من إمام فى الأدب كلام بشار شعرا ، إذ قال له « أنت فى هذا الكلام أشعر » واسم التفضيل يقتضى المشاركة والزيادة ، فهذا أيضاً يدل على أنهم لايخصون الشعر بالمنظوم وأن الشعر قد يكون منثورا . ولم يسم المنظوم شعرا لكونه ذا وزن وقافية ، بل لكونه فى الغالب يتضمن المعانى الشعرية ، أو لأن العرب فى العالب لاتنظم الكلام إلا شعرا . ويؤيد ذلك أن العرب عدوا القرآن شعرا لسحره وروعة تصويره وبليغ أثره

٢ — وجمهور الأدباء على اشتراط الوزن فى الشعر . ويقتصر بعضهم على الوزن مع الخيال والعاطفة والشعور والاحساس والالهام الفنى الخاص وهؤلاء لايشترطون فى الشعر أن يكون مقفى بل هم يزدرون القافية ويدعون إلى اطراحها لأنها وإن تعددت فى القصيدة الواحدة — بجعل كل قسم من أقسامها على قافية — هى قيد للشاعر وعبء ثقيل إذ لاتدع الشاعر حراً فى

إظهار مايريده من معنى أو شعور ، وهى السبب الأكبر لتأخر الشعر العربى عن الشعر فى الآداب الغربية ، ويرون أنها « عضو أثرى قد بقى من كلمات كان يكررها فى آخر كل بيت النادب فى المناحات والمتحمس فى الحرب والصدام يوم تولد الشعر فى عصور الجاهلية الأولى ، ولابد من زواله بالتمام لعدم فائدته اليوم ولتقييده الشعر فلايتقدم حرا كبقية الفنون ، فاذا حرر الشعر من قيد القافية انصرف الشعراء إلى المعانى التى يريدونها لا إلى الألفاظ وإلى إظهار الشعور الحقيقى الذى تجيش به نفوسهم لا إلى الشعور الكاذب الذى تضطرهم إلى تصنعه ضرورة القافية وضرورة كونها على صورة خاصة من صور الاعراب فى آخر كل بيت (١) »

ويقولون : إنه إذا اتسعت القوافى لشتى المعانى والمقاصد ، وانفرج مجال القول بزغت المواهب الشعريه على اختلافها . ورأينا بيننا شعراء الرواية وشعراء الوصف وشعراء التمثيل ، وما كانت العرب تنكر القافية المرسلة فقد كان شعراؤهم يتساهلون فى التزام القافية (٢) كما فى قول الشاعر :

ألا هل ترى ان لم تكن أم مالك ... بملك يدى أن الكفاء قليل
رأى من رفيقه جفاء وغلظة ... إذا قام يبتاع القلوص ذميم
فقال أقلا واتركا الرحل انتى ... بمهلكة والعاقبات تدور
فبيناه يشرى رحله قال قائل ... لمن جمل رخو الملاط نجيب

وكقول غيره :

بنات وطاء على خد الليل ... لايشكين عملا ما أنقين

---

(١) من مقال للشاعر جميل صدقى الزهاوى نشره فى السياسة الأسبوعية عدد ٣ - ٩ - ١٩٢٧

(٢) هذا خطأ وماذكروه من ذلك ليس إلا بقايا من آثار التطور الفنى فى العربى فى عصور نشأته الأولى . كما أن اختلاط الوزن فى قصيدة عبيد بن الأبرص كان أثرا من آثار التطور الفنى فى الشعر العربى فى عصور نشأته الغابرة

وقول الآخر :

جارية من ضبة بن أد كأنها فى درعها المنعط

فعندهم القافية ليست من الشعر لأن الشعر بالوزن وحده فهو الموسيقى التى تميزه من النثر . وما الحرص على بقاء القافية المشتركه فى القصيدة إلا نتيجة الألف والعادة فاذا ألفت الاسماع الشعر المرسل استهجنت القوافى كما تستهجن الأذواق اليوم السجع فى النثر .

ويرى هؤلاء أنه ليس فى الأوزان القديمة كبير ضرر وهى فى الأغلب أرقى من الأوزان الغربية لأن أكثر البحور مركب من تفاعيل مختلفة بخلاف ماتألف من مقاطع متشابهة ، والتركيب دليل الرقى . نعم قد لا يوافق أكثر هذه الأوزان ضروب الغناء العصرى ولكن الذنب فى ذلك على العربية نفسها فهى لاتلائم الأغانى الحديثة بخلاف اللغة العامية فهى أكثر ملاءمة لها

وهؤلاء لايتقيدون بأوزان الخليل المأثورة فعندهم الأوزان العربية ليست ستة عشر وزنا كما هو الشائع بل هى مع تفرعاتها قد تزيد على الخمسين ومن الميسر اكثار هذا العدد .

٣ — والجمهور على جعل القافية شرطا أساسيا فى الشعر ، ولا مانع عند بعضهم من تسهيل صعوبات القافية بتعدد القوافى فى القصيدة الواحدة حسب أغراضها أو على نهج المخمسات والمربعات والموشحات والأراجيز وما شاكل ذلك .

٤ — ولكن هل الشعر لفظ ووزن وقافية فحسب ، يرى النقاد أنه لايكفى فيه ذلك وأنه لابد أن يشتمل على معنى لطيف أو حكمة بارعة أو تشبيه جميل أو خيال بارع ، فالمعنى عنصر من أهم عناصره .

وهذا حق وصدق ، فالشعر لابد أن يحتوى مع الوزن والقافية على الهام فنى رائع وشعور بالجمال مرهف وإحساس بالكون والطبيعة والبيئة دقيق .

لابد فيه من المعنى والخيال والعاطفة والشعور بالجمال وروعة التصوير له وعمق النفوذ إلى أسرار المشاعر الانسانية العامة لتكون شعرا وليكون له أثره ومكانه فى الشعر .

ولو كان الشعر هذه الألفاظ الموزونة المقفاة فحسب لكان لغوا من الكلام والشعور والاحساس .

يقول الامام محمد عبده : « لو سألوا الحقيقة أن تختار لها مكانا تشرف منه على الكون لما اختارت غير بيت من الشعر . وقديما قال كعب الأحبار: الشعراء أنا جيلهم فى صدورهم تنطق ألسنتهم بالحكمة .

نشأة الشعر

١ — والشعر الجاهلى لايعقل أن يكون قد بدأ كما وصل إلينا فى هذه القصائد الطويلة المهذبة التى يظهر فيها أثر الفن والجمال بل لابد أن يكون قد قطع مراحل كثيرة خلال الأجيال فدرج خلالها حتى وصل إلينا على هذه الصورة الفنية الكاملة .

وليس من المعقول أن يكون امرؤ القيس أو مهلهل هو أول من ابتكر الشعر ونظمه وقلده فيه الشعراء ، اليس هو الذى يقول :

عوجا على الطلل المحيل لعلنا نبكى الديار كما بكى ابن خذام

وابن خذام هذا شاعر جاهلى قديم ، قبل امرىء القيس طبعا ، ولاتعرف عنه ولا من أخباره شيئا (١) .

ويقول زهير :

ما أرانا نقول إلا معارا أو معادا عن قولنا مكروراً

ويقول عنترة :

هل غادر الشعراء من متردم أم هل عرفت الدار بعد توهم

إننا لانعرف شيئا عن نشأة الشعر ، ومن غير شك أنه سار فى مراحل كثيره حتى صارفنا مستقلا مقصودا وانفصل عن الغناء ، ثم أولاه الشعراء عناية فنية كبيرة ، وقالوا فى أغراض الحياة الجديدة التى لم يقولوا فيها من قبل

ويهمنا أن نبحث عن التدرج الفنى فى نشأة الشعر ، ثم نعرض للاراء فى تاريخ نشأته ثم نعرض لذكر قدامى الشعر الجاهليين .

٢ — ولوصف التدرج الفنى فى نشأة الشعر نقول :

---

(١) راجع ٣١ الجمهرة .

مر على كلام العرب ثلاثة أدوار انتقل فيها بمر الزمان من طور إلى طور فأولها دور البساطة وهو الدور الذى كان الكلام فيه بسيطا ساذجا خاليا من كل تفنن فى أسلوبه وتصنع فى ألفاظه .

ثم ارتقى مع الزمان بالتدريج حتى وجدت فيه القافية فانتقل بها إلى دوره الثانى وهو دور السجع . والسجع هو الكلام المقفى أو موالاة الكلام على روى واحد .

ولا شك أن هذا السجع انما وجد بادىء بدء فى كلام بعض الأفراد وربما كان وجوده بطريق المصادفة إذ قد يتفق للمتكلم أن يأتى فى كلامه بجملتين متفقتين فى الآخر فى حرف واحد من غير قصد . وسواء كان وجود أول سجعة فى كلام العرب ناتجاً عن قصد أو غير قصد فلا بد أنها قد أعجبت السامعين وكان لها وقع فى نفوسهم لكونها شيئاً جديداً فى الكلام لم تطرق أسماعهم من قبل . ولا عجابهم بها صاروا يقلدون قائلها ويبارونه فى النطق بما يماثلها حتى كثر السجع وفشا فى كلامهم .

كان السجع فاشياً فى كلام العرب الأولين من أهل الجاهلية وكانوا يلتزمون السجع فى أكثر كلامهم لاسيما كلامهم فى خطبهم ومنافراتهم ومفاخراتهم سواء فى ذلك رجالهم ونساؤهم حتى ولدانهم وجواريهم الصغار وكتب الأدب مشحونة بأسجاعهم فاذا رجعت اليها وتدبرتها علمت أن العرب مارسوا السجع وزاولوه فى أزمنة طويلة حتى طبعوا عليه ، فاصبح لهم طبيعة تنتقل فيهم بالارث الطبيعى من الآباء إلى الابناء .

ثم إن الكلام بعد أن دخل فى دور السجع أى القافية واستمر فيه قروناً عديدة ارتقى منه إلى دوره الثالث وهو دور الوزن . ومما لايسترابب فيه أن الوزن فى الكلام قد تولد من السجع .

ومن الجائز أن يكون الكلام قد أتى موزونا من غير قصد كما نراه واقعا فى كلام الناس ومحاوراتهم كل يوم وقد وقع ذلك فى القرآن أيضا فتأتى

قرينتان من الكلام المسجع متطابقتين فى الحركات والسكنات وذلك هو الوزن .

ساعد على الوصول إلى الوزن : الغناء والسجع فالمسافة بين الكلام والوزن قد قصرت بالسجع وإزدادت قصرا باقتران السجع بالغناء فاقتران السجع بالغناء يزيد احتمال وقوع الوزن فيه بطريق الاتفاق والمصادفة ، كما ساعد على ذلك الرقص ، ثم ان احتمال وقوع الوزن فى الكلام بطريق المصادفة يختلف قوة وضعفا باختلاف الاوزان الشعرية بساطة وتركيبا فما كان من الأوزان أبسط كان ذلك الاحتمال فيه أكثر وأقوى والعكس بالعكس ونعنى ببساطة الوزن هنا سهولته على القريحة وخفته على الطبع وقرب مأخذه من الكلام المنثور بحيث يكون انطلاق الانسان به سهلا وجرى الطبع عليه هينا .

وإذا نظرنا فى أوزان الشعر وجدنا أبسطها الرجز إذ هو أسهلها على القريحة وأخفها على الطبع واقربها إلى النثر وما الفرق بينه وبين الكلام المسجوع سوى وزن قريب المأخذ سهل التناول حتى يصح أن يقال كل شاعر تبدأ شاعريته بالرجز وما ذلك إلا لسهولته وقرب مأخذه .

ويؤيد كون الرجز أول ماظهر من الشعر ما ذكروه من أن الرجز أقدم الشعر .

وقد كان الشعر كله عندهم اسمان الرجز والقصيد فكل مالم يكن رجزاً سموه قصيداً من أى بحر كان ويدل على ذلك قول الاغلب الراجز العجلى لما استنشده المغيرة بن شعبة وهو على الكوفة .

أرجزاً تريد أم قصيدا لقد سألت هينا موجودا

فالشعر عندهم أما رجز وأما قصيد ولا ثالث لهما . والقصيد اسم جنس جمعى واحدته قصيدة . وإذا كان الرجز أقدم من القصيد لزم أن يكون هو أول وزن تولد من الكلام المسجع وذلك ماقلناه .

والخلاصة أن السجع حلقة اتصال بين النثر والنظم وان الوزن متولد من السجع وان أول مولود من أوزان الشعر هو الرجز وان الشعر نشأ عن المصادفة وساعد على ظهوره الغناء والرقص .

وقال الرصافى الرجز مأخوذ من توقيع سير الجمال فى الصحراء بحجة أنه أول ما استعمله العرب لسوق الجمال فى الحداء هكذا قال كثير ، ومن الغريب ان صاحب هذا الرأى قد ادعى أن تقطيع الرجز يوافق وقع خطى الجمال مع أن فى تقطيعه من سرعة الانحدار والتسرد وتدارك المقاطع ماينافى كل المنافاة وقع خطى الجمال لما فى تلك الخطى من التؤدة والرزانة بسبب انفساح مواقعها وطول القوائم المرتمية من تحت تلك الجثة العالية الضخمة .

ولو سلمنا أن تقطيع الرجز يوافق وقع خطى الابل لما سلمنا أنه يلزم من ذلك كون الرجز مأخوذا من وقع تلك الخطى إذ لو لزم منه ذلك للزم أن يكون وزن الكامل ولاسيما مجزؤه مأخوذا أيضا من وقع خطى الجمال بطريق الأولى لأنه يوافق وقع تلك الخطى أكثر من الرجز ويطابقها تمام المطابقة حتى أنك لو امتطيت جملا وجعلت وهو سائر بك سيرا وئيدا تنشد عليه شعراً من الكامل أو مجزؤه لرأيت عند تمام كل جزء من تفاعيله وقع يد من يدى جملك كما هو ظاهر للمتأمل .

فألفاظ الشاعر كانت سجعاً ثم صارت رجزاً ثم صارت شعرا والانقص من الأشعار والأقصر هى المتقدمة فى النشأة لأن الطباع أسهل وقوعا عليها

ومن ذلك النوع القصير : الأبيات السائرة والأمثال والحكم القصيرة

ويقول الأستاذ لطفى جمعة (١) ، إن العربى سمع أصوات النواعير (٢) وحفيف أوراق الأشجار وخرير المـــاء وبكاء الحمائم ، فلذ له صوت تلك

---

(١) الشهاب الراصد ص ٢٧٧

(٢) هذا غريب من القول فأين النواعير وخرير الماء فى الصحراء والبادية

الطبيعة المترنمة ، ولذ له أن يبكى لبكائها وأن يكون صداها الحاكى لنغماتها فاذا هو ينظم الشعر من حيث لايفهم أنه خيال قريحته ولايدرك من أوزانه وضروبه إلا أنها صورة من حركات ناقته

وقال كليمان هيوار : إن الأسفار الطويلة على ظهور الإبل حببت إلى العربى نشيد الألحان يتلهى بها ويشفى مايصيبه من أوصاب ، ثم أدرك العربى المنشد أو الحادى أنه كلما سارع فى الانشاد رفعت الناقة رأسها وأوسعت خطاها كأن بين خطاها وأوزان الشعر ارتباطا فظهرت تلك الضروب عفواً لأنها ثمرة طبيعية من ثمار العبقرية البدوية

٣ — ومن الناحية التاريخية لنشأة الشعر الجاهلى نقول :

كتب مؤرخ يونانى هو « سوزومين » فى القرن الخامس الميلادى يقول: أنه فى الربع الأخير من القرن الرابع للمسيح تغلبت ملكة العرب مافيا على جيوش الرومان وهزمتها فى فلسطين وفينيقيا فنظم شعراء العرب الأناشيد والأغانى وحفظوها ورددوها وتغنوا بها تخليدا للانتصار . وأثبت سانت تيلوس أحد حكام القسطنطينية وقد ترهب فى آخر القرن الرابع الميلادى أنه سمع أناشيد العرب الجميلة من صحراء سيناء (٣)

فالشعر العربى المحكى قديم يرجع عهده إلى القرن الرابع للميلاد

ويقول ابن سلام (١) :

« ولم يكن لأوائل العرب من الشعراء إلا الأبيات يقولها الرجل فى الحاجة تعرض له كقول دويد بن زيد حين حضره الموت وهو جاهلى قديم :

اليوم يبنى لدويد بيته لو كان للدهر بلى أبليته
أو كان قرنى واحدا أكفيته

---

(١) ٢٧٨ الشهاب الراصد

(٢) ٢٩٤ ج ٢ المزهر ، ١٧ طبقات الشعراء لابن سلام

وإنما قصدت القصائد على عهد عبد المطلب أو هاشم بن عبد مناف ، ، وكان أول بادىء لهذه النهضة الشعرية وسائر فى اتجاهها المهلهل بن ربيعة . ثم جاء امرؤ القيس ، فرفع اللواء ، فكان أول من وقف واستوقف وبكى واستبكى ووصف النساء بالظباء والمها والبيض وشبه الخيل بالعقبان والعصى وفرق بين القصيد وماسواه من القصيدة وقرب مآخذ الكلام وقيد أوابده وأجاد الاستعارة والتشبيه والكتابة ، ورقق الأسلوب وجعله عذبا جزلا

وأول من يروى له قصيدة تبلغ ثلاثين بيتا من الشعر مهلهل (١) ، ثم ذؤيب بن كعب بن عمرو بن تميم ، ثم ضمرة الكنانى ، وكان بين هؤلاء و بين الإسلام أربعمائة سنة .

وجاء امرؤ القيس بعد هؤلاء بمائتين وخمسين سنة تقريبا

٤ — وبعد فإن الباحثين يختلفون فى أول من أحدث هذه النهضة الفنية فى الشعر فهذبه وأطال فيه ، وأسماء مهلهل وامرىء القيس والأفوه الأودى ولقيط بن يعمر الأيادى وعمرو بن قميئة تتردد فى هـــذا المجال . ويقول السيوطى فى مزهره نقلا عن عمر بن شبة م ٢٦٢ هـ : « للشعر والشعراء أول لايوقف عليه وقد اختلف فى ذلك العلماء وادعت كل قبيلة لشاعرها أنه الأول ولم يدعوا ذلك لقائل البيتين والثلاثة لأنهم لايسمون ذلك شعرا ، فادعت اليمانية لامرىء القيس ، وبنو أسد لعبيد بن الأبرص ، وتغلب لمهلهل

---

(١) هو مهلهل بن ربيعة ، ومهلهل لقب له سمى به لأنه أول من أرق المراثى واسمه عدى . وقيل سمى مهلهلا لقوله :

هلهلت أثأر جابرا أو صـــنبلا

(راجع ١٢٩ ج ٢ الأمالى)

وفيه يقول الفرزدق : ومهلهل الشعر ذاك الأول . ويقول ابن سلام فى طبقات الشعراء : وأول من قصد القصائد وذكر الوقائع المهلهل بن ربيعة التغلبى (٢١ طبقات الشعراء ، ٢٩٥ ج ٢ المزهر للسيوطى)

وبكر لعمرو بن قميئة والمرقش الأكبر ، وإياد لأبى دؤاد ، وزعم بعضهم أن الأفوه الأودى أقدم من هؤلاء وأنه أول من قصد القصيد ، وهؤلاء النفر متقاربون لعل أقدمهم لا يسبق الهجرة بمائة سنة أو نحوها (١)

٥ — وقد ضاع من الشعر الجاهلى الكثير ، ولم يحفظ من الموزون عشره (٢) ، ولا يحاط بشعر قبيلة واحدة من قبائل العرب كما يقول ابن سلام (٣) ، وكان عند النعمان بن المنذر منه ديوان فيه أشعار الفحول ومامدح به هو وأهل بيته فصار ذلك إلى بنى مروان (٣)

ويقول أبو عمرو بن العلاء : ما انتهى إليكم مما قالت العرب إلا أقله ، ولو جاءكم وافرا لجاءكم علم وشعر كثير (٤)

---

(١) ٢٩٦ ج ٢ المزهر طبع صبيح

(٢) ٢٩٢ ج ٢ المرجع (٣) ٢٩٣ ج ٢ المرجع ٢ وص ١٦ طبقات الشعراء لابن سلام طبع المطبعة المحمودية (٤) ١٦ طبقات الشعراء

الشعر فى الجـــاهلية

— ١ —

تمهيد :

كان الشعر فى الجـــاهلية ديوان العرب ، والمصور لآمالهم وآلامهم وحياتهم ومشاهد الوجود بينهم ، أودعوه وقائعهم ومفـاخرهم واحسابهم وأنسابهم وأيامهم وآثارهم وذكرياتهم وأوصاف بيئتهم

وكان له سحره وروعـة تأثيره فى نفوسهم ، إذ كان صوت القبيـلة ، ولسان القوم ، والذائد الحامى الذمار ، والمدافع عن الأحساب والأنساب والشرف ، والناطق بالحجة ، والداعى إلى الخير . وكان الشعراء ذوى مكانة كبيرة بينهم ، فهم الذين ينطقون بمجـد القبيلة ، ويفخرون بجـلالها وماضى أيامها . وحسبك من مكانة الشعر عند العرب أنه لما بعث النبى صلى الله عليه وسلم بالقرآن المعجز نظمه المحـكم تأليفه وأعجب قريشاً ماسمعوا منه قالوا : ماهـذا إلا سحر ، وقالوا فى النبى شـاعر نتربص به ريب المنون . ويقول الأصمعى : « الشعر جزل من كلام العرب ، تقام به المجـالس ، وتستنتج به الحوائج ، وتشفى به السخائم »

ونبغ فى الشعر كثير من الشعراء والشاعرات ، مما خلدت ذكرهم كتب الأدب والشعر ومصادرهما الأولى

ولاتزال مصادر الأدب والشعر الجاهلى صورة ناطقة ببلاغتهم وسحرهم وشدة تأثيرهم وقوة بلاغتهم وجلالة أثرهم فى حياة العرب فى جزيرتهم طول هذا العصر الجاهلى الغابر

ومن قدر الشعر عندهم أن كانت القبيلة إذا نبغ فيها الشاعر أتت القبائل

فهنأتها بذلك ووضعت الأطعمة واجتمع النساء يلعبن بالمزاهر كما يصنعن فى الأعراس ، وكانوا لا يهنئون إلا بغلام يولد أو شاعر ينبغ أو فرس تنتج . وكانت البنات ينفقن إذا شبب بهن الشعراء

ولم يترك العرب شيئاً مما وقعت عليـــه أعينهم أو وقع إلى آذانهم أو اعتقـدوه فى أنفسهم إلا نظموه فى سمط من الشـعر حتى إنك ترى مجموع أشعارهم ديوانا فيه من عوائدهم وأخلاقهم وآدابهم وأيامهم ومايستحسنون ويستهجنون ، ولذلك قالوا : كان الشـعر ديوان العرب ومعـدن حكمتهـا وكنز أدبها .

وقال دعبـل : « كان امرؤ القيس من أدباء الملوك ، وكان من أهل بيته وبنى أبيـه أكثر من ثلاثين ملـكا فبادوا وباد ذكرهم وبقى ذكره إلى يوم القيامة وإنما أمسك ذكره شعره »

— ٢ —

تأثير الشعر فى النفوس :

وبعد فقد كان الشعر فى الجاهلية هو المقيد لأيامها والشاهد على أخبارها والناطق بمجدها والمصور لمفاخرها . وكان لكل قبيلة شـاعرها الذى يذود عنها ويناضـل عن شرفها ويساجل خصومها وينازلهم فى كل مجال . وكانت العرب أمة يسحرها البيـان وتروعها البلاغـة ويستبد باعجابهـا الشعر المجيد البليغ .

كان الشعر قوة فعـالة فى الحياة الجاهلية ، وكان له تأثيره فى نفوسهم وسلطانه فى حياتهم وقـدره وخطره فيما بينهم ، يرفع الخامل ويضع الفذ العظيم ، وينوه بشأن القبيلة ويزرى بأعدائها وخصومها ، ويحفظه الناس ويروونه وينشدونه فى كل مكان

وقصة المحلق الكلابى مع الأعشى حيث استضافه وأكرمه وكان فقيراً معلقا وكانت له بنات عوانس ، فمدحه الأعشى بقصيدته :

أرقت وماهذا السهاد المؤرق ومالى من سقم ومالى تعشق

ومنها :

لعمرى لقدلاحت عيون كثيرة إلى ضوء نار باليفاع تحرق

تشب لمقر ورين يصطليانها وبات على النار الندى والمحلق

فسارت القصيدة فى كل مكان ، وخطب بنات المحلق الكثير من سادات العرب

وذهب الأعشى قاصدا رسول الله ليمدحه ويعلن إسلامه وكان قد نظم قصيدته :

ألم تغتمض عيناك ليلة أرمدا وبت كما بات السليم مسهدا

فتصدت له قريش وحالت بينه وبين ذلك خوفا من تأثير شعره وأهدت له هدية سنية فرجع

والذين هجوا فوضعوا من قدر من هجوه ، ومدحوا فرفعوا من قدر من مدحوه كثيرون مشهورون فى الجاهلية وبعدها (١)

— ٣ —

منزلة الشاعر :

١ — وكان للشاعر فى الجاهلية منزلة كبيرة وشأن خطير لأنه هو الذى ينطق بمجد القبيلة ويشيد بمآثرها ومفاخرها وأحسابها وأبطالها ، ويرد على خصومها ويذود عنها أعداءها ، وكانت القبيلة فى الجاهلية تفرح إذا نبغ فيها شاعر فرحا عظيما ، قال ابن رشيق :

(١) راجع من رفعه الشعر ووضعه الهجاء ٤١٤ ج ٣ العقد

وكانت القبيلة من العرب إذا نبغ فيها شاعر أتت القبائل فهنأتها بذلك وصنعت الأطعمة واجتمعت النساء يلعبن بالمزاهر كما يصنعن فى الأفراس وتتباشر الرجال والولدان لأنه حماية لأعراضهم وذب عن أحسابهم وتخليد لمآثرهم وإشادة بذكرهم وكانوا يهنأون بغلام يولد أو شاعر ينبغ أو فرس تنتج

٢ — وكان للشاعر مكانته الكبيرة فى الحياة الاجتماعية فى الجاهلية فهو لسان القبيلة وحكمها ، ينطق فلايعارض ، ويستشفع فيشفع ، ويقول فيصغى لقوله ، ويشير فلايرد له رأى

٣ — وكان الشاعر أرفع قدراً من الخطيب فلما كثر الشعراء وكثر الشعر صار الخطيب أعظم قدراً من الشاعر (١) . ويقول أبو عمرو بن العلاء : كان الشاعر فى الجاهلية يقدم على الخطيب لفرط حاجتهم إلى الشعر الذى يقيد عليهم مآثرهم ويفخم شأنهم فلما كثر الشعر والشعراء واتخذوا الشعر مكسبة ورحلوا إلى السوقة وتسرعوا إلى أعراض الناس صار الخطيب عندهم فوق الشاعر (٢)

— ٤ —

التكسب بالشعر :

ولمكانة الشعر فى الجاهلية وعظمة شأن الشاعر كان الشعراء يأنفون أن يمدحوا إنسانا إلا لأغراض شريفة ومقاصد نبيلة . حتى وجدت طبقة من الشعراء قصدت بشعرها الملوك والأمراء وانتجعت الرؤساء والأشراف وأزرت بالشعر ومكانته والشاعر ومنزلته إزراء شديدا

ومن هؤلاء الشعراء الذين تكسبوا بالشعر :

---

(١) ٣/٢٥٩ البيان والتبيين للجاحظ

(٢) ١٧٠ ج ١ المرجع

ا — النابغة الذبيانى ، فقد قصد بشعره ملوك الحيرة وغسان يمدحهم ويثنى عليهم ويشيد بأعمالهم فأغدقوا عليه المال وكافأوه على ذلك مكافأة كبيرة ، ولكنه مع ذلك كان يعتز بنفسه كثيراً ، فيقول عن ملوك بنى غسان يخاطب النعمان بن المنذر يعتذر إليه

ملوك وإخوان إذا ما أتيتهم أحكم فى أموالهم وأقرب

ب — وزهير ، فقد مدح هرم بن سنان والحارث عوف ، وأشاد بهرم إشادة البليغ الشاعر الساحر

ج — وكذلك أمية بن أبى الصلت ، وهو القائل يمدح عبدالله بن جدعان وكان سيدا جوادا مضيافا :

كريم لايغيره صباح عن الخلق الجميل ولا مساء

يبارى الريح مكرمة ومجدا إذا ما الكلب أجحره الشتاء

فهل تخفى السماء على بصير وهل بالشمس طالعة خفاء

د — وكذلك الأعشى فقد جاب البلاد ومدح الرؤساء وسواهم وتكسب بشعره تكسبا شديدا ، وقالوا إنه أول من سأل بشعره (١) .

ه — ثم جاء بعد هؤلاء الحطيئة فاتخذ الشعر تجارة ومكسبا وحرفة بين الناس .

وذلك مما غض بالشعر ، وأزرى به عند الخاصة .

---

(١) ٢٩ طبقات الشعراء لابن سلام ، والمرقش الأكبر هو أول من اطال المدح ، ٢٩٩ ج ٢ المزهر ،

شاعرية العـــرب

ا — الشعر الجاهلى كثير كثرة هائلة ، والشعراء المعروفون بالشعر فى قبائلهم وعشائرهم فى الجاهلية والاسلام أكثر من أن يحيط بهم محيط ، أو يقف من وراء عددهم واقف ، ولو أنفد عمره فى التنقير عنهم ، واستفرغ مجهوده فى البحث والسؤال ، ولا أحسب أحدا من علمائنا استغرق شعر قبيلة حتى لم يفته منها شاعر إلا عرفه ، ولا قصيدة إلا رواها (١) ، ويذكر ابن قتيبة أن أبا ضمضم أنشد شعرا لمائة شاعر كلهم اسمهم عمرو (١) .

ب — فما السر فى هذه الشاعرية التى لم تعرف لأمة من الأمم من قبل ولا من بعد ؟ .

١ — أول أسباب شاعرية العرب هو الصحراء وجوها الذى يوحى بالشعر ويلهم الخيال ويذكى العاطفة ويثير الشعور .

٢ — وثانيها هو حياة العرب نفسهم فى الجاهلية ، هذه الحياة الحماسية التى دفعتهم إليها عواطفهم الثائرة ، ووحدتهم فى قلب هذه الصحراء الواسعة المترامية الأطراف ، ورجوع العربى إلى عاطفته أكثر مما يرجع إلى عقله وتنقله فى بطن الصحراء على جمله أو فرسه وسط الرمال والجبال والمتاهات ، وحاجته إلى الغناء فى هذه الوحدة الشاملة ليسلى هموم نفسه وأحزانها وآلامها

٣ — هذا الاستعداد الفطرى للشعر فى نفس كل عربى وعربية مما كان يذكيه الخيال ، ويولده التأمل وتلك الحياة الشبيهة بالحياة الصوفية المتبتلة .

٤ — فوق ظروف الحياة الاجتماعية فى الصحراء وكثرة حروبهم وغاراتهم وحاجتهم إلى الترنم بمفاخرهم ومآثرهم وأحسابهم وأنسابهم ، مما لابد فيه

---

(١) ٦ الشعر والشعراء ط ١٩٣٢

من نوع جميل من الأدب يخلده ويرويه ويذيعه بين الناس وليس هذا النوع سوى الشعر .

٥ — قوة حافظة العرب وانهم أمة أمية تعتمد على الذاكرة لا على التدوين والشعر أسهل فى الحافظة رواية وأبقى تعلقا بالخاطر .

٦ — يضاف إلى ذلك اللغة العربية نفسها فانها بإقرار الباحثين فى أصول اللغات لغة شعرية برنين مفرداتها وأساليبها وروحها ومعانيها .

٧ — إلى غير ذلك من الأسباب الكثيرة ، التى من أهمها هذا الفراغ الكثير الذى كان يتمتع به العربى لعدم اشتغاله بصناعة أو تدبير ملك وسياسة أو إدارة مرافق دولة .

ح — وبعد فقد كان العرب شعراء بالفطرة ، ونظم الشعر كل عربى وعربية ، كما نظمه الملوك والأمراء والسادة والحكماء والقرصان والصعاليك(١) والعبيد وسواهم من شتى الطبقات ، ومما بلغ حد الكثرة الهائلة لولا أن ضاع أغلبه على مر الأجيال حتى قال أبو عمرو بن العلاء . « ما انتهى اليكم مما قالت العرب إلا أقله ولو جاءكم وافرا لجاءكم علم كثير وشعر كثير (٢) » .

لون الشعر العربى الجاهلى

ا — ينقسم الشعر عند الأفرنج إلى : غنائى وقصصى وتمثيلى . وقد ظهرت هذه الأنواع فى الشعر اليونانى ، الذى قلده الرومانيون بالنظم فى شتى هذه الألوان ، كما بنى الشعر الأوربى الحديث على الأصول اليونانية اللاتينية من حيث الأقسام الثلاثة المعروفة .

أما الشعر القصصى . فهو الذى يصور الوقائع والعادات وأحوال الشعوب

---

(١) منهم تأبط شرا وعروة بن الورد وسواهما .

(٢) ٢٩٤ ج ٢ المزهر .

ويصف الاجتماع وسير الأبطال ، ويستوحى الآلهة والأساطير .

وأما الشعر التمثيلى فيعتمد على الحوار وتمثيل الحوادث والأشخاص وإظهار حركاتهم وما فى خواطرهم من مشاعر ونزعات .

وأما الشعر الوجدانى أو الغنائى فيصور العواطف الانسانية ومشاعر الشاعر وأفكاره ونزعاته ويتحدث عن الجمال والطبيعة حديث المتأمل المفكر فهو يعبر عن الشاعر وخواطره وآماله وآلامه وأحلامه وتأملاته ومشاعره تعبيرا صادقا واضحا قوياً مؤثرا .

ب — والشعر العربى أو الجاهلى بصفة خاصة شعر غنائى لا أثر للون القصصى أو التمثيلى فيه ، فهو يمثل عواطف الشاعر ومشاعره ، وينبع من الفطرة والوجدان والخيال والحياة العامة

لم يكن الشاعر الجاهلى قاصا فلم ينظم الشعر القصصى ، وإنما كان ينطق بما يمليه عليه شعوره ووجدانه ويتحدث عن نفسه ومجتمعه وبيئته . ذلكم أن الشعر القصصى يحتاج إلى نفس طويل وفراغ كثير ، وروح فنية متحضرة أو هو لون من ألوان الحضارة لأنه تدوين وتأريخ لقصة من قصص الأبطال أو فترة من تاريخ الأمة وحياتها ، والعربى لم يكن يعرف أسباب الحضارة ولا وسائلها من الكتابة والتدوين والتأريخ . وإن كان بعض الشعراء الجاهليين قد أجاد فى القصص الشعرى الصغير ، كقول امرىء القيس :

سموت اليها بعد مانام أهلها سمو حباب الماء حالا على حال
فقالت سباك الله إنك فاضحى ألست ترى السمار والناس أحوالى
فقلت يمين الله أبرح قاعدا ولو قطعوا رأسى لديك وأوصالى

وقول الأسود بن يعفر :

ماذا أؤمل بعد آل محرق تركوا منازلهم وبعد إياد
جرت الرياح على محل ديارهم فكأنهم كانوا على ميعاد

فآرى النعيم وكل ما يلهى به يوما يصير إلى بلى ونفاد

إلى غير ذلك من الكثير من ألوان هذا القصص الشعرى الصغير ولكن مهما كان فلا نجد فى الشعر الجاهلى شعرا قصصيا بالمعنى المعروف ، إذ لانجد قصائد تصور حياة الأبطال مثلا فى عدة آلاف من الأبيات ، ونفس العربى لايساعده على هذا الطول ، فوق قيود الوزن والقافية فضلا عن أن شدة تعلق العربى بالحرية ونزوعه اليها وإلى الاستقلال بذاته عمن عداه ، دعته إلى أن يوجه همته إلى وصف عواطفه وتحليل مشاعره وذكر مايعيش فيه من سلام وحرب وشوق وحنين ، إلى ماسوى ذلك من شتى ألوان شعوره مما صبغ شعره بصبغة غنائية وجدانية خالصة ، وإن كان لاينفى ذلك أن الشعر الجاهلى أشد مايكون تمثيلا للبيئة الجاهلية وللحياة العربية فيها لأن كل ذلك كان وثيق الصلة بنفس الشاعر ووجدانه .

حـ — كذلك لم ينظم الشاعر الجاهلى شعرا تمثيليا ، لأن هذا لون من الشعر يحتاج إلى لون من ألوان المعيشة المتحضرة وإلى قبس من روح الفلسفة والتفكير العميق والنظرات البعيدة للاشياء والحياة ، وذلك مالم يكن له وجود عند العرب فى جاهليتهم .

وإن كان بعض الشعراء الجاهليين قد أكثر من الحوار العادى الساذج القصير فى شعره ، مما تجده فى بعض القصائد الجاهلية (١) ولكن ليس هذا اللون هو مانعنيه بالشعر التمثيلى .

---

(١) مثل قول الأعشى :

كن كالسموأل إذ طاف الهمام به فى جحفل ، كهزيل الليل ، جرار

إذ سامه خطتى خسف ، فقال له قل ماتشاء ، فانى سامع ، حار

إلى آخر هذه الأبيات

د — وهذا لا يعيب الشعر الجاهلى ولا ينقص من قيمته ، فهو وان كان شعرا غنائيا فقد جال فى كل ميدان وتحدث فى كل ناحية ، ووصف مشاهد البيئة ومناظر الطبيعة ومشاعر النفس البشرية واحساساتها ، مما لا يزال شاهد صدق ومؤرخ حق للحياة فى الجاهلية وما كان فيها من أحداث وانقلابات وحروب وخصومات ، وما كان يختلج بنفس الشاعر من آمال وآلام وعواطف ووجدانات وبحسبه ذلك فخرا وخلودا

تنقل الشعر فى القبائل

١ — يقول ابن سلام :

« وكان شعر الجاهلية فى ربيعة ، وأولهم : المهلهل ، والمرقشان ، وسعد ابن مالك ، وطرفة ، وعمرو بن قميئة ، والحارث بن حلزة ، والمتلمس ، والأعشى ، والمسيب بن علس

ثم تحول فى قيس ، فمنهم : النابغة الذبيانى ، وزهير ، وابنه كعب ، ولبيد والجعدى ، والحطيئة ، والشماخ ، ومزرد ، وخداش بن زهير

ثم آل إلى تميم ، فلم يزل فيهم إلى اليوم (١) ، وخلاصة ذلك أن الشعر كان فى اليمن ثم انتقل إلى ربيعة فظهر فى قبائلها وعلى ألسنه شعرائها ، ثم انتقل إلى قيس من مضر ، ثم استقر فى تميم ومنهم أوس بن حجر (٢)

٢ — ويذهب طه حسين فى الأدب الجاهلى كما سيأتى إلى عكس ذلك ، فيرى أن الشعر كان فى مضر ثم انتقل إلى ربيعة فاليمن ثم إلى شعراء الموالى (٣) وهذا بناء على نظريته فى انتحال الشعر وسيأتى تفصيل ذلك

ورأى طه حسين وهم غريب لاسند له من الواقع والتاريخ ، ويرد عليه الأستاذ محمد لطفى جمعه فى كتابه « الشهاب الراصد (٤) »

فالواقع أن الشعر كان فى القبائل اليمنية ، ومنهم : امرؤ القيس (٥) وسواه ثم انتقل إلى ربيعة وهى قبائل كثيرة منها بكر وتغلب وعبد القيس والنمر بن

---

(١) ٢١ و ٢٢ طبقات الشعراء لابن سلام طبع المطبعة المحمودية ، ٢/٢٩٥ المزهر للسيوطى (٢) وكان زهير راويته « ٢٩٦ ج ٢ المزهر »

(٣) ٢٠٦ الأدب الجاهلى (٤) راجع ٢٩٦ وما بعدها من الشهاب الراصد

(٥) والمهلهل خال امرىء القيس . « وكان امرؤ القيس وطرفة وعبيد وعمرو ابن قميئه والمتلمس فى عصر واحد » « ٢٢ طبقات الشعراء لابن سلام »

قاسط ويشكر وشيبان وذهل وسدوس ، وكانوا قديما يقيمون فى اليمن ثم رحلوا إلى نجد ، وهذا يفسر سر وراثتهم الشعر عن اليمن ، وظهر منهم فى نجد شعراء كثيرون : كالمهلهل ، والمرقشان ، وطرفة ، والمتلمس ، وعمرو بن قميئة ، وسعد بن مالك ، والمسيب ، والأعشى ، والحارث بن حلزة ، وعمرو ابن كلثوم . ثم تحول الشعر فى قيس من مضر ، ولقيس بطون كثيرة منها : عبس وذبيان وغطفان وسليم وهوازن وعدوان وثقيف وعامر بن صعصعة وعقيل وقشير وجعدة ونمير ، وكانت مساكن هذه القبائل فى نجد وأعالى الحجاز ، وظهر منهم كثير من الشعراء : كالنابغتان ، وزهير ، وابنه كعب ، ولبيد ، والحطيئة ، والشماخ ، ومزرد ، وعنترة . ثم استقر الشعر فى تميم وهى من كبرى قبائل مضر ، ولها بطون كثيرة منها : مازن ودارم ويربوع ومجاشع ومالك ، وكانت تميم تقيم فى تهامة ونزحت إلى بادية العراق ومايليها جنوبا قبل الإسلام بنحو خمسين ومائة سنة ، ومن شعرائها أوس . ثم ظهر الشعر فى بطون مدركة بعد ذلك : من هذيل وأسد وكنانة وقريش والدئل

أما المدن فشعراؤها قليل ومن أشهرهم : حسان بن ثابت شاعر رسول الله صلوات الله عليه

شياطين الشعراء

١ — كان العقل البشرى فى العصر الجاهلى لم يستحكم نضوجه الفكرى والاجتماعى ، وكان الناس كثيرا مايعيشون على الأوهام . وللعرب أوهام كثيرة نزلت عندهم منزلة الحقائق

فقد كانوا يعتقدون بوجود الغول وأنها تتشكل وتتلون فى ضروب الثياب والصور ، ويقول تأبط شرا :

ألا من مبلغ فتيان فهم بما لاقيت عند رحى بطان
بأنى قد لقيت الغول تلوى بمرت كالصحيفة صحصحان

إلى آخر هذه الأبيات

وكانوا ينسبون إلى الجن أساطير وخرافات (١) ، ويذكرون أن من مدنهم « عبقر » التى ينسبون إليها كل فائق الصفة من الأشياء وكل غريب الشكل من الناس بل كل ماأرادوا تمييزه عن أنواعه من المعانى . قال أعرابى: « ظلمنى والله ظلما عبقريا » ، وللرسول (ص) فى عمر : « فلم أرى عبقريا يفرى فريه » ، وأكثر صعاليك العرب من التحدث عن الجن : كعمرو بن براق ، والشنفرى والسليك بن السلكة وتأبط شرا وسواهم

ويرى أبو إسحاق النظام - كما رواه الجاحظ فى الحيوان - أن أصل ذلك كله هو الأوهام الناشئة عن الحياة فى أرض مقفرة بعيدة عن العمران قليلة المسالك والمعالم مما يحدث للسائر فيها ألوانا من الخوف النفسى ، ويقول عبيد بن أيوب وكان جوابا فى مجاهل الأرض يشرح أسباب الخوف وماينشأ من الوهم :

فلله در الغول أى رفيقة لصاحب قفر خائف متنظر

وقد كثر فى الشعر الجاهلى ذكر الجن والغيلان والسعالى وسوى ذلك

٢ — وأدى ذلك إلى أن جعل العرب للشياطين شعراء يلهمونهم الشعر والخيال ، وسموهم بأسماء ، وافتخر كل شاعر بشيطانه . ولاشك أن كل ذلك ناشىء عن تصورهم للجن فحين رأوا الشاعر إنسانا يختلف فى أطواره عن مشابهيه وينزل بفكره إلى أودية لم يعتادوا الخوض فيها وحين رأوا لكلامه فعل الخمر وتأثير السحر وأنه إذا أراد قبح الحسن وحسن القبيح فأدخل على النفوس الوهم بقبحه أو حسنه فبان رائقا معجبا وجميلا فاتنا ، وأنه إذا شاء أوغر الصدور ، ثم إذا شاء أطفأ هذه النار التى ألهبها وأنام هذه الفتنة التى أيقظها وأنه هو الذى جمع فى قلب واحد بين الفتك والنسك والعهر والطهر فكان عابدا متخشعا ثم طامعا متطلعا وقانعا متعففا ثم جبارا متصلفا ، وأنه

---

(١) راجع حديث سواد بن قارب لعمر بن الخطاب حول كلام جنى لسواد فى صدق الرسول صلوات الله عليه « ٢٥ و ٢٦ الجمهرة »

هو رب الحكمة يرسلها نور هدى والكلمة الفاجرة يجعلها شرك عمـــاية وغواية ، وأنه القادر على ماشاء من برهان وبهتان . لما كان هذا شأن الشاعر وكان فيه إنسانا لشيطان توهموا أن روح ذلك الشيطان لابسته فنطق بهواها وأدى فحواها

ومن شياطين الشعراء الشيصبان ، ولافظ شيطان امرىء القيس ، وهبيد شيطان عبيد ، وهاذر صاحب النابغة ، ومسحل صاحب الأعشى الى ماسوى ذلك من شياطين الشعراء

٣ — وصور الجاهليون عقيدتهم حول «شياطين الشعراء» فى شعرهم فقال شاعر :

فان شيطانى أمـــير الجن يذهب بى فى الشعر كل فن

وقال حسان :

ولى صاحب من بنى الشيصبان فطورا أقول وطورا هوه

وقال الأعشى فى شيطانه مسحل :

دعوت خليلى مسحلا ودعوا له جهنام ، جـــدعا للهجين المذمم

وجهنام : شيطان عمرو بن قطن

ويقول أيضا : إذا مسحل يسدى لى القول أعلق . وراجع أسطورة عن هبيد صـاحب عبيد فى الجمهرة (١) وفى الجمهرة : « لشعراء العرب شـياطين تنطق به على ألسنتها (٢) »

ومن أسماء شياطين الشعراء : هياب ، وهاذر صاحب النابغة ، ولافظ صاحب امرىء القيس (٣) وسوى ذلك

٤ — ويرد ابن حزم (٤) عقيدة العرب فى شياطين الشعراء إلى ماألقى فى روعهم من أن الجن مظنة القوة والتفوق على الإنس فنسبوا إليهم كل عظيم يعجز عنه البشر

---

(١) ص ٢٠ و ٢١ الجمهرة ط ١٩٢٦ (٢) ص ٢٢ المرجع

(٣) راجع ٢٣ و ٢٤ من المرجع (٤) ٣٢ ج ٥ الملل والنحل

طبقات الشعراء الجاهليين

— ١ —

الطبقة كل جماعة عاشوا متقاربين فى الزمان وجرت عليهم أحكام واحدة من تأثير البيئة وان لم يتحدوا فى المنزع أو يدخلوا فى مناقضة أو يتزاحموا على باب ملك (١) ومعنى الطبقة أنهم نظراء (٢) وأنهم قريبون من بعض فى منزلتهم الأدبية العامة وان اختلفوا فى اتجاهاتهم الفنية وإنتاجهم الفنى .

والشعراء أربع طبقات : جاهليون ومخضرمون واسلاميون ومولدون وهم الذين فسدت فيهم ملكة اللسان فعالجوها بالصناعة وهم شعراء بنى العباس (٣) ، ويضيف اليهم الشهاب الخفاجى : المحدثون ثم المتأخرون والعصريون (٤)

والمخضرمون هم الذين أدركوا الجاهلية والاسلام وقالوا فيه الشعر كالجعدى والحطيئة وحسان ، أما لبيد فجاهلى لأنه حرم الشعر على نفسه بعد إسلامه ولم يقل إلا بيتا أو بيتين فيه (٥)

---

(١) ٤٠١ الأدب العباسى لمحمود مصطفى (٢) ٨٤ تاريخ النقد الأدبى عند العرب

(٣) ٤٥ تاريخ الأدب العربى للزيات ، و ٣١٠ الريحانة للشهاب الخفاجى

(٤) ٣١٠ و ٣١١ الريحانة للشهاب الخفاجى

(٥) يقول ابن سلام : وكان لبيد فارسا شاعرا شجاعا وكان عذب المنطق رقيق حواشى الكلام وكتب عمر إلى عامله أن سل لبيدا والأغلب ما أحدثا من الشعر فى الاسلام ، فقال الأغلب :

أوجزا سألت أم قصيدا فقد سألت هينا موجودا

وقال لبيد : قد أبدلنى الله سورة البقرة وآل عمران فزاد عمر فى عطائه . وكان فى الجاهلية خير شاعر لقومه يمدحهم ويرثيهم ويعدد أيامهم ووقائعهم وفرسانهم (٤٨ طبقات الشعراء)

أما الاسلاميون فهم الذين نشأوا فى الاسلام الى آخر عهد الدولة الأموية والمحدثون بعد ذلك وهم العباسيون. وقال ابن رشيق : طبقات الشعراء أربع جاهلى ومخضرم وإسلامى ومحدث ثم صار المحدثون طبقات أولى وثانية على التدريج إلى وقتنا ٣٠٤ ج ٢ مزهر .

— ٢ —

ويقسم ابن سلام فى كتابه « طبقات الشعراء » شعراء الجاهلية إلى عشر طبقات ، وهى .

١ ـ الطبقة الأولى . امرؤ القيس ، والنابغة ، وزهير ، والأعشى .

٢ ـ « الثانية : كعب والحطيئة .

٣ ـ « الثالثة : الجعدى وأبو ذؤيب والشماخ ، ولبيد .

٤ ـ « الرابعة : طرفة وعبيد وعلقمة وعدى

٥ ـ « الخامسة : خداش والاسود بن يعفر والمخبل وتميم بن أبى بن مقبل

٦ ـ والطبقة السادسة : عمرو بن كلثوم والحارث بن حلزة وعنترة وسويد بن أبى كاهل

٧ ـ والطبقة السابعة : سلامة بن جندل والحصين بن الحمام المرى والمتلمس والمسيب

٨ ـ والطبقة الثامنة : عمرو بن قميئة والنمر بن تولب وأوس ابن علفاء وعوف بن عطية .

٩ ـ والطبقة التاسعة : ضابىء بن الحارث وسويد بن كراع بن الحويدرة وسحيم

١٠ ـ والطبقة العاشرة : ابن الأسكر ، وابن محفض والكميت وعمرو بن شاس

١١ ـ ويضيف اليهم أصحاب المراثى وهم . متمم والخنساء وأعشى باهله وكعب بن سعد . ثم شعراء القرى العربية وهى :

ا — المدينة وشعراؤها حسان وكعب بن مالك وابن رواحة وقيس بن الخطيم وابن الأسلت ويهودها الشعراء : السموأل والربيع بن أبى الحقيق وكعب بن الأشرف وشريح بن عمران وشعبة بن غريض وأبو قيس بن رفاعة وأبو الذيال ودرهم بن زيد .

ب — ومكة وشعراؤها : ابن حزافة وهبيرة وابن الزبعرى وأبو طالب وأبو سفيان ومسافر وضرار بن الخطاب وأبو عزة الجمحى .

حـ — الطائف وشعراؤها أبو الصلت ، وأمية بن أبى الصلت ، وغيلان وكنانة بن عبديا ليل .

د — والبحرين وشعراؤها المثقب والممزق العبدى والمفضل .

ونلاحظ أنه يضع الشعراء المخضرمين مع الجاهليين ، لأنهم أدركوا جانبا من الجاهلية .

— ٣ —

وقال أبو عبيدة :

أشعر الناس أهل الوبر خاصة وهم :

ا — امرؤ القيس ، وزهير ، والنابغة .

ب — وفى الطبقة الثانية : الأعشى ، ولبيد ، وطرفة .

حـ — وفى الطبقة الثالثة : المرقش ، وكعب بن زهير ، والحطيئة ؛ وخداش ودريد بن الصمة ، وعنترة ، وعروة بن الورد ، والنمر بن تولب والشماخ ، وعمرو بن أحمر .

قال صاحب الجمهرة : والقول عندنا ماقال أبو عبيدة :

امرؤ القيس ثم زهير والنابغة والأعشى ولبيد وعمرو وطرفة [1]

---

(١) ٤٥ الجمهرة . ويلاحظ أن فيما عدهم أبو عبيدة فى الطبقة الثالثة شعراء =

- ٤ -

وأما أشعر الشعراء الجاهليين فقد اختلفوا فيه ، قال عمر بن شبة فى «طبقات الشعراء» : وادعت كل قبيلة لشاعرها أنه الأول ، فأدعت اليمانية لامرىء القيس ، وبنو أسد لعبيد بن الأبرص ، وتغلب لمهلهل ، وبكر لعمرو ابن قميئة المرقش الأكبر ، وإياد لأبى دؤاد (١)

وحكى الأصمعى عن ابن أبى طرفة : كفاك من الشعراء أربعة زهير إذا رغب والنابغة إذا رهب والأعشى إذا طرب وعنترة إذا كلب ، وقيل لكثير أو لنصيب : من أشعر العرب ؟ فقال امرؤ القيس إذا ركب وزهير إذا رغب والنابغة إذا رهب والأعشى إذا شرب (٢)

وقال أبو عمرو : أشعر الناس : امرؤ القيس والنابغة وطرفة ومهلهل .

وروى عن رسول الله (ص) فى امرىء القيس . أنه أشعر الشعراء وقائدهم إلى النار ، وقال العباس بن عبد المطلب عن امرىء القيس هو سابق الشعراء (٣) ، وقدمه كذلك الفرزدق (٤) وقتيبة بن مسلم (٥) ومروان بن أبى حفصة (٣٨١ ج ٣ العقد) .

= مخضرمون ، والمخضرمون مشتق من الخضرمة وهى القطع ويقال بعير مخضرم إذا قطع طرف أذنه فسمى الشاعر مخضرما لانقطاعه عن الجاهلية إلى الاسلام أو لأن رتبة المخضرمين فى الشعر قد نقصت فى الاسلام ، وقيل هو من الحضرمة بالحاء وهى الخلطة لأنه خلط الجاهلية والاسلام (٣٠٤ و ٢/٣٠٥ المزهر)

(١) ٢/٢٩٦ المزهر .

(٢) ٢/٢٩٧ المزهر (٣) ٢/٢٩٦ المزهر (٤) ٢/٢٩٧ المزهر . وكان الفرزدق أروى الناس لأخبار امرىء القيس وأشعاره (٤/٣٥٣ العقد)، وراجع يوم دارة جلجل فيه (٤/٣٥٢)

(٥) ٢/٢٩٨ المرجع

وقدم خلف الأعشى ، وكذلك سوى خلف من العلماء (٣٠٠ ج ٢ المزهر) ، وكذلك الأخطل (٤٥ الجمهرة)

وقدم جرير زهيرا ، وكذلك قدمه ابن أحمر (١) ، ويروى أن جريرا قدمه على الشعراء (١) .

وكان علماء البصرة يقدمون امرأ القيس وأهل الكوفة يقدمون الأعشى وأهل الحجاز والبادية يقدمون زهيرا والنابغة وكان أهل العالية لا يعدلون بالنابغة أحدا وأهل الحجاز لا يعدلون بزهير أحدا(١)

والخلاف فى تقديم شاعر من هؤلاء الشعراء على الآخرين كثير ولا داعى للافاضة فيه (٢)

والذين يقدمون امرأ القيس يقدمونه لكثرة ما ابتكر من معان وخلق من أساليب فى الغزل وسواه (٣) .

والذين يقدمون النابغة يقولون هو أوضحهم معنى وأبعدهم غاية وأكثرهم فائدة (٤) .

والذين يقدمون زهيرا فلوضوح أسلوبه وجمال نظمه وتأليفه وحسن سبكه وتنوع فنونه .

والذين يقدمون الأعشى يقولون هو أمدحهم للملوك وأوصفهم للخمر وأغزرهم شعرا وأحسنهم قريضا (٥)

والذين قدموا لبيدا قالوا هو أفضلهم فى الجاهلية والاسلام وأقلهم لغوا فى شعره (٥) .

---

(١) ٢/٢٩٩ المرجع (٢) راجع فى ذلك ٣١ — ٤٦ من الجمهرة

(٣) راجع ٢/٢٩٧ المزهر وراجع ٣١ الجمهرة و ٣٤ الشعر والشعراء

(٤) ٣٣ الجمهرة وما بعدها

(٥) ٣٨ الجمهرة وكانت عائشة رضى الله عنها تروى ألف بيت للبيد (٣/٣٨٢ العقد)

والذين قدموا عمرو بن كلثوم قالوا هو من قدماء الشعراء وأعزهم نفسا وأكبرهم امتناعا وأجودهم واحدة [١].

والذين قدموا طرفة قالوا هو أشعرهم إذ بلغ بحداثة سنه مابلغ القوم فى طول أعمارهم ، نخب وركض معهم [٢]

— ٥ —

ويقسمون الشعراء إلى أربعة : شاعر خنذيذ وهو الذى يجمع إلى جودة الشعر رواية الجيد من شعر غيره ، وشاعر مفلق وهو الذى لارواية له إلا أنه مجيد كالخنذيذ فى شعره ، وشاعر فقط وهو فوق الردىء بدرجة ، وشعرور وهو لاشىء له . قال بعض الشعراء .

يارابع الشعراء كيف هجوتنى وزعمت أنى مفحم لا أنطق

وقيل بل هم . شاعر مفلق وشاعر مطبق وشويعر وشعرور [٣]

---

(١) ٤٠ المرجع (٢) ٤١ المرجع

(٣) ٢/٣٠٥ المزهر وراجع ٢١ - ٢٢٤ البيان والتبيين للجاحظ

صلة الشعر العربى بالتاريخ

والشعر العربى الجاهلى كما يقول ابن فارس « ديوان العرب وبه حفظت الأنساب وعرفت المآثر ، ومنه تعلمت اللغة ، وهو حجة فيما أشكل من غريب كتاب الله وغريب حديث رسوله صلوات الله عليه [١] ، وهو كما يقول ابن سلام: «ديوان علمهم ومنتهى حكمتهم به يأخذون واليه يصيرون [٢] ،

وبحق أن الشعر الجاهلى وثيق الصلة بحياة الجاهليين وعاداتهم وأخلاقهم ومعارفهم لأنه يمثلها أصدق تمثيل ، مما يجعله سجلا لتاريخ العرب قبل الاسلام

وإذا كان العرب فى الجاهلية لم يستطيعوا تخليد حياتهم وتاريخهم فى كتاب أو على الآثار ، فقد خلدوها على صفحات شعرهم الذى ضمنوه أخبارهم وحيانهم وأسماء بلادهم وحيواناتهم ونباتهم ، وأودعوه عاداتهم وتقاليدهم ومعارفهم وحروبهم ومجتمعاتهم ، حتى كان الشعر الجاهلى أكبر مصدر تاريخى لحياة العرب فى الجاهلية ، وفيه أسماء محبوباتهم وأبطالهم وشعوبهم وقبائلهم وأيامهم ووقائعهم وأسماء منازلهم ومياههم وعتاق خيولهم وأوصاف سيوفهم وملاعب ولدانهم إلى ماسوى ذلك مما سبق الألمام به .

الشعر الجاهلى صورة لأخلاق العرب فى الجاهلية

وأهم أخلاق العربى قبل الاسلام . الشجاعة والكرم والوفاء والأنفة والاباء والحمية والعفة وحب الاستقامة والأخذ بالثار .

يمثل شجاعتهم قول عمرو بن معد يكرب :

هم ينذرون دمى وأنـــذر إن لقيت بان أشدا
كم من أخ لى صالح بوأته بيـــدى لحدا

---

(١) ٢/٢٩١ المزهر (٢) ٢/٢٩٣ المزهر

ما إن جزعت ولا هلعـــت ولا يرد بكاى زندا
ألبستـــه أثوابه وخلقت يوم خلقت جلدا

وقول الحصين بن الحمام المرى :

تأخرت أستبقى الحياة فلم أجد لنفسى حياة مثل أن أتقدما
فلسنا على الأعقاب تدمى كلومنا ولـكن على أقدامنا تقطر الدما

وقول وداك .

إذا استنجدوا لم يسألوهم من دعاهم لأية حرب أم بأى مكان

ويمثل كرمهم قول عتبة بن بجير :

فقالوا غريب طارق طوحت به متون الفيافى والخطوب الطوائح
فقمت ولم أجشم مكاى ولم تقم مع النفس علات البخيل الفواضح
وناديت شبلا فاستجاب وربما ضمنا قرى عشر لمن لا نصافح
فقام أبو ضيف كريم كأنه وقد جد من فرط الفكاهة مازح
إلى جذم مال قد نهكنا سوامه وأعراضنا فيه بواق صحائح
جعلناه دون الذم حتى كأنه إذا عد مال المكثرين المنائح (١)
لنا حمد أرباب المئين ولا يرى إلى بيتنا مال مع الليل رائح

ويمثل عفتهم قول النابغة :

رقاق النعال طيب حجزاتهم يحبون بالريحان يوم السبائب

وقول ابن الأطنابة :

المانعين من الخنا جاراتهم والحاشدين على طعام النازل

وقول شقران :

أولئك قومى بارك الله فيهم على كل حال ما أعف وأكرما

وقول حجر بن حية العبسى :

---

(١) جمع منيحة وهى الناقة أو الشاة تدفع إلى الجار لينتفع بلبنها مادام فيها ابن

لا أحرم الجارة الدنيا إذا اقتربت ولا أقوم بهـا فى الحى أخزيها

إلى غير ذلك مما يمثل شتى أخلاقهم تمام التصوير

الشعر الجاهلى سجل لعقائد العرب

ورغم ماضاع من الشعر الوثنى للعرب فى جاهليتهم فقد بقى منه الكثير مما يعطيك صورة واضحة لحياة العرب الدينية

ا — يقول عبد العزى المزنى يحلف بمناة :

إنى حلفت يمين صدق برة بمناة عند محل آل الخزرج

ويقول أوس بن حجر يحلف باللات والعزى :

وباللات والعزى ومن دان دينها وبالله إن الله منهن أكبر

ويقول عبيد فى « اليعبوب » وهو صنم لجديلة طىء وكان لهم صنم أخذته منهم بنو أسد فتبدلوا « اليعبوب » بعده

فتبدلوا « اليعبوب » بعد إلههم صنما فقروا ياجديل وأعذبوا

إلى غير ذلك مما قيل الأصنام والأوثان

ب — وكان من العرب دهريون ، ويقول شاعر منهم :

منع البقاء تقلب الشمس وطلوعها من حيث لاتمسى

وطلوعها حمراء صافية وغروبها صفراء كالورس

تجرى على كبد السماء كما يجرى حمام الموت فى النفس

اليوم أعلم مايجىء به ومضى بفصل قضائه أمس

جـ — وكان منهم الثائرون على الوثنية المتطلعون لدين من التوحيد ، قال زيد بن عمرو بن نفيل :

أربا واحدا أم ألف رب أدين إذا تقسمت الأمور

عجبت وفى الليالى معجبات وفى الأيام يعرفها البصير

بأن الله قد أفنى رجالا كثيرا كان شأنهم الفجور

ويقول أمية بن أبى الصلت :

الحمد لله مسانا ومصبحنا بالخير صبحنا ربى ومسانا
رب الحنيفة لم تنفد خزائنه مملوءة طبق الآفاق أشطانا

وقال النابغة :

مجلتهم ذات الآله ودينهم قويم فما يرجون غير العواقب

وقال الأعشى :

استأثر الله بالوفاء وبالعد ل ، وولى الملامة الرجلا

وقال أبو قيس صرمة من بنى النجار :

سبحوا الله شرق كل صباح طلعت شمسه وكل هلال
يا بنى الأرحام لا تقطعوها وصلوها قصيرة من طوال
يا بنى النجوم لا تظلموها إن ظلم النجوم داء عضال

ولكثير من الشعراء الجاهليين حتى امرىء القيس أشعار تدل على عقيدتهم الدينية ، أليس هو الذى ينسب اليه .

الله أنجح ما طلبت به والبر خير حقيبة الرحل

ويقول : ومن الطريقة جائر وهدى قصد السبيل ومنه ذو دخل

معارف العرب فى الشعر الجاهلى

والشعر الجاهلى يصور لك معارف العرب فى جاهليتهم بوضوح ودقة فحول الطب ومعرفتهم به الكثير من الأبيات التى تدل بصورة واضحة على هذا اللون من معارفهم ، قال الشاعر :

فهل لكم فيها إلى فانني خبير بما أعيا الغطاس حذيما

وفى العرافة جاء قول الشاعر :

جعلت لعراف اليمامة حكمه وعراف نجد إن هما شفيانى

ويدل على معرفتهم بالكتابة قول لبيد :

وجلا السيول عن الطلول كأنها زبر تجد متونها أقلامها

وقول المرقش : « كما رقش فى ظهر الأديم قلم »

وفى معرفتهم بالملاحة قول عمرو بن كلثوم

ملأنا البر حتى ضاق عنا ونحن البحر نملؤه سفينا

وقول طرفة :

كان حدوج المالكية غدوة خلايا سفين بالنواصف من دد

عدولية أو من سفين ابن يامن يجور بها الملاح طورا ويهتدى

يشق حباب الماء حيزومها بها كما قسم الترب المفايل باليد

وفى الزجر قول الشاعر :

خبير بنو لهب فلا تك ملغيا مقالة لهبى إذا الطير مرت

إلى غير ذلك من شتى أشعارهم التى تدل على معارفهم

الشعر الجاهلى والحياة الاجتماعية عند العرب

والشعر الجاهلى يصور لنا الحياة الاجتماعية فى الجاهلية وعادات العرب فيها أدق تصوير .

١ — فقد كانوا يطلقون نساءهم ، قال الأعشى .

أيا جارتى بينى فانك طالقة كذاك أمور الناس غاد وطارقة

وكانوا يتزوجون نساء آبائهم بعد وفاتهم ، قال عمرو بن معد يكرب

فلولا إخوتى وبنى منها ملأت لها بذى شطب يمينى

٢ — وكانوا يشربون الخمر ، قال عنترة

فاذا سكرت فانى مستهلك مالى وعرضى وافر لم يكلم

وإذا صحوت فما أقصر عن ندى وكما علمت شمائلى وتكرمى

وقال عمرو بن كلثوم

ألا هبى بصحنك فأصبحنا ولا تبقى خمور الأندرينا

وكان بعضهم يحرمها على نفسه ، قال قيس بن عاصم :

لعمرك إن الخمر مادمت شاربا لسالبة مالى ومذهبة عقلى

٣ — وكانوا يعنون بالخيل أتم عناية ، وحفظ الشعر الجاهلى أسماء الكثير منها ، قال الحارث بن عباد :

قربا مربط النعامة منى لقحت حرب وائل عن حيال[1]

ويقول بشر بن أبى خازم فى الفخر

وبكل أجرد سابح ذى ميعة متماحل فى آل أعوج ينتمى

---

(١) أى عقم

وكانوا يحضرون الحلبة [1] ويشتركون فى السباق ، قال عنترة :

فلله عينا من رأى مثل مالك عقيرة قوم إذ جرى فرسان

فليتهما لم يجريا قيد خطوة وليتهما لم يرسلا لرهان

وفى سباق داحس والغبراء وقعت هذه الحرب المشهورة .

٤ — وكانوا يعقرون نوقهم وأفراسهم على قبور العظماء ، من ذلك قول الشاعر :

فاذا مررت بقبره فانضح به كوم الجلاد وكل طرف سابح

وانضح جوانب قبره بدمائها فلقد يكون أخادم وذبائح

٥ — والميسر والقمار عندهم شائع ، قال لبيد :

وجزور أيسار دعوت لحتفها بمغالق متشابه أجسامها

وقال امرؤ القيس :

وما ذرفت عيناك إلا لتضربى بسهميك فى أعشار قلب مقتل

٦ — وكانوا يستقسمون بالأزلام ، فاذا أرادوا عمل شىء جاءو إلى هبل وهو أعظم صنم لقريش بمكة فى الكعبة ومعهم مائة درهم فأعطوها صاحب القداح أجراً له حتى يجيل القداح لهم ، وهى سبعة محفوظة عند خازن الكعبة . اثنان للمضى فى الأمور المهمة أو للتريث فيها كتب على احدهما «أمرنى ربى» وعلى الآخر «نهانى ربى» ، وثلاثة لمعرفة النسب على احدهما «منكم» وعلى الثانى «من غيركم» وعلى الثالث «ملصق» ، واثنان لمعرفة القاتل على أحدهما «عقل» وعلى الثانى «غفل» ، وكانو يستقسمون عند ذى الخلصة أيضاً ، واستقسم عنده امرؤ القيس حين عزم على الأخذ بثأر أبيه فنهاه فقال:

لو كنت ياذا الخلص الموتورا لم تنه عن قتل العداة زورا

---

(١) هى الدفعة من الخيل فى الرهان وخيل يجتمع للسباق من كل أوب ، وتطلق على مكان السباق تجوزا

٧ — ومن عاداتهم تعليق الحلى والخلاخل على اللدبغ ليفيق ، قال النابغة .

فبت كأن ساورتنى ضئيلة من الرقش فى أنيابها السم ناقع
يسهد من ليل التمام سليمها لحلى النساء فى يديه قعاقع

٨ — ومن عاداتهم تحريم الخمر على أنفسهم فى مدة طلب الثأر ، قال تأبط شراً .

فأدركنا الثأر فيهم ولما ينج من الحيان إلا الأقل
حلت الخمر وكانت حلالا وبلأى ما ألمت تحـــل

٩ — وكانوا يئدون بناتهم ، وكان ذلك فى بعض القبائل وخوف الفقر أو العار وذلك مشهور لاداعى للكلام فيه . ويفتخر الفرزدق بجده فى الجاهلية لأنه أجار البنات حتى لايوأدن فيقول .

أجار بنات الوائدين ومن يجر من الموت فاعلم أنه غير مخفر

١٠ — وكانوا إذا أوردوا البقر فلم ترد ضربوا الثور ليقتحم البقر بعده قال الشاعر .

إنى وقتـــلى سليكا ثم أعقله كالثور يضرب لما عاقت البقر

وإذا أصاب الجرب الأبل كووا الصحيح ليبرأ السقيم ، قال النابغة .

وكلفتنى ذنب امرىء وتركته كذى العر يكوى غيره وهو راتع

١١ — وإذا قتل منهم قتيل لم يؤخذ بثاره قالوا : انه يخرج من رأسه هامة فتنادى على قبره « اسقونى فانى صدية » ، قال ذو الأصبع العدوانى :

ياعمرو إلا تدع شتمى ومنقصتى أضربك حتى تقول الهامة أسقونى

وكانوا يؤخرون البكاء على القتيل ويحرمون الخمر عليهم حتى يؤخذ بثاره

١٢ — وكان الرجل البغيض إذا نزل ضيفا عندهم أكرموه فاذا رحل كسروا شيئا من الأوانى وراءه حتى لايعود ، قال الشاعر :

كسرنا القدر بعد أبى سواح فعاد وقدرنا ذهبت ضياعا

وقال آخر :

ولا نكسر الكيزان فى أثر ضيفنا ولكننا نقضيه ذادا ليرجعا

١٣ — وكانوا يعتقدون أن المرأة إذا شقت رداء الرجل وشق الرجل يرقعها صلح حبهما ودام . قال سحيم :

وكم شققنا من رداء محبر ومن برقع عن طفلة غير عابس

تروم بهذا الفعل بقيا على الهوى وألف الهوى يغرى بهذى الوساوس

وكان النساء إذا غاب عنهن من يحببنه أخذن ترابا من موضع قدمه ويزعمن أن ذلك أسرع فى رجوعه ، قالت امرأة .

أخذت ترابا من مواطىء رجله غداة غد ، كيما يؤوب مسلما

١٤ — وكانوا يحيون الملوك بالريحان فى الأعياد ، قال النابغة « يحيون بالريحان يوم السباسب » .

١٥ — النسىء وهو تأخير حرمة القتال فى المحرم إلى صفر ، وكانت كنانة هى التى يلجأ اليها فى ذلك ، قال عمرو بن قيس الكنانى الشاعر الجاهلى

ألسنا الناسئين على معد شهور الحل نجعلها حراما

١٦ — وكان الرجل منهم إذا أراد سفرا عمد إلى شجرة وشد غصنين منها فان رجع ووجدهما على غير حالها علم أن أهله خانته . ويسمون ذلك عقد الرتم وهو ضرب من الشجر واحدته رتمة ، والرتمة والرتيمة خيط يشد على الأصبع تستذكر به الحاجة ، قال شاعر :

خانته لما رأت شيبا بمفرقه وغره حلفها ، والعقد للرتم

١٧ — ومنها ذهاب خدر الرجل بذكر الحبيب ، ويقول الشاعر

وأنت لعينى قرة حين نلتقى وذكرك يشفينى إذا خدرت رجلى

١٨ — وكانوا يستشفون من عضة الكلب بدم الرؤساء وشرب قطرة

منه مخلوطة بالماء قال الشاعر :

بثاة مكارم وأساة كلم دماؤهم من الكلب الشفاء

١٩ — وكانت العرب تؤرخ بالنجوم ، ثم أرخوا بالحوادث المشهورة فأرخوا بعام الفيل ، وأرخت قريش بموت هشام بن المغـــيرة المخزومى لجلالته فيهم .

إلى غير ذلك من شتى عاداتهم التى يمثلها الشعر الجاهلى أرق تمثيل

٢٠ — ويقول نيكلسون : « إن الشعر الجاهلى وصف نقـدى لحياة الجاهلية وأفكارها ، ومعظم الشعر الذى قيده أبو تمام خاص بشجاعة العرب فى الحروب وصبرهم على الشدائد » ورأى نيكلسون أن شعر الحماسة يعد صورة لحياة الجاهلية ووصفا لأخلاقهم .

رواية الشعر

١ — لم تكن العرب تدون شعرها فى الجاهلية فى ديوان أوسفر وإنما كان محفوظا فى الصدور ، تعيه حافظتهم وقلوبهم وأذواقهم وملكاتهم الأدبية الفطرية .

وقد تعجب مما تقرأ من رواة العرب بعد الاسلام وكثرة ما كانوا يحفظون ، ولكن لاعجب ، فملكات الذكاء والحفظ قوية عندالعرب وكانت تعينهم على تخليد الشعر العربى حتى لايضيع .

ولقد كان الأصمعى يقول : مابلغت الحلم حتى رويت أثنى عشرة ألف أرجوزة ، وكان خلف أروى الناس للشعر وأعلمهم بجيده ، وكان خلف مع روايته وحفظه . يقول الشعر فيحسن وينحله الشعراء ويقال إن القصيدة .

إن بالشعر الذى دون سلمع لقتيلا دمـــه مايطل

لخلف الأحمر نحلها ابن أخت تأبط شرا . وكذلك كان يفعل حماد يحقق الشعر القديم ويقول : مامن شاعر إلا قد حققت فى شعره أبياتا فجازت عنه إلا أعشى بكر فانى لم أزد فى شعره غير بيت [1] . ويقول المفضل : سلط على الشعر من حماد ما أفسده .

ورغم هذه الرواية والحافظة القويه فقد ضاع الكثير من الشعر العربى الجاهلى وغيره ، حتى قال أبو عمرو بن العلاء ، ما انتهى إليكم مما قالت العرب إلا أقله ولو جاءكم وافرا لجاءكم علم وشعر كثير [2] .

وأصيب الشعر العربى مع الضياع بالافتراء والاختلاق عليه من بعض

---

(١) راجع ٣/٤٠٢ العقد

(٢) ٢/٢٩٤ المزهر

الرواه لأسباب كثيرة منها العصبية أو الرغبة فى تفادى الأحراج أو سوى ذلك .

ولكن النقاد اهتموا بتمييز الصحيح من المنحول ونبهوا على الكثير من المختلق ، وألفوا كتبا كثيرة جمعوا فيها ماصح من الشعر الجاهلى والآثار الأدبية الأخرى .

٢ — وكان لكل شاعر راوية يحفظ شعره وينشده ويأخذ من الشاعر فن الشعر ومذهبه فى القريض .

فكان امرؤ القيس راوية أبى دؤاد الأيادى . وزهير راوية اوس بن حجر ، والأعشى راوية المسبب ، كما كان الحطيئة راوية زهير .

هذا وسيأتى ذكر لكثير من رواة الشعر الجاهلى

الرجز فى العصر الجاهلى

١ - كان الشعر الجاهلى قبل أن ينتقل إلى النهضة الفنية الواسعة على يد مهلهل وامرىء القيس كان كله رجزا ، ينطق الشاعر بالبيت أو البيتين فيما يعرض له من شئون الحياة ، كالأبيات التى تؤثر عن دويد بن زيد والعنبر بن عمرو ابن تميم وأعصر بن سعد والمنوغر بن ربيعة وسواهم (١)

ولكن هذا الرجز كان خاليا من آثار التهذيب ، وخمل شأنه بيد النهضة الفنية فى الشعر على يد امرىء القيس وسواه

٢ - ثم جاء الأغلب العجلى ، فاتخذ الرجز صناعة فنية ونظم وأجاد فيه فكان الأغلب أول من طول شعر الرجز ، ويرى بعض النقاد كالجمحى وغيره أنه أول من رجز ، وينفى ذلك ابن رشيق لأن الأغلب أدرك عصر الرسول (ص) وليس بقديم جدا مع أن الرجز كان قبله . ويذكر أبو عبيدة أن العجاج هو أول من أطال الرجز وقصده وشبب فيه وذكر الديار واستوقف الصحاب عليها واستوصف مافيها وبكى على الشباب ووصف الراحلة ، كما فعلت الشعراء بالقصيدة فكان فى الرجاز كامرىء القيس فى الشعراء وارجوزته « قد جبر الدين الاله فجبر » نحو من مائة بيت وهى موقوفة مقيدة (٢) ، ويؤيد ابن قتيبة أن الأغلب هو أول من أطال الرجز (٣) وهو الصحيح ، وأما العجاج فقد انتقل بالرجز خطوة جديدة فسار فيه على نهج الشعراء فى القصيدة

٣ - واشتهر بعد ذلك من الرجاز : العجاج وابنه رؤبة ، وأبو نخيله ، وأبو النجم ، ودكين ، والأغلب

---

(١) ٢٩٤ و ٢/٢٩٥ المزهر ، ١٨ - ٢١ طبقات الشعراء

(٢) راجع فى ذلك كله ص ٣٠١/٢ المزهر ، ٢٤٥ وما بعدها طبقات الشعراء

(٣) ٢٣٥ الشعر والشعراء

النقد الأدبى فى الجاهلية

— ١ —

النقد الأدبى هو الحكم الذى تصدره على الشعر والنثر ، وهو عند المحدثين تقدير النص الأدبى تقديراً صحيحاً وبيان قيمته ودرجته الأدبية (١) ، وهو كما أقول : تحليل الآثار الأدبية والحكم عليها وبيان قيمتها الأدبية والموازنة بينها وبين مايشابهها من الآثار ، وأصول النقد قراءة وفهم وتفسير وحكم ، والغرض منه دراسة الأساليب أو الكتاب أو الآراء والأفكار (٢)

لم يكن النقد الأدبى عند العرب فى أول نشأته بهذا اللون من الدراسة والموازنة ، إنما كان تعبيرا خاطفا ينم عن رأى فى الاجادة أو الاستهجان للنصوص الأدبية العامة ، ثم تدرج فى الدقة فى أحكامه الأدبية عصراً بعد عصر حتى وصل إلى ماهو عليه وعلى مانفهمه الآن

نشأ النقد فى الجاهلية مرتجلا ، وكان هينا يسيرا ملائما لروح العصر وللشعر العربى نفسه (٣) ، عربى النشأة كالشعر لم يتأثر بمؤثرات أجنبية ولم يقم إلا على الذوق العربى السليم (٤)

وجد فى أطوار تهذيب الشعر وفى اختيار المعلقات وتعليقها على الكعبة (٥) وفى حكومة أم جندب بين امرىء القيس وعلقمة (٦) ، وحكومة النابغة

---

(١) اصول النقد الأدبى للشايب (٢) ٩٠ ومابعدها مقدمة لدراسة بلاغة العرب (٣) ٢٤ تاريخ النقد الأدبى عند العرب (٤) ٢٥ تاريخ النقد الأدبى عند العرب (٥) ٣٧٩/٣ العقد (٦) ١٢٨/٨ الأغانى ، ونقد الرافعى هذه الحكومة (٢٢٥ - ٢٣٤/٣ آداب العرب للرافعى) وتابعه فى ذلك محمد هاشم (١٨٤ الأدب العربى فى العصر الجاهلى) ويرتاب باحث فى صحة هذه الحكومة ويرى جورها ويقول ولعل ذلك مما حمل ابن المعتز على أن ينكر هذه القصيدة فيما أنكره من شعر امرىء القيس (٢١ و ٢٢ تاريخ النقد الأدبى عند العرب)

بين الشعراء وكان تضرب له قبة حمراء في عكاظ ويأتيه الشعراء وينشدونه أشعارهم (١) ، ومن حكم ربيعة بن حذار الأسدى على الزبرقان بن بدر والمخبل السعدى وعبدة بن الطبيب وعمرو بن الأهتم (٢) ، ووجد فى نقد الشعراء للشعر ، فامرؤ القيس يمر بكعب وأخويه : الغضبان والقعقاع فأنشدوه فقال . إنى لأعجب كيف لاتمتلىء عليكم نارا جودة شعركم فسموا بنى النار (٣) ويقول النابغة : أشعر الشعراء من استجيد كذبه وأضحك رديئه (٤) ،وسمى كعب الغنوى كعب الأمثال لكثرة مافى شعره (٥) منها ، وسمى طفيل الغنوى طفيل الخيل لكثرة وصفه إياها والنمر بن تولب المحبر لحسن شعره (٦) ، وسموا قصيدة سويد بن أبى كاهل بسطت رابعة الحبل لنا اليتيمة كما سموا بعد ذلك خطبة لسحبان الشوهاء لحسنها (٧) ، ويقول زهير ويروى لحسان

وان أشعر بيت أنت قائله بيت يقال إذا أنشدته صدقا

ورأى لبيد بعد شيخوخته أن أشعر الناس امرؤ القيس ثم طرفة ثم نفسه (٨) إلى غير ذلك من مظاهر النقد فى الجاهلية

— ٢ —

صور من النقد الأدبى فى الجاهلية :

١ — كان النابغة تضرب له قبة حمراء فى سوق عكاظ فتأتيه الشعراء

---

(١) ١٢٣ الشعر والشعراء

(٢) ١٤ تاريخ النقد الأدبى عند العرب (٣) ٧٠ من المؤتلف للآمدى

(٤) ٢٥٦ سر الفصاحة لابن سنان، ٥٠ و ٢/٥٨ العمدة (٥) ٣٤١ معجم الشعراء

(٦) ١٨٤ المؤتلف ، ٢/١١٢ العمدة (٧) ١/٢٢٥ البيان والتبيين

(٨) ٢٠ الجمهرة ، ٣/٣٨٠ . ويقول ابن عبد ربه :

وهذا - أى تفضيل شاعر وأنه أشعر الشعراء - مما لايدرك غايته ولا يوقف على حد منه والشعر لايفوت به أحد ولا يأتى منه بديع إلا ماأتى فهو أبدع منه ، ولله در القائل : أشعر الناس من أنت فى شعره (٣/٣٨١ العقد)

وتنشده أشعارها ، فأتاه الأعشى فأنشده ، ثم أتاه حسان فأنشده ، فقال : لولا أن أبا بصير أنشدنى آنفا لقلت أنك أشعر الجن والانس ، قال حسان : والله لأنا أشعر منك ومن أبيك وجدك ، فقبض النابغة على يده ثم قال يا ابن أخى أنت لاتحسن أن تقول :

فانك كالليـل الذى هو مدركى وان خلت أن المنتأى عنك واسع

ثم قال للخنساء فأنشدته :

قذى بعينك أم بالعين عوار أم أقفرت إذ خلت من أهلها الدار ؟

فلما بلغت قولها :

وان صخرا لتأتم الهداة به كأنه علم فى رأسه نار

قال : مارأيت ذا مثانة أشعر منك قالت ولا ذا خصيتين(١) وتزاد فى هذه الرواية زيادات فيها مبالغة كثيرة تتصل بنقد قول حسان :

لنا الجفنات الغر يلمعن بالضحى وأسيافنا يقطرن من نجدة دما

ولدنا بنى العنقاء وابنى محرق فأكرم بنا خالا وأكرم بنا ابنما

وهى مشهورة ولاداعى لذكرها

٢ — وسمع طرفة وهو صغير بيت المسيب بن علس :

وقد أتناسى الهم عند احتضاره بناج عليه الصيعرية مكدم

فنقده وأزرى به بقوله : «استنوق الجمل» لأنه وصف الفحل بالصيعرية وهى عندهم من صفات إناث الإبل

٣ — وتنازع امرؤ القيس وعلقمة بن عبدة حول قصيدتين لهما وأيهما أشعر من الآخر ، والقصيدتان فى وصف الفرس والصيد ، ومطلع قصيدة امرىء القيس :

خليلى مرا بى على أم جندب لنقضى حاجات الفؤاد المعذب

---

(١) راجع ١٢٣ الشعر والشعراء

ومطلع قصيدة علقمة:

ذهبت من الهجران فى كل مذهب ولم يك حقا كل هذا التجنب

فتحاكما إلى أم جندب الطائية زوج امرىء القيس ، ففضلت علقمة عليه قالت وقد سمعت قول امرىء القيس :

فللسوط ألهوب وللساق درة وللزجر منه وقع أهوج منعب(١)

وقول علقمة :

فأدرك لم يجهد ولم يثن شأوه يمر كمر الرائح المتحلب

فقالت له : فرس علقمة أجود من فرسك لأنك حركته بساقك وامتريته بسوطك وزجرته بصوتك ، وأدرك فرس علقمة ثانيا من عنانه

٤ — وقال الأعشى يمدح قيس بن معديكرب :

ونبئت قيساً ولم أبله وقد زعموا ساد أهل اليمن

فعابوا عليه قوله « زعموا » . إلى غير ذلك من مظاهر النقد فى الجاهلية

---

(١) الالهوب : شدة الجرى . الدرة : الجرى اللين . الأهوج : الأحمق. المنعب : الذى يستعين بصوته .

فنون الشعر الجاهلى أو أغراضه

— ١ —

أغراض الشعر هى فنونه وموضوعاته التى يقول فيها الشعراء من مدح وهجاء وفخر ورثاء وغزل وحكمة وماشاكل هذه الموضوعات التى عرفها الشعر والشعراء من قديم

وأغراض الشعر طرقها الشعراء فنا ولكن لم يصطلحوا عليها اصطلاحا ، وكانت « أقسام الشعر فى الجاهلية كما يقول أبو هلال خمسة : المديح والهجاء والوصف والتشبيب والمراثى حتى زاد فيها النابغة سادساً هو الاعتذار فأحسن فيه ولا أعرف أحداً من المحدثين بلغ مبلغه فيه إلا البحترى (١) ، وليس للعرب شىء ينسب إلى التهانى وماجاء عنهم من شكلها فهو من جملة المدح(٢)»

وقالوا : بنى الشعر على المدح والهجاء والنسيب والرثاء ، وقالوا قواعد الشعر : الرغبة ومنها يكون المدح والشكر ، والرهبة ومعها يكون الاعتذار والاستعطاف ، والطرب ومعه يكون الشوق ورقة النسيب ، والغضب ومعه يكون الهجاء والعتاب . وقال الرمانى أكثر أغراض الشعر خمسة : النسيب والمدح والهجاء والفخر والوصف (٣)

وقالوا : للشعراء فنون كثيرة تجمعها أربعة : المديح والهجاء والحكمة واللهو ؛ ثم يتفرع من كل صنف من ذلك فنون : فمن المديح المراثى والافتخار والشكر واللطف فى المسألة وغير ذلك مما أشبهه وقارب معناه ، ومن الهجاء الذم والعتب والاستبطاء والتأنيب وماأشبه ذلك وجانسه ،ومن الحكمة الأمثال والتزهيد والمواعظ وما شاكل ذلك ، ومن اللهو الغزل

---

* زيادة على المنهج الدراس المقرر

(١) ١/٩١ ديوان المعانى

(٢) ١/٩٢ المرجع

(٣) ١/١٠٠ العمدة

والطرد وصفة الخمر وما أشبه ذلك وقاربه(١) . وأول من عد فنون الشعر وميز بينها تمييزاً هو أبو تمام فإنه رتب كتابه الحماسة فى عشرة أبواب :

الحماسة ، والمراثى ، والأدب ، والتشبيب ، والهجاء ، والأضياف والمديح ، والصفات ، والسير ، والملح ومذمة النساء

أما البحترى فقد خالف أبا تمام فى ذلك وجعل حماسته التى عارض بها حماسة أستاذه أبى تمام ١٧٤ بابا وأهداها للفتح بن خاقان . ونجد الحماسة البصرية (٢) لأبى الحسن البصرى اثنى عشر بابا . الحماسة والمديح . الرثاء . الأدب . الغزل . الأضياف . الهجاء . مذمة النساء . الصفات . النعوت . السير . الأكاذيب والخرافات . الزهد

ويجعل عبد العزيز بن أبى الأصبع أغراض الشعر ثمانية عشر (٣)

ورواة الشعر العربى فى العصور الأولى كان لهم أثر كبير فى تقسيم الشعر إلى فنون وأبواب :

فجامع ديوان أبى نواس (٤) يقسمه إلى فنون ثمان : المديح . المراثى . العتاب . الهجاء . الزهد . الطرد . الخمريات . الغزل والمجون

وديوان أبو تمام (٥) مقسم إلى أبواب : المديح . المراثى . المعاتبات . الأوصاف . الغزل . الفخر . الهجاء

وديوان ابن المعتز رواية الصولى مقسم إلى عشرة أبواب : الفخر . الغزل المديح . الهجاء . الخمريات . المعاتبات . الطرد . الأوصاف . الرثاء . الزهد

---

(١) ٨١ نقد النثر (٢) ٥٢٠ أدب مخطوط بدار الكتب الملكية

(٣) ٣/٧١ تاريخ آداب العرب للرافعى

(٤) اعتنى بجمع شعره جماعة منهم الصولى وعلى بن حمزة الأصفهانى وابزاهيم ابن أحمد الطبرى .

(٥) جمعه الصولى ورتبه على الحروف وجمعه على بن حمزة الأصفهانى ورتبه على الأنواع (١/٢٨٣ كشف الظنون)

وكان كثير من دواوين الشعر ترتب بحسب الحروف الهجائية للقوافى لابحسب الأغراض ومنها ديوان البحترى (١) ، أما ديوان ابن الرومى فلم يطبع إلا مختارات منه ولانعلم على أى نهج صنع جامعه فى ترتيب شعره (٢) على أن ليس من السهل تقسيم الشعر العربى إلى أبواب شاملة تستوعب جميع ماجادت به قرائح الشعراء فالأبواب التى يطرقها الشعراء تختلف باختلاف العصور وباختلاف شخصيات الشعراء

وبعض العلماء والنقاد يدخل بعض هذه الفنون فى بعض . فقدامة يرجع فى نقد الشعر الرثاء إلى المدح ويرى أن لافرق بينهما إلا فى اللفظ دون المعنى (٢) ، وإن كان هذا لم يحل بينه وبين أن يجعل أغراض الشعر ستة :

المديح والهجاء والرثاء والتشبيه والوصف والنسيب

وأغراض الشعر عند ابن رشيق كما عدها فى عمدته : النسيب والمديح والافتخار والرثاء والاستنجاز والعتاب والوعيد والانذار والهجاء والاعتذار

ثم جاء البارودى فى العصر الحديث فسار قريبا من نهج أبى تمام فى تقسيم الشعر إلى فنونه المختلفة وهى عنده سبعة : الأدب والمديح والرثاء والصفات والنسيب والهجاء والزهد

هذا وأدباء الغرب يجعلون أبواب الشعر عامة ثلاثة : الشعر القصصى أو شعر الملاحم ، والشعر الغنائى أو الانشادى والشعر التمثيلى أو المسرحى ، وهذه الأقسام الثلاثة قد ظهرت للمرة الأولى فى الأدب اليونانى ثم أخذ الرومان يقلدون اليونان فى فنونهم وسار الأدب اللاتينى فى الطريق التى سار

---

(١) جمعه الصولى ورتبه على الحروف وجمعه على بن حمزة الاصفهانى ورتبه على الأنواع (١ ٣٧٨) كشف الظنون)

(٢) عمل شعره ورتبه على الحروف الصولى وجمعه أبو الطيب وراق بن عبدوس من جميع النسخ فزاد فيه نحو ألف بيت وابن سينا انتخبه وشرح مشكلات شعره (١ ٣٨٢) كشف)

فيها الأدب اليونانى ، وفى عهد النهضة أخذ الأوربيون يدرسون الأصول اليونانية فتأثرت بها آدابهم تأثراً مباشراً ، وبنى الشعر الأوربى الحديث على الأصول اليونانية اللاتينية من حيث الأقسام الثلاثة المعروفة (١) . والعرب مع اطلاعهم على علوم اليونان وفلسفتهم لم يهتموا بالانتاج الأدبى اليونانى فلم يصل فن التمثيل إلى البلاد العربية إلا فى العصر الحديث عن طريق الغربيين ، كذلك لم ينشىء شعراء العربية قصصا منظومة على طريقة الألياذة (٢) والشعر العربى الذى بأيدينا اليوم كله من الشعر الغنائى (٣)

وبعد فإنى أرى أن يقسم الشعر إلى أقسام يكون من أهمها :

١ — الشعر الوجدانى وهو الذى يصف عواطف النفس ومشاعرها وآمالها وآلامها وأحزانها ومسراتها وحبها ولهوها

٢ — الشعر الاجتماعى وهو الذى يحدثك عن المجتمع وحالته والبيئة والمؤثرات فيها والشخصيات وأثرها الاجتماعى فى حياة المجموعة العامة

٣ — الشعر السياسى ويتناول وصف الحياة السياسية وأحداثها والرجال الذين بيدهم زمام الأمور فى الدولة ممن تربطهم بالشاعر صلات خاصة أو عامة

٤ — شعر الآداب والحكم والأخلاق

٥ — الشعر الفنى وهو الذى يصور الحيـــاة ويصف مظاهر الطبيعة والأحياء ويرسم لك صوراً حية لكل مافى الوجود من كائنات

— ٢ —

ولكن لاضير علينا فى أن نقول إن الشعر الجاهلى ينقسم إلى فنون كثيرة منها : المدح . الهجاء . الرثاء . الفخر . الوصف . الغزل . الاعتذار . الحماسة . الحكمة . العتاب

وسيأتى الكثير من مثل كل فن من هذه الفنون والشواهد له من صميم الشعر الجاهلى وعيونه

---

(١) ٢٥٨ التوجيه الأدبى (٢) ٢٢٠ المرجع . ويمكننا اعتبار أرجوزة ابن المعتز فى المعتضد وتاريخه من شعر الملاحم والقصص (٣) ٢٢١ التوجيه

معانى الشعر الجـــاهلى

ا ــ يقول الآمدى فى الموازنة : « وهذا مذهب من مذاهب العرب عام فى أن يصفوا الشىء على ماهو وعلى ماشوهد من غير اعتماد لأغراب ولا إبداع (١) . ويقول فى امرىء القيس :

« وبهذه الخلة ـ لطف المعانى ـ دون ماسواها ، فضل امرؤ القيس ، لأن الذى فى شعره من دقيق المعانى وبديع الوصف ولطيف التشبيه وبديع الحكمة ، فوق مااستعار سائر الشعراء ، من الجاهلية والاسلام ، حتى أنه لاتكاد تخلو له قصيدة واحدة من أن تشتمل من ذلك على نوع وأنواع ، ولولا لطيف المعانى ، واجتهاد امرىء القيس فيها ، وإقباله عليها ، لما تقدم على غيره ، ولكان كسائر شعراء أهل زمانه ، إذ ليست له فصاحة توصف بالزيادة على فصاحتهم ، ولا لألفاظه من الجزالة والقوة ماليس لألفاظهم ، ألاترى أن العلماء بالشعر إنما احتجوا فى تقديمه بأن قالوا هو أول من شبه الخيل بالعصى وذكر الوحش والطير ، وأول من قال « قيد الأوابد » وأول من قال كذا وكذا ، فهل هذا التقديم إلا لأجل معانيه (٢) »

وهكذا نجد بعض التصوير لمعانى الشعر الجاهلى فى كتب الأدب والنقد كالوساطة والصناعتين وسر الفصاحة وسواها

ب ــ وبعد فمعانى الشعر الجاهلى تمتاز بما يأتى :

١ ــ البساطة والوضوح والصدق وعدم التكلف أو الأغراق وقلة

---

(١) ١٨٩ الموازنه طبعة صبيح

(٢) ١٨٠ و ١٨١ المرجع . وقد ذكر ابن رشيق بعض مااخترعه امرؤ القيس من معانى الشعر (٢/٢٣٢ العمدة) ؛ وكذلك ابن سلام فى طبقات الشعراء (٢٦ طبقات الشعراء) ، و ٢/٢٩٧ المزهر للسيوطى

المبالغة ، وإنما يعبر الشاعر الجاهلى عن المعانى التى تدور بخلده فى سذاجة وصدق ويسر لامثيل لهما

ومافى الشعر الجاهلى من بعض المبالغات ، مثل قول النابغة فى السيوف:

تقـــد السلوقى المضاعف نسجه وتوقد بالصفاح نار الحباحب

وقول امرىء القيس :

من القاصرات الطرف لو دب محول من الذر فوق الإتب منها لأثرا

وقوله :

تنورتها من أذرعات وأهلها بيثرب أدنى دارها نظر عالى

وقول المتلمس :

أحار إنا لوتساط (١) دماؤنا تزايلن حتى لايمس دم دما

يقول إن دمائهم تمتاز من دماء غيرهم ، وهـذا مالا يكون كما يقول ابن قتيبة (٢)

وقول المهلهل

ولولا الريح أسمع من بحجر صليل البيض تقرع بالذكور (٣)

وقول عنترة :

وأنا المنية فى المواطن كلها والطعن منى سابق الآجال

وقول النمر بن تولب فى السيف :

تظل تحفر عنه إن ضربت به بعد الذراعين والساقين والهادى

فانما كل هذه المبالغات مثل مفردة فى الشعر الجاهلى الذى يمتاز فى عمومه بقلة المبـالغة والتكلف والتهويل فى الوصف لأن الشعراء الجاهليين كانوا يسلكون دائمـا فى معانيهم التعبير الصـادق الواضح السـاذج البرىء من الغلو والأسراف

---

(١) أى تخلط (٢) ٥٣ الشعر والشعراء (٣) هى أصلب الحديد وأشده بيسا

٢ — عدم تركيب المعانى أو تعقيدها ، وقلما تجد معانى مركبة فى الشعر الجاهلى ، وإنما قد توجد معانى حسية متعددة تلاحظ أشكالها وألوانها كأنها منفصلة بعضها عن البعض الآخر ، كقول النابغة :

فانك شمس والملوك كواكب إذا طلعت لم يبد منهن كوكب

وقول امرىء القيس :

كأن قلوب الطير رطبا ويابسا لدى وكرها العناب والحشف البالى

وقول زهير يشبه امرأة بثلاث أشياء فى بيت واحد :

نازعت المها شبها ، ودر البحور ، وشاكهت فيها الظباء
فأما ما فويق العقد منها فمن أدماء مرتعها الخلاء
وأما المقلتان فمن مهاة وللدر الملاحة والصفاء

وقول امرىء القيس :

كأن المدام وصوب الغمام وريح الخزامى ونشر القطر
يعل به برد أنيابها إذا طرب الطائر المستحر

٣ — المعانى فى الشعر الجاهلى مستمدة من أوصاف حسية ولا أثر للمعانى العقلية فيها ، فتجد امرأ القيس حين يصف الليل يقول :

وليل كموج البحر أرخى سدوله على بأنواع الهموم ليبتلى
فقلت له لما تمطى بصلبه وأردف أعجازا وناء بكلكل
ألا أيها الليل الطويل ألا انجلى بصبح وما الأصباح منك بأمثل

ويقول النابغة:

فانك كالليل الذى هو مدركى وإن خلت أن التنأى عنك واسع

إلى غير ذلك من المناظر الحسية المشاهدة

٤ — ومعانى الشعر الجاهلى مستمدة من البيئة العربية فى العصر الجاهلى ، وهى تصورها تمام التصوير لأنها تعبير دقيق عن الحياة الجاهلية :

سلاما وحربا ، وجدا ولهوا ، وفرحا وحزنا ، وألما وأملا . كما تكثر فى الشعر الجاهلى أوصاف جبال الجزيرة وصحراواتها وقفارها ووديانها ومياهها وأوصاف أعشابها وحيواناتها وقراها ومنازلها إلى غير ذلك مما يتصل بالبيئة الجاهلية ويصورها تمام التصوير ، ألا ترى إلى قول امرىء القيس :

قفانبك من ذكرى حبيب ومنزل بسقط اللوى بين الدخول فحومل

كيف ذكر الأماكن وحددها هذا التحديد الجميل الدقيق ؟

٥ — قلة ترتيبهم للمعانى أو تأنقهم فى نظمها ، إنما كانوا يرسلون الكلام على ماخيلت نفوسهم واستدعته فطرتهم وسجيتهم وبديهتهم ، فيدخلون معنى فى معنى وينتقلون من غرض إلى غرض فى اقتضاب واضح دون عناية بالتلطف وحسن التخيل فى الانتقال ، وأحيانا يقولون : دع ذا وعد عن ذا ويكتفون بها فى الانتقال من معنى إلى معنى ومن غرض إلى غرض ، كما قال زهير فى هرم بن سنان يمدحه :

دع ذا وعد القول فى هرم خير البداة وسيد الحضر

وسبب ذلك أمية العرب وبداوتهم وقلة حظهم من الثقافة والتفكير الحضرى العميق

ج — ويمتاز امرؤ القيس كما سبق بابتكاره المعانى الجديدة الكثيرة مما اتبعته الشعراء فيها . وكان أوس بن حجر عاقلا فى شعره كثير الوصف لمكارم الأخلاق وهو من أوصفهم للخمر والسلاح ولاسيما القوس ، وسبق إلى دقيق المعانى وإلى أمثال كثيرة (١) ، وكان أبو داوود الأيادى أحد نعات الخيل المجيدين (٢) ، وكان الأعشى أوصفهم للخمر والحمر وأمدح وأهجى (٣) ، إلى آخر هذه النواحى التى امتاز بها الشعراء الجاهليون فى المعانى وفنون الشعر

---

(١) ٤٧ الشعر والشعراء (٢) ٦٩ المرجع (٣) ٨٢ المرجع

اخيلة الشعر الجاهلى

الخيال فى الشعر العربى :

الخيال ملكة خصبة تقدر على تخيل الأشياء وتصوير العواطف والآراء تخيلا وتصويرا يوضح لنا نواحيها الغامضة ويعرض علينا مافيها من أسباب الروعة والجمال عرضاً مؤثرا نحسبه حقيقة أو كالحقيقة الملموسة ، يأخذ الشاعر الأشياء المألوفة التى يراها الناس جميعا ثم يعمل فيها خياله فيخرجها فى صورة جديدة لم نكن نتوهمها ، فليس الخيال دائما مجافاة للحقائق وبعدا عن المألوف وقدرة على الاغراب والأتيان بما لايكون ، بل المهم أنه مرآة تنطبع فيها الصور فيعكسها وقد صفاها من كل شائبة وأخرجها اخراجا جديدا والخيال خادم للحقيقة وغايته تصوير ماحجب عنا من حقائق الوجود ، وهو فى حسن اختيار التفاصيل المميزة وحركة الذهن فى انتقاء هذه التفاصيل وضم بعضها إلى بعض وترتيبها ، فالشاعر يشعر بما حوله ويعتاد الملاحظة الدقيقة فى الحياة المحيطة به مما يتصل بالاحساس والشعور والعاطفة والتفكير ويلاحظ ذلك جملة وتفصيلا فتسجله ذاكرته بدقة ثم يركز ذلك فى ذهنه واعماق شعوره تركيزا تاما ، ويأخذ فى الغوص فى أغوار الذهن على التفاصيل ودلالتها ، مستغرقا فى نشوته الروحية وفى تأملاته ، وتصوره وتخيله استغراقا تاما يساعده على نشر المطوى من الملاحظات واظهارها فى فن جميل وآية من سحر القريض وهذا الاستغراق وتلك النشوة والغبطة بالتعبير عن النفس يفجران ينبوعا من القوة الباطنة يلهم الشاعر روائع الشاعرية وآثارا من الفن والجمال ، فمادة الشعر الأولى فى العواطف الإنسانية من حب وحزن وأمل ويأس وغير ذلك مما يشعر به الشاعر ويحس به الانسان ، وهذه العواطف هى الينابيع الصادقة للشعر (١) ، وهى التى يعمل الخيال عمله لتصويرها ويسعى ليركب

(١) والقدماء من النقاد يختلفون فى مادة الشعر اختلافا كبيرا ، فالجاحظ يراها فى الاسلوب والنظم كما يدل على ذلك قوله : والمعانى مطروحة فى الطريق وإنما

الصور المودعة فى العقل الباطن ومشاهده ليصوغها فنا شـــعريا يعبر عنها ويوضح ماخفى منها ، فليس الشعر صورا وألفاظاوعبارات إنما هو عواطف الشاعر وشعوره يركبها خيال صناع وملـكات قادرة ومقدرة فنية موهوبة فى صور من الألفاظ والأساليب ، وجمال الشعر وروعته موقوفان على مدى إحساس العاطفة وقدرة الخيال على تصويرها ، فاذا كانت صور الخيال ناشئة عن عاطفة سقيمة أو سطحية كان الأثر الأدبى متكلفا مصنوعاً لاحظ له من التقدير ، وإذا كان عمل الخيال محكما وإحساس العاطفة قوياً نال الشعر حظه من الجودة والإعجاب ، والخيال إذا كان عمله وتأليفه لصور جديدة اختيرت عناصرها من بين الحقائق والمشـاهدات المبعثرة المخزونة فى الذاكرة وألفت تأليفا جديدا سمى خيالا مبتدعا ، ونهاية هذا الحديث أن هناك صلات وثيقة بين الخيال والعاطفة فهو الذى يصورهاويبثها قوية مؤثرة ، وقوة الخيال مرتبطة بقوة العاطفة ، فاذا كانت صادقة قوية خلقت خيالا رائعا ، وإذا أردنا للأدب قوة وخلودا فعلينا أن نعنى بتهذيب الشعور ليكون إدراك الشاعر للحياةصادقا عميقا وآثاره الأدبية جميلة رائعة ، وخياله الأدبى موهوبا ملهماً ، فالخيال أنفع المواهب والملـكات فى فن الشعر لأنه المعبرعن العاطفة واللغة الطبيعية لأداء الانفعالات والعواطف الإنسانية .

الشعر الجاهلى وحظه من الخيال :

١ — وفى الشعر الجاهلى الـكثير من التشبيهات والاستعارات والأمثال

= الشأن فى إقامة الوزن وتخير اللفظ وجودة السبك فانما الشعر صياغة وضرب من التصوير (٣/٤٠ بحيوان) ، وعلى رأى الجاحظ يسير عبد القاهر فى الدلائل ، اما قدامة فيرى ان مادة الشعر هى المعـانى (١٤ نقد الشعر) ، والآمدى وابن خلدون يريانها فى الألفاظ (١٨٣ الموازنة ، ٥٧٧ مقدمة ابن خلدون)

والكنايات . وهذه هى أجنحة الخيال فى التعبير والتصوير ، فتجد امرأ القيس كثير التشبيهات فى معلقته . وكنايته البليغة :

وتضحى فتات المسك فوق فراشها نؤوم الضحى لم تنتطق عن تفضل

لا يعاد لها جمال ، وقوله :

وما ذرفت عيناك إلا لتضربى بسهميك فى أعشار قلب مقتل

من أسلوب التمثيل البارع

وكذلك قول النابغة :

نبئت أن أبا قابوس أوعدنى ولا قرار على زأر من الأسد

وقول النمر بن تولب :

فصدت كأن الشمس تحت قناعها بدا حاجب منها وضنت بحاجب

تشبيه جميل جيد

ويقول زهير . لدى أسد شاكى السلاح مقذف ، وهى استعارة واضحة

ويقول تأبط شرا :

إذا حاص عينيه كرى النوم لم يزل

له كالىء من قلب شيحان فاتك

وهى كذلك استعارة قريبة ويقول النابغة :

رقاق النعال طيب حجزاتهم يحيون بالريحان يوم السباسب

فتجد كناية جميلة عن العفة والطهر

ويقول الأعشى :

تشب لمقرورين يصطليانها وبات على النار الندى والمحلق

وهى كناية عن الكرم والجود فى غنى عن الاشادة وأوصاف البلاغة إلى غير ذلك من مثل هذه الأخيلة القريبة الواضحة الجميلة .

٢ — والخيال فى الشعر الجاهلى خيال واضح مألوف يحلق قريبا من هذه

البيئة الطبيعية الجاهلية ومناظرها وألوانها وما تحفل به من شتى المشاهدات والأوصاف(١) ، وإن كان بعض الشعراء قد طاف فى البلاد القريبة من الجزيرة العربية فاستمد بعض صور خياله وتصويره منها ، كما يقول النابغة يزرى بالفرات لأن ممدوحه النعمان أكثر منه جودا وسخاء :

فما الفرات إذا هبَّ الرياحُ له ترمى أواذيه العبرَين بالزبد
يظلُّ من خوفه الملاحُ معتصما بالخيزرانة بعد الأين والنجد
يوما بأجودَ منه سيْبَ نافلة ولا يحول عطاء اليوم دون غد

وكالأعشى وعدى بن زيد الذين طافا بكثير من البلاد

٣ — الأخيلة البعيدة البديعة قليلة جدا فى الشعر الجاهلى لبدوية الأمة العربية وحياتها وبعدها عن آثار الثقافة والحضارة والرفاهيه وبعد فما أكثر الخيالات الساذجه فى شعر الجاهليين فتجدون الأعشى يسمو فى قوله :

وقد أراها وسط أترابها فى الحى ذى البهجة والسامر
كدمية صُور محرابها بمُذْهَب فى مرمر ماثر
يشفى غليل النفس لاه بها حوراء تسبى مقلة الناظر

ثم يقول فى سذاجة الشاعر وخيال البدوى :

عهدى بها فى الحى قد سُرْبلت هيفاء مُمثلُ المهرة الضامر

---

(١) انظر قول الأعشى :

كناطح صخرة يوما ليوهنها فلم يضرها وأوهى قرنه الوعل

ألفاظ الشعر الجاهلى وأسلوبه

وألفاظ الشعر الجاهلى : تمتاز بما يأتى :

١ — كراهة استعمال الألفاظ الأعجمية إلا ماجاء قليلا فيه على سبيل الفكاهة والظرف والتمليح كما فى شعر الأعشى وعدى بن زيد وأبى دؤاد الأيادى . وكان عدى يسكن بالحيرة ويدخل الأرياف فثقل لسانه واحتمل عنه شىء كثير جدا وعلماؤنا لايرون شعره حجة [1] والعرب لاتروى شعر أبى دؤاد وعدى بن زيد وذلك أن ألفاظهما ليست بنجدية [2]

ويقول الأعشى :

وشاهدنا الجل والياسمـــين والمسمعات بأقصابها
وربطها دائم معمـــل فأى الثلاثة أزرى بها

فتجد أسماء فارسية بعيدة عن ألف العربى وسمعه ، وذلك أن الأعشى دخل بلاد الفرس وجالسهم وصدر عن ملوكهم وعلق بسمعه بعض ألفاظهم ويقول الأعشى أيضا :

لها جُلسانٌ عندها وبنفسج وسِيسنبر والمرزَجوش منمنما

٢ — كثرة استعمال الألفاظ فى معانيها الحقيقية الموضوعة لها فهى بعيدة غالبا عن أسلوب المجاز والكناية والتشبيهات وما شابهها .

---

(١) ٦٣ الشعر والشعراء

(٢) ٦٩ المرجع . ويقول أبو الفرج : كان عدى بن زيد شاعرا فصيحا من شعراء الجاهلية وهو نصرانى وليس ممن يعد من فى الفحول ، وكان الأصمعى وأبو عبيدة يقولان « عدى فى الشعر بمنزلة سهيل فى النجوم يعارضها ولا يجرى معها » ، وكذلك كان عندهم أمية بن أبى الصلت (ص ٢/١٧ الأغانى) . وكان امرؤ القيس يتوكأ على أبى دؤاد ويروى شعره (٢٩٨/٢ المزهر)

٣ — كثرة الغريب والحوشى ولا سيما عند وصف منظر أو حيوان أو غيرهما من مشاهد البيئة العربية فى جاهليتها .

٤ — استعمال الألفاظ الجزلة غالبا . والجزل من الكلام هو الذى تعرفه العامة إذا سمعته ولا تستعمله فى محاوراتها (١) ، وأجود الكلام ما يكون جزلا سهلا لا ينغلق معناه (٢) . ويقول ابن الأثير : الألفاظ تنقسم فى الاستعمال إلى جزلة ورقيقة ، ولكل منهما موضع يحسن استعماله فيه ، فالجزل منها يستعمل فى وصف مواقف الحروب وفى قوارع التهديد والتخويف وأشباه ذلك . وأما الرقيق منها فانه يستعمل فى وصف الأشواق وذكر أيام البعاد وفى استجلاب المودات وملاينات الاستعطاف وأشباه ذلك ، ولست أعنى بالجزل من الألفاظ أن يكون وحشيا متوعرا عليه عنجهية البداوة بل أعنى به أن يكون متينا على عذوبته فى الفم ولذاذته فى السمع وكذلك لست أعنى بالرقيق أن يكون ركيكا سفسفا وإنما هو اللطيف الرفيق الحاشية الناعم الملمس كقول أبى تمام :

ناعمات الأطراف لو أنها تلبس أغنت عن الملاء الرقاق (٣) ،

ويقول : وأما البداوة فى الألفاظ فتلك أمة قد خلت وقد عيبت على مستعملها فى ذلك الوقت فكيف الآن (٤) وقد عرف النقاد أمر الجزالة والرقة وشأنهما فى الكلام وبحثها منهم كثيرون فى نقدهم ودراساتهم فالفرزدق يقول فى جرير : ما أحوجنى مع قسوتى إلى رقة شعره . وأحوجه مع عفافه الى خشونة شعرى (٥) ، فهو يرى أن الجزالة والرقة بحسب الشاعر والموضوع الذى ينظم فيه . ويقول عبد الملك فى الأعشى : قاتله الله ما كان أعذب بحره وأصلب صخره (٦) . ويقول الأصمعى فى شعر النابغة : ان قلت ألين من الحرير صدقت وان قلت أشد من الحديد صدقت (٧) وقال أبو عبيدة فى

---

(١) ٦٤ الصناعتين (٢) ٦٦ المرجع (٣) ٦٥ المثل السائر (٤) ٦٨ المثل السائر (٥) ١٢٧ الشعر والشعراء (٦) ٣٨ الجمهرة (٧) ٣٨٠ / ٣ العقد

شعره : له ديباجة إن شئت قلت شهدا ان مسسته ذاب وان شئت قلت صخر لو رديت به الجبال لأزالها (١)

وبحث الجرجانى فى وساطته الجزالة والرقة بتفصيل (٢) وذكر أثر نفس الشاعر وحياته وبيئته وعصره ولون معيشته فيهما ورأى أن الرقة إنما تأتيك من قبل العاشق المتيم والغزل المتهالك ودعا إلى تنزيل الجزالة والرقة منازلهما بحسب المعانى والأغراض والموضوعات (٣) . وقد ذكر الجاحظ فى البيان الجزالة والرقة عرضا فتراه يقول : ومن الكلام الجزل والسخيف والخفيف والثقيل وكل عربى وبكل قد تكلموا (٤) وذكر أن سخيف الألفاظ مشاكل لسخيف المعانى وأنه قد يحتاج إليه فى بعض المواضع وربما أمتع كثيرا .

ويقول : وحاجة الكلام إلى الحلاوة كحاجته إلى الجزالة (٥) ويدعو إلى ترك الوحشى والسوقى فى مواضع كثيرة من بيانه (٦) وعرض لهما ابن المدبر عرضا فقال : لا يعتد بالمعنى الجزل مالم تلبسه لفظا جزلا (٧) وعرض لهما أرسطو فى كتابه الخطابة فذكر أنه « لا ينبغى أن تكون الألفاظ سفسافة ولا مجاوزة فى المثانة مبلغ الأمر الذى يدل عليه فلا تبلغ درجة العامية ولا تحوج إلى الكلفة المشنوءة . وذكر أنه « ينبغى أن يلاءم بين اللفظ والمعنى فالمعنى الجزل يعبر عنه بألفاظ جزلة والمعنى الرقيق يعبر عنه بلفظ رقيق (٨)

---

(١) ٣٢ جمهرة أشعار العرب

(٢) ٢٢ وما بعدها من الوساطة

(٣) ٢٩ المرجع

(٤) ١١٠ ج ١ البيان والتبيين

(٥) ٣٠ ج ١ البيان

(٦) ١٠٥ و ١١٠ و ١٧٦ ج ١ المرجع

(٧) ١١ الرسالة العذراء

(٨) راجع الفن الثامن من الخطابة فى الشفاء لابن سينا مخطوط

وبعد فالشعر الجاهلى فريد فى جزالته وفخامته وجلالته وشدة تركيبه وقوة أسره ، وإن شئت فاقرأ قول زهير :

قد جعل المبتغون الخير فى هرم ... والسائلون إلى أبوابه طرقا
إن تلق يوما على علاته هرما ... تلق السماحة منه والندى خلقا
لو نال حى من الدنيا بمكرمة ... أفق السماء لنالت كفه الأفقا

أو قول أمية بن أبى الصلت :

أأذكر حاجتى أم قد كفانى ... حياؤك ، ان شيمتك الحياء
وعلمك بالحقوق وأنت فرع ... لك الحسب المهذب والسناء
خليل لايغيره صباح ... عن الخلق الجميل ولامساء
وأرضك كل مكرمة بنتها ... بنو تيم وأنت لها سماء
إذا أثنى عليك المرء يوما ... كفاه من تعرضه الثناء
تبارى الريح مكرمة ومجدا ... إذا ما الكلب أجحره الشتاء

وقول امرىء القيس فى عذوبة وخفة :

وماذرفت عيناك إلا لتضربى ... بسهميك فى أعشار قلب مقتل
أغرك منى أن حبك قاتلى ... وأنك مهما تأمرى القلب يفعل

إلى غير ذلك من الشواهد والمثل

أما أسلوب الشعر الجاهلى فنتحدث عنه بافاضة فنقول :

ماهو الأسلوب :

الأسلوب فى اللغة الطريق وعنق الأسد والوجه والمذهب

والأسلوب الأدبى يعرفه ابن خلدون فى حديث طويل بأنه « المنوال الذى ينسج فيه التراكيب أو القالب الذى يفرغ فيه (١) ، فهو يراه فى الصورة

(١) ٥٧٠ مقدمة ابن خلدون

الأدبية الممتازة التى يتميز بها الأدباء والشعراء وينسجون فى أدبهم وشعرهم على منوالها . ويعرفه بعض المحدثين بأنه طريقة اختيار الألفاظ وتأليفها للتعبير بها عن المعانى قصد الاقناع والتأثير ، أوهو طريقة التفكير والتصوير والتعبير (١) .

ويعرفه آخر بأنه المعنى المصوغ من ألفاظ مؤلفة على صورة تكون أقرب لنيل الغرض المقصود من الكلام وأفعل فى نفوس سامعيه ، ويعرفه آخرون بأنه طريقة اختيار الكلمات ونظمها لتؤثر فى نفس القارىء أو السامع . ويذكرون أن له غرضين : نقل الحقائق أوالمعانى إلى ذهن السامع أو القارىء ونقل شعور الكاتب أو المتكلم إلى نفسيهما للتأثير

ونعرفه نحن بأنه نهج الكاتب والشاعر فى صوغ أدبه وشعره وأداء أفكاره ومعانيه والطريقة التى يسير عليها فى اختيار كلماته وتراكيبه ومايؤثر فى لغة تعبيره وتصويره من سهولة أو غرابة ومن عذوبة أو جزالة ومن وضوح أو خفاء وطبع أو صنعة ، وألوان الصنعة فى شعره وأدبه من تشبيه واستعارة وكناية وطباق ومقابلة وتعليل ومبالغة وتورية وتدبيج وعكس ومشاكلة . وطرق الأداء التى يسير عليها فى صياغته من تقديم وتأخير وذكر أو حذف وفصل أو وصل وإيجاز أو إطناب إلى غيرذلك من شتى أوصاف الأسلوب ، ومايراعيه الكاتب والشاعر من أوصاف فى بدء كلامه وفى فصوله وخاتمته . والأسلوب هوالوسيلة التى ينقل بها الأديب فكرته وعاطفته وأراءه ومعانيه إلى الناس . ومقياس جودة الأسلوب هو القدرة على نقل ذلك والتعبير عنه بدقة وقوة تأثير

ويمتاز أسلوب الشعر بما فيه من عاطفة ، ومايشيع فى نظمه من خيال وسحر صنعة وعذوبة موسيقى وحرية فى الأداء والتصوير ، وبشدة تأثيره

---

(١) راجع ٣٣ - ٣٩ الأسلوب للشايب

فى النفوس وأثره فى العاطفة والشعور والوجدان . أنشد أبو العتاهية قصيدته:

أتته الخلافة منقادة إليه تجرر أذيالها
فلم تك تصلح إلا له ولم يك يصلح إلا لها
ولو رامها أحد غيره لزلزلت الأرض زلزالها

وكان بشار حاضرا ، فلما سمع الأبيات اضطرب وسخر وقال :

أنظروا إلى أمير المؤمنين هل طار عن أعواده (١) وسمع الجاحظ رجلا ينشد أرجوزة أبى العتاهية التى سماها ذوات الأمثال ، فبلغ قوله :

ياللشباب المرح التصابى روائح الجنة فى الشباب

فقال للمنشد : قف ثم قال : أنظروا إلى قوله : « روائح الجنة فى الشباب» فان له معنى كمعنى الطرب لا يقدر على معرفته إلا القلوب وتعجز عن ترجمته الألسنة إلا بعد التطويل وإدامة التفكير

نعم إن الشعر ينبعث غالبا عن إحساس قوى ، ويلبس حلة جميلة من النظم تصور المعانى تصويراً قويا رائعا فكل ذلك يجعله ذا أثر شديد فى نفوس سامعيه وقارئيه على السواء

وأهم خصائص أسلوب الشعر الجاهلي هى :

١ — القصد إلى المعنى فى ايجاز وعدم إطناب أو تطويل ، تلك ميزة شعراء الجاهلية عامة ، وإن كان زهير كما يقول ابن سلام كان « أجمعهم لكثير من المعنى فى قليل من المنطق كما كان أشدهم مبالغة فى المدح (٢)

٢ — الزهد فى المحسنات البديعية وعدم الألمام بها إلا لماما وعن غير قصد وكان العرب لا يعرفون ألوان البديع والبيان علما وإنما يعرفونها فنا وذوقا

---

(١) ٣/١٣٧ الأغانى ، ٦٨ المثل السائر
(٢) ٢٩ طبقات الشعراء لابن سلام

وملكة ، وماجاء من المحسنات البديعية ـ من سجع وجناس وطباق ومقابلة وغيرها ـ فى شعرهم فقليل نادر وعن غير قصد ولا التفات

٣ ـ الابتداء فى قصائدهم بذكر الأطلال والديار ، والترويح عن النفس بالالمام بالتشبيهات القوية البديعة

٤ ـ متانة الأسلوب وقوته ودويه فى الأذن والذوق ، كما يقول النابغة:

عوجوا فحيوا لنعم دمنة الدار ماذا تحيون من نؤى وأحجار

وقول امرىء القيس :

بكى صاحبى لما رأى الدرب دونه وأيقن أنا لاحقان بقيصرا

فقلت له لاتبك عينك إنما نحاول ملكا أو نموت فنعذرا

وقول الأعشى فى ناقته :

فآليت لاأرثى لها من كلالة ولا من حفى حتى تلاقى محمدا

٥ ـ هذا الطابع البدوى الذى يمتاز به أسلوب الشعر الجاهلى الذى نما وعاش فى هذه البيئة البدوية الغريبة ، وكثرة مافيه من مخاطبة الأطلال وذكر الناقة والفرس وسواهما

٦ ـ كما يمتاز بحذف الفضول والسلامة من اللحن والقصد إلى المعنى ، فى بلاغة وسحر ودقة تصوير

نماذج من الشعر الجاهلى

١ — المدح

ا — من أهم أبواب الشعر العربى ، وكان للمدح مكانة كبيرة فى العصر الجاهلى ، وخاصة بعد أن تكسب الشعر بالشعر واتخذوه صناعة ومدحوا به الملوك والرؤساء كالأعشى والنابغة وزهير وغيرهم

كان الشعراء فى الجاهلية يمدحون أبطال القبيلة وسادتها ، ويشيدون بمكانتهم بين القبائل ، ويصفون أخلاقهم ومآثرهم ومحامدهم وشجاعتهم ويتغنون ببطولتهم

ثم قصد المتكسبون بالشعر منهم رؤساء القبائل والأمراء والملوك فمدحوهم وأشادوا بمفاخرهم ومكارمهم وأخلاقهم وخلقهم ، وقصة النابغة مع النعمان وزهير مع هرم مشهورة

وتمتاز المدائح الجاهلية ببساطتها وصدقها وبعدها عن الغلو والمبالغة ، وهى أثر جميل لشاعريتهم القوية

ب — نماذج للمدح الجاهلى :

قال الأعشى الشاعر الجاهلى الفحل يمدح الأسود بن المنذر وهو أخو النعمان لأمه ، وكان النعمان ولاه على بنى سعد وغيرهم ، وكان عنده أسرى من بنى سعد بن ضبيعة فأتاه الأعشى فمدحه وسأله أن يطلقهم ففعل . ويعد صاحب الجمهرة هذه المدحة من المعلقات ، ومطلع هذه القصيدة .

ما بكاء الكبير بالأطلال وسؤالى وما ترد سؤالى

ومنها يخاطب الناقة :

لاتشكى إلى وانتجعى الأسـود أهل الندى وأهل الفعال
فرع نبع يهتز فى غصن المجـد ، غزير الندى شديد المحال

عنده البر والتقى وأسى الشق(١) وحمل للمعضلات الثقال
وصلات الأرحام قد علم الناس وفك الأسرى من الأغلال

وهو ان النفس الكريمة للذكر إذا ما التقت صدور العوالى
أنت خير من ألف ألف من القوم إذا ما كبت وجوه الرجال
ووفاء إذا ما أجرت فما غر ت(٢) حبال وصلتها بحبال
وعطاء إذا سئلت إذ العذ رة(٣) فينا عطية البخال
أريحى صلت (٤) يظل له القو م وقوفا قيامهم للهلال
وأرى من عصاك أصبح محزو نا وكعب الذى يطيعك عالى
جندك الطارف التليد من الغا رات أهل الهبات والآكال(٥)
للعدا عندك البوار ومن وا ليت لم يعر عقده باغتيال
لن يزالوا كذلكم، ثم لازلـ ـت لهم خالدا خلود الجبال

وقال زهير يمدح هرم بن سنان والحارث بن عوف المرى سيدى بنى غطفان لسعيهما فى الصلح بين عبس وذبيان، وهى قصيدة من النمط العالى، ولها مكانتها فى البلاغة العربية قال:

تداركتما الأحلاف قد ثل عرشها وذبيان قد زلت بأقدامها النعل
فأصبحتما منها على خير موطن سبيلكما فيه وإن أحزنوا سهل
رأيت ذوى الحاجات حول بيوتهم قطينا بها حتى إذا نبت البقل
وفيهم مقامات حسان وجوههم وأندية ينتابها القول والفعل
على مكثريهم رزق من يعتريهم وعند المقلين السماحة والبذل
وإن جئتهم ألفيت حول بيوتهم مجالس قد يشفى بأحلامها الجهل

---

(١) الشق: الصدع والكسر. وأسى الشق: رأبه وإصلاحه
(٢) أى نقضت (٣) العذرة المعذرة
(٤) الأريحى: من الأريحية وهى الارتياح للندى. الصلت: الماضى فى الحوائج
(٥) أى الأطعام

سعى بعدهم قوم لكى يدركوهم فلم يفعلوا ولم يليموا(١) ولم يألوا
فما بك من خير أتوه فإنما توارثه آباؤهم آباءهم قبل
وهل ينبت الخطى إلا وشيجه وتغرس إلا فى منابتها النخل

وقال ابو البرج القاسم بن حنبل المرى فى زفر بن أبى هاشم بن مسعود ابن سنان :

من البيض الوجوه بنى سنان لو أنك تستضىء بهم أضاءوا
هم حلوا من الشرف المعلى ومن حسب العشيرة حيث شاءوا
بنات مكارم وأساءة كلم دماؤهم من الكلب الشفاء
فلو ان السماء دنت لمجد ومكرمة دنت لكرم السماء

وقصائد النابغة فى مدح ملوك الحيرة وغسان مشهورة معروفة ولاداعى لذكرها فى هذا المجال الضيق الموجز

٢ — الهجاء

١ — كان الهجاء فى الجاهلية يقصد به الحط من شأن قبيلة أو عشيرة ، أو فرد من أعداء قبيلة الشاعر وخصومها ، وكان الهجاء سوطا يصبه الشاعر على خصومه وخصوم قبيلته . فيثلبهم ويتنقص من مقامهم ، ويزرى بهم ، ويضع من مكانتهم ، وينسب اليهم البخل والجبن والذلة والهوان ، وكانت الخصومات الكثيرة بين القبائل ، والحروب المشتعلة فى الجزيرة العربية فى العصر الجاهلى ، سببا فى الاكثار من شعر الهجاء ، ولكن المأثور من هذا الباب لا يضارع المأثور من باب المديح

ويمتاز فن الهجاء فى الجاهلية بالقصد فى السب والشتم وتعمد الأوصاف الاجتماعية المزرية بالفرد والقبيلة من الهوان والبخل والجبن وسواها

---

(١) يليموا : أى لم يألوا مايلامون عليه ويألوا : يقصروا

ب — نماذج لفن الهجاء :

قال عارق الطائى وهو شاعر جاهلى يهجو المناذرة :

والله لو كان ابن جفنة(١) جاركم لكسا الوجوه غضاضة وهوانا
وسلاسلا يثنين فى أعناقكم وإذاً لقطع ثلكم الأقرانا(١)

وقال مساور بن هند بن قيس بن زهير يهجو بنى أسد :

زعمتم أن إخوتكم قريش لهم إلف وليس لكم إلاف
أولئك أومنوا جوعاً وخوفاً وقد جاعت بنو أسد وخافوا

وقال قريظ بن أنيف أحد بنى العنبر :

لكن قومى وإن كانوا ذوى عدد ليسوا من الشر فى شىء وإن هانا
يجزون من ظلم أهل الظلم مغفرة ومن إساءة أهل السوء إحسانا
كأن ربك لم يخلق لخشيته سواهم من جميع الناس إنسانا
فليت لى بهم قوما إذا ركبوا شدوا الاغارة فرسانا وركبانا

وقال مدرك الفقعسى يهجو عبسا :

وأعرضت عن سلمى وقلت لصاحبى سواء علينا بخل سلمى وجودها
فلا تحسدن عبساً على ما أصابها وذم حياة قد تولى زهيدها
تشبه عبس هاشما ان تسربلت سرابيل خز أنكرتها جلودها

٣ — الفخر

وهو تباهى الرجل بنفسه أو قبيلته أو قومه أو أمته . والفخر باب كبير

---

(١) يريد به ملك غسان

(١) الأقران جمع قرن بفتح الراء وهو الحبل . وتقطيع الأقران كناية عن تبديد جمعهم

فى الشعر الجاهلى ، أكثر الشعراء فيه من الفخر بأحسابهم وأنسابهم وأيامهم وأبطالهم ومآثرهم

ونماذجه كثيرة فى الشعر الجاهلى :

قال عمرو بن كلثوم يفتخر بقومه أمام الملك عمرو بن هند ملك الحيرة :

أبا هند فلا تعجل علينا ... وأنظرنا نخبرك اليقينا
بأنا نورد الرايات بيضاً ... ونصدرهن حمراً قد روينا
وأيام لنا غر طوال ... عصينا الملك فيها أن ندينا
ورثنا المجد قد علمت معد ... نطاعن دونه حتى يبينا
وقد علم القبائل غير فخر ... إذا قبب بأبطحها بنينا
بأنا العاصمون إذا أطعنا ... وأنا الغارمون إذا عصينا
وأنا المنعمون إذا قدرنا ... وأنا المهلكون إذا أتينا
وأنا الحاكمون بما أردنا ... وأنا النازلون بحيث شينا
ونشرب إن وردنا الماء صفوا ... ويشرب غيرنا كدرا وطينا
إذا ما الملك سام الناس خسفا ... أبينا أن نقر الخسف فينا
إذا بلغ الفطام لنا رضيع ... تخر له الجبابر ساجدينا
لنا الدنيا ومن أضحى عليها ... ونبطش حين نبطش قادرينا

وعلى نمطها يقول أمية بن أبى الصلت :

ورثنا المجد عن كبرى نزار ... فأورثنا مآثرنا البنينا
وكنا حيثما علمت معد ... أقمنا حيث ساروا هاربينا
وأنا النازلون بكل ثغر ... وأنا الضاربون إذا التقينا
وأنا المانعون إذا أردنا ... وأنا المقبلون إذا دعينا
وأنا الرافعون على معد ... أكفانى المكارم مابقينا

نشرد بالمخافة من أتانا ويعطينا المقادة من يلينا[1]

وقال الخصفى من محارب واسمه عامر المحاربى :

وأبقت لنا آباؤنا من تراثهم دعائم مجد كان فى الناس معلما
ونرسى إلى جرثومة أدركت لنا حديثا وعاديا من المجد خضرما[2]
بنى من بنى منهم بناء فمكنوا مكانا لنا منه رفيقا وسلما
أولئك قومى إن يلذ ببيوتهم أخو حدث يوما فلن يتهضما
وكم فيهم من سيد ذى مهابة يهاب إذا ما رائد الحرب أضرما
لنا العزة القعساء تحتطم العدى بها ، ثم نستعصى بها أن نحطما
وهم يدعمون القوم فى كل موطن بكل خطيب يترك القوم كظما
وكنا نجوما كلما انقض كوكب بدا زاهر منهن ليس بأقتما
فما يستطيع الناس عقدا نشده وننقضه منهم وإن كان مبرما

وقال حجر بن خالد الثعلبى وهو شاعر جاهلى :

وجدنا أبانا حل فى المجد بيته وأعيا رجالا آخرين مطالعه
فمن يسع منا لاينل مثل سعيه ولكن متى مايرتحل فهو تابعه

وقال عوف بن عطية التيمى[3]

لعمرك إننى لأخو حفاظ وفى يوم الكريهة غير غمر[4]
أجود على الأباعد باجتداء ولم أحرم ذوى قربى وإصر[5]
ومابى ، فاعلموه ، من خشوع إلى أحد ، وما أزهى بكبر

---

(١) راجع القصيدة فى الجمهرة ١٨٦ — ١٩٠ ، وقصيدة عمرو بن كلثوم فى الجمهرة أيضا ١١٧ — ١٢٩

(٢) الجرثومة : الأصل . العادى : القديم . الخضرم : الكثير او الواسع

(٣) شاعر جاهلى مقل ومن فرسان العرب .

(٤) الغمر : الذى لم يجرب الأمور . (٥) الإصر : العهد .

ألم تر أننا مردى حروب نسيل كأننا دفاع بحر[1]
ونلبس للعدو جلود أسد إذا نلقاهم وجلود نمر
ونرعى ما رعينا بين عبس وطيئها وبين الحى بكر
وكلهم عدو غير مبق حديث قرحه يسعى بوتر

٤ — الرثاء

ا — وهو ذكر مناقب الميت ومآثره ومفاخره ، ووصف الحزن عليه والجزع لفقده ، وبيان مكانته فى قومه وأثره فى مجتمعه الذى كان يعيش فيه

والرثاء كثير فى الشعر الجاهلى ، ومن أمثلته عينية لبيد فى رثاء أخيه أربد ورائية المهلهل فى رثاء أخيه كليب ، والرثاء هو الذى هيج شاعرية المهلهل فأطال القصيد فى رثاء كليب سيد بنى ربيعة ، ولامية تأبط شرا فى رثاء ابن أخته وسوى ذلك من عيون الرثاء فى الشعر الجاهلى .

ب — نماذج لفن الرثاء :

قال المهلهل يرثى أخاه كليبا :

أهاج قذاء عينى الأدكار هدوا فالدموع لها انحدار
وصار الليل مشتملا علينا كأن الليل ليس له نهار
وبت أراقب الجوزاء حتى تقارب من أوائلها انحدار
أصرف مقلتى فى أثر قوم تباينت البلاد بهم فغاروا
دعوتك يا كليب فلم تجبنى وكيف يجيبنى البلد القفار
أجبنى يا كليب خلاك ذم ضنينات النفوس لها مزار
أجبنى يا كليب خلاك ذم لقد فجعت بفارسها نزار

---

(١) مردى حروب : أى نقوم بها ، وأصل المردى الحجر يرمى به .

سقاك الغيث انك كنت غيثا ويسراً حين يلتمس اليسار
أبت عيناى بعدك ان تكفا كأن غضا القتاد لها شفار
وانك كنت تحلم عن رجال وتعفو عنهم ولك اقتدار
وتمنع أن يمسهم لسان مخافة من يجير ولا يجار
وكنت أعد قربى منك ربحا إذا ماعدت الربح التجار
فلا تبعد فكل سوف يلقى شعوبا يستدير بها المدار
يعيش المرء عند بنى أبيه ويوشك أن يصير بحيث صاروا
أرى طول الحياة وقد تولى كما قد يسلب الشيء المعار
كأنى إذ نعى الناعى كليبا تطاير بين جنبى الشرار
فدرت وقد عشى بصرى عليه كما دارت بشاربها العقار
سألت الحى أين دفنتموه فقالوا لى بسفح الحى دار
فسرت اليه من بلدى حثيثا وطار النوم وامتنع القرار
وحادت ناقتى عن ظل قبر ثوى فيه المكارم والفخار
أتغدو يا كليب معى إذا ما جبان القوم أنجاه الفرار ؟
أتغدو يا كليب معى إذا ما حلوق القوم يشحذها الشفار ؟
أقول لتغلب والعز فيها اثيروها لذلكم انتصار
تتابع اخوتى ومضوا لأمر عليه تتابع القوم الحسار
ولست بخالع درعى وسيفى إلى أن يخلع الليل النهار
وإلا أن تبيد سراة بكر فلا يبقى لها أبدا أثار

وقال تأبط شرا فى الرثاء :

إن بالشعب الذى دون سلع لقتيلا دمه مايطل (١)

---

(١) الشعب : طريق فى الجبل . سلع : موضع وهو ارض قوم تأبط شرا . طل دمه : ذهب هو لايثأر به . المعنى : ان القتيل الذى بالشعب دون سلع لن يذهب دمه هدرا . =

خلف العبء عـلى وولى أنا بالعبء له مستقل (١)
ووراء الثأر منى ابن أخت مصع عقـدته ماتحـل (٢)

= ترجمة الشاعر :

هو ثابت بن جابر بن سفيان شاعر جاهلى مجيد . سمى تأبط شرا لأنه تأبط سيفا وخرج فقيل لأمه : أين هو ؟ فقالت : تأبط شرا وخرج وكان أحد لصوص العرب المغيرين ، وكان هو والشنفرى الأزدى وعمرو بن براق من أعدى العدائين فى العرب ، والشنفرى هو ابن اخت تأبط شرا ، ويصف الشنفرى خاله تأبط شرا فى قصيدة تائية له فى المفضليات فى الأبيات ١٩ — ٢٧ من القصيدة العشرين (ص ١٠٦/١ المفضليات طبعة المعارف ١٣٦١) . والشنفرى شاعر جاهلى فحل وتجد ترجمة لتأبط شرا فى الشعر والشعراء (ص ٦٢ ط الخانجى ١٣٢٢ هـ)

القصيدة

والقصيدة عالية الطبقة فى الفصاحة وهى من عيون الشعر الجاهلى ورواها صاحب الحماسة (١/٣٤٨ ديوان الحماسة طبعة محمود توفيق) . وقد ترجمها جوته إلى الألمانية ونشرها فى الديوان الشرقى .

وكانت هذيل قد قتلت ابن تأبط شرا ورمت به فى غار فرثاه والده وذكر أخذه بثأره فى هذه القصيدة أو هى له فى رثاء ابن أخت له . وقيل إن القصيدة للشنفرى يرثى بها خاله تأبط شرا . وقيل إن القصيدة منحولة نحلها بعض الرواة لتأبط شرا وليست له وأنها مولدة ، بدليل قوله « جل حتى دق فيه الأجل » فان ذهن الجاهلى لايكاد يصل إلى مثل هذه الدقة فى الأسلوب والتفكير ، وبدليل ذكره لسلع وسلع بالمدينة واين تأبط شرا من سلع ولكنه قتل فى بلاد هذيل ويمكننا أن نقول إنهم رموا بجثته بعيدا عن بلادهم أو أن قومه نقلوه من هذيل إلى سلع أرض قومه .

(١) العبء : الثقل . مستقل : محتمل يقال استقل كذا حمله ورفعه . والمعنى أنه ترك ثقل الثأر على وذهب وأنا قادر على حمل ثقله غير عاجز عن طلبه

(٢) المصع : الشديد الثابت الشجاع . العقدة : العزيمة . والمعنى : أن هذا الثأر الذى أطلبه إن لم أقدر على أخذه فخلفى ابن أخت ثابت الجنان قوى العزيمة لاتنتقض عزيمته .

مطرق يرشح سما كما أطـــرق أفعى ينفث السم صل (١)

خبر ما ، نابنا ، مصمئـل جل حتى دق فيه الأجل (٢)

بزنى الدهر وكان غشوما بأبى جاره مايذل (٣)

شامس فى القر حتى إذا ما زكت الشعرى فبرد وظل (٤)

يابس الجنبين من غير بؤس وندى الـكفين شهم مدل (٥)

---

(١) أطرق : أرخى عينيه ينظر إلى الأرض . الرشح كالعرق . ينفث . يقذف الصل : الخبيث من الأفاعى . السم مايقتل وهو مثلث السين

المعنى : إن ابن أختى يطرق إلى الأرض إطراق الحيـــة الرقطاء ، شجاع فى الحرب مقدام فى النزال لايسلم أعداؤه من شره

(٢) المصئمل : الشديد . جل : عظم . دق : صغر . الأجل : الجليل

والمعنى أن الذى نزل بنا وأصابنا بخبر موته أمر كبير يصغر عنده ماهو عظيم جليل من الحوادث

(٣) بزه الشىء : سلبه إياه والمراد : فجعنى به . الغشوم : الظلوم . الأبى : الذى لايحتمل الضم

والمعنى أن الدهر بتجبره وظلمه فجعنى وسلبنى رجلا عزيزا ذا أنفة لايحتمل الذل يحمى جاره فيعز ولايضام

(٤) الشامس : الـكائن فى الشمس . القر : البرد . ذكت : استعلت

والمعنى أن هـذا الرجل ذو كرم وسخاء فمن لجأ إليـه فى الشتاء وجـد عنده مايدفئـه من الطعام واللبـاس كالشمس تدفىء المقرور ومن وفد عليه فى الصيف حين يطلع نجم الشعرى وجد عنده ظلا ظليلا وماء باردا يطفىء به حرارة جوفه

(٥) يابس الجنبين أى هزيل وذلك دليل الشجاعة والقوة . البؤس : الفقر : الشهم : الذكى القلب . المدل : الواثق بنفسه وبعدته

والمعنى أنه قليل الأكل هزيل لاعن فقر بل لأنه سخى يؤثر أضيافه بالزاد على نفسه ، وهو ذكى القلب يقظان واثق بنفسه وبما أعده لحوادث الدهر

ظاعن بالحزم حتى إذا ما حل حل الحزم حيث يحل (١)

غيث مزن غامر حيث يجدى وإذا يسطو فليث أبل (٢)

مسبل فى الحى أحوى رفل وإذا يغزو فسمع أزل (٣)

وله طعمان أرى وشرى وكلا الطعمين قد ذاق كل (٤)

يركب الهول وحيدا ولا يصحبه إلا اليمانى الأفل (٥)

---

(١) الظعن : ضد الاقامة . والمعنى أنه متصف بالحزم فى جميع شئونه وأحواله والحزم ملازم له حيث كان

(٢) المزن جمع مزنة وهى السحابة البيضاء . والمراد السحابة التى فيها الماء لأن السحاب الأبيض لاماء فيه . غمره الماء : علاه . يجدى : يعطى الجدوى وهى العطية . يسطو : يقهر ويصول . الليث الأبل : المصمم الماضى على وجهه لا يبالى مالقى والمعنى : أنه جواد كريم شجاع إذا أعطى اجزل العطاء كالسحاب الذى يغمر الناس بكثرة امطاره وإذا أصال فكالأسد الهصور لا يبالى بالعدو

(٣) مسبل فى الحى مفعوله محذوف أى مسبل إزاره فى الحى وهم يمدحون ذا النعمة بذلك وقت السلم فأما فى الشدائد فانهم يمدحون الرجل بالتشمير وعدم اللين . الأحوى : من فى شفتيه سواد وهو محمود فيهما . الرفل : الكثير اللحم . والسمع : ولد الذئب . الأزل : السريع المشى الممسوح العجز

والمعنى أنه يتنعم فى حالة السلم ويسبل رداءه ويأكل مايشتهى وإذا نزل فى الحرب كان كالسبع الضارى

(٤) الأرى : العسل . الشرى : الحنظل . وكلا مفعول ذاق . والمعنى أنه رجل سهل الجانب حلو المذاق لمحبه ، مر الطعم لعدوه ، وكل من المحب والعدو قد ذاق كلا الطعمين

(٥) وحيدا حال . اليمانى : السيف . الأفل : المثلم . المعنى أنه شجاع لايخاف الأهوال لكثرة ممارسته لها يقتحمها بنفسه ولا يستصحب معينا إلا السيف اليمانى المثلم من كثرة الضرب به

وفتو هجروا ثم أسروا ليلهم حتى إذا ماانجاب حلوا (١)
كل ماض قد تردى بماض كسنا البرق إذا مايسل (٢)
فادركنا الثأر منهم ولما ينج م الحيين إلا الأقل (٣)
فاحتسوا أنفاس نوم فلما هوموا رعتهم فاشمعلوا (٤)
فلئن فلت هذيل شباه لبما كان هذيلا يفل (٥)
صليت منى هذيل بخرق لايمل الشر حتى يملوا (٦)
ينهل الصعدة حتى اذا ما نهلت كان لها منه عل

---

(١) فتو : جمع فتى . هجر : سار وقت الهاجرة وهى اشتداد الحر فى نصف النهار . أسروا : لغة فى سروا ، والسرى : السير فى الليل خاصة . انجاب : انكشف . حلوا : أقاموا . والمعنى : ورب فتيان واصلوا سيرهم من وقت الهاجرة إلى آخر الليل فاذا انكشف الضوء أقاموا

(٢) تردى بسيفه مثل ارتدى به إذا تقلده ويسمى السيف رداء . سنا البرق : ضوءه . والمعنى ان كل رجل ماض منهم قد تقلد بالسيف الماضى الذى يحكى سنا البرق عند إخراجه من الغمد

(٣) أدركنا : أخذنا . والمعنى . أخذنا ثأرنا منهم ولم ينج منهم إلا اليسير

(٤) احتسى الشراب : تناوله شيئا فشيئا . الأنفاس : الجرع . هوم الرجل : إذا هز الرأس من النعاس . اشمعلوا : أسرعوا فى السير . رعتهم : أفزعتهم . يقول كانوا فى النعاس فلما أفزعتهم جدوا فى السير

(٥) الفل : كسر فى حد السيف . الشبا : الحد . وقوله « لبما كان » معناه كثيرا ما كان

(٦) صليت بكذا : قاست شدته . الخرق : الشجاع الكريم . والمعنى أن هذيلا قاست الشدائد من شجاع ذى صبر وثبات على القتال فلا يسأمه حتى يجد السآمة من أعدائه فيرأف بهم

حلت الخمر وكانت حراما وبلأى ما ألمت تحل (١)

فاسقنيها ياسواد بن عمرو ان جسمى يعد خالى لخل (٢)

تضحك الضبع لقتلى هذيل وترى الذئب لها يستهل (٣)

وعتاق الطير تغدو بطانا تتخطاهم فما تستقل (٤)

ولدريد بن الصمة قصيدة فى الرثاء يرثى بها أخاه عبد الله بن الصمة لما قتل ، ومن الغريب أنه بدأها بالغزل ، ومطلعها :

أرث جديد الحبل من أم معبد لعاقبة أم أخلفت كل موعد

ومنها :

تنادوا فقالوا : أردت الخيل فارسا فقلت أعبد الله ذلكم الردى

فإن يك عبد الله خلى مكانه فما كان وقافا ولا طائش اليد

صباما صبا حتى علا الشيب رأسه فلما علاه قال للباطل ابعد

= أنهله الشراب : سقاه إياه أول مرة . وعله : سقاه الثانية . الصعدة : القناة تنبت مستويه . المعنى أنه لا يكتفى بطعن أعدائه بقناته مرة بل يكرره مرة بعد أخرى كالشارب الذى لا يكفيه النهل فيشتاق إلى العلل .

(١) ألمت من الألمام وهى الزيارة الخفيفة . اللأى : البطء . والمعنى أنه فاز بأخذ الثأر بعد بطء ومضى مدة فصارت الخمر حلالا له بعد أن حرمها على نفسه جريا على عادتهم من تحريم الخمر وغسل الرأس قبل أخذ الثأر

(٢) سواد مرخم سوادة . الخل : المهزول . والمعنى : اسقنى الخمر الآن فان جسمى قد هزل بعد خالى

(٣) تضحك الضبع استعارة عن سرورها ومثله الاستهلال للذئب . والمعنى أن الضبع والذئب فى سرور بقتلى هذيل لحصولهما على كثرة الغذاء من لحومها

(٤) عتاق الطير : جوارحها . تستقل : تطير . والمعنى أن جوارح الطير تنزل على القتلى من هذيل فتملأ بطونها حتى لا تكاد تطيق الطيران لكثرة أكلها من قتلاهم

والقصيدة رواها صاحب الجمهرة(١) وصاحب الحماسة(٢)

وقصيدة جليلة فى رثاء كليب ورثاء حياتها الزوجية بعد أن ارتكب أخوها جساس جرما فظيعا بقتله كليبا مشهورة ذائعة ، وقد سبق بعضها

وقال امرؤ القيس لما بلغه مقتل أبيه حجر :

أرقت لبرق بليل أهل ... يضيء سناه بأعلى الجبل
أتانى حديث فكذبته ... بأمر تزعزع منه القلل
بقتل بنى أسد ربهم ... ألا كل شيء سواه جلل
فأين ربيعة عن ربها ... وأين تميم وأين الخول ؟
ألا يحضرون لدى بابه ... كما يحضرون إذا ما استهل

وقال لبيد فى رثاء النعمان

ألا تسألان المرء ماذا يحاول ... أنحب فيقضى أم ضلال وباطل
ألا كل شيء ماخلا الله باطل ... وكل نعيم لامحالة زائل
وكل اناس سوف تدخل بينهم ... دويهية تصفر منها الأنامل
فإن أنت لم ينفعك علمك فانتسب ... لعلك تهديك القرون الأوائل
وإن لم تجد من دون عدنان والدا ... ودون معد فلتزعك العواذل

وقال عبدة بن الطبيب :

عليك سلام الله قيس بن عاصم ... ورحمته ماشاء أن يترحما
فما كان قيس هلكه هلك واحد ... ولكنه بنيان قوم تهدما

ولأم السليك ترثيه :

طاف يبغى نجوة من هلاك ... فهلك

---

(١) راجعها فى ٢٢٤ - ٢٢٧ الجمهرة (٢) ٣٣٦ - ٣٤٠ / ١ ديوان الحماسة لابى تمام .

ليت شعرى ضلة أى شىء قتلك
أمريض لم تعد أم عدو ختلك
أم تولى بك ما غال فى الدهر السلك
والمنايا رصد للفتى حيث سلك
أى شىء حسن لفتى لم يك لك ؟
كل شىء قاتل حين تلقى أجلك
طالما قد نلت فى غير كد أملك
إن أمراً فادحاً عن جوابى شغلك
سأعزى النفس إذ لم تجب من سألك
ليت قلبى ساعة صبره عنك ملك
ليت نفسى قدمت للمنايا بدلك

وقصيدة أوس فى رثاء فضالة بن كلدة والتى مطلعها :

أيتها النفس أجملى جزعا إن الذى تحذرين قد وقعا

مشهورة معروفة .

٥ — الحماسة

وهى ما أثر عن العرب فى جاهليتهم من شعر قالوه فى وصف شجاعتهم ونضالهم وحروبهم ومواقعهم ، وفى الدعوة إلى الأخذ بالثأر والانتقام من العدو ، وفى التحريض على القتال ، وبعث عزائم الأبطال فى الحروب ، وفى ماسوى ذلك من شتى أغراض شعر الحماسة ومناحيه

وهو باب كبير فى الشعر الجاهلى ، وصدر به أبو تمام حماسته ، ونماذجه كثيرة ، ولنعرض هنا شواهد لهذا الفن من فنون الشعر

قال الفند الزمانى فى حرب البسوس :

صفحنا عن بنى ذهل وقلنا القوم إخوان (١)
عسى الأيام أن يرجعن قوما كالذى كانوا (٢)
فلما صرح الشر فأمسى وهو عريان (٣)
ولم يبق سوى العدوا ن دناهم كما دانوا (٤)
مشينا مشية الليث غدا والليث غضبان (٥)
بضرب فيه توهين وتخضيع وإقران (٦)
وطعن كفم الزق غذا والزق ملآن (٧)
وبعض العلم عند الجهل للذلة إذعان (٨)
وفى الشر نجاة حين لا ينجيك إحسان (٩)

---

(١) صفحنا أعرضنا :

(٢) كالذى كانوا . أى مثل ما كانوا ودا واخلاصا .

(٣) صرح : انكشف قوله « عريان » ضربه مثلا لظهور الشر ووضوحه ويرى « فأضحى » وهو أحسن لأن الشىء فى الضحى أظهر وأبين .

(٤) العدوان : الظلم الصريح . دناهم : جزيناهم والدين الجزاء يقول: جزيناهم بفعلهم القبيح كما ابتدأ أو نابه .

(٥) غدا : ابتكر . والمعنى مشينا إليهم مشية الأسد ابتكر وهو جائع غضبان

(٦) التوهين: التضعيف . والتخضيع : التذليل . الاقران: الاسترخاء أو التتابع

(٧) غذا : سال ، شبه الطعنة إذا سال منها الدم بفم الزق - وعاء الخمر - إذا سال منه الخمر .

(٨) الاذعان : الانقياد . اعتذر فى هذا البيت عن تركهم التحلم مع الاقرباء لأنه يفضى إلى الذل .

(٩) الشر : الانتقام . الاحسان : العفو .

ترجمة الشاعر : الفند شاعر جاهلى كان أحد فرسان ربيعة المشهورين المعدودين شهد حرب بكر وتغلب وقد قارب المائة سنة واسمه أشهل بن شيبان بن ربيعة بن زمان .

القصيدة : من عيون الشعر الجاهلى رواها صاحب الحماسة (١٥ ج ١ ديون الحماسة طبعة محمود توفيق) . وقد نظمها الشاعر فى حرب البسوس التى كانت بين بكر وتغلب وذلك أن بكر بن وائل قوم الفند بعثوا إلى بنى حنيفة فى حرب البسوس يستنصرونهم فأمدوهم به وبقومه بنى زمان

وقال : وداك بن ثميل المازنى وهو شاعر جاهلى :

رويد بنى شيبان بعض وعيدكم ... تلاقوا غدا خيلى على سفوان
تلاقوا جيادا لا تحيد عن الوغى ... إذا ما غدت فى المأزق المتدانى
عليها الكماة الغر من آل مازن ... ليوث طعان عند كل طعان
مقاديم وصالون فى الروع خطوهم ... بكل رقيق الشفرتين يمانى
إذا استنجدوا لم يسألوا من دعاهم ... لأية حرب أم بأى مكان

وقال عمرو بن معديكرب الزبيدى :

ليس الجمال بمئزر ... فاعلم وإن رديت بردا
إن الجمال معادن ... ومناقب أورثن مجدا
أعددت للحدثان سا ... بغة وعداء علندى (١)
وعلمت أنى يوم ذا ... ك منازل كعبا ونهدا
قوم إذا لبسوا الحديـ ... ـد تنمروا حلقا وقدا (٢)
كل امرىء يجرى إلى ... يوم الهياج بما استعدا

---

(١) السابغه : الدرع الواسعة . العداء : الفرس كثير العدو . العلندى : الشديد

(٢) الحلق : الدروع . القيد : شبه درع كان يتخذ من الجلد

لما رأيت نساءنا يفحصن بالمعزاء شداً (١)
وبدت لميس كأنها بدر السماء إذا تبدى
وبدت محاسنها التى تخفى ، وكان الأمر جداً
نازلت كبشهم ولم أرمن نزال الكبش بدا
هم ينذرون دمى وأنذر إن لقيت بأن أشدا
كم من أخ لى صالح بوأته بيدى لحدا
ما إن جزعت ولا هلعـ ت ولا يرد بكاى زندا
ألبسته أثوابه وخلقت يوم خلقت جلدا
أغنى غناء الذاهبين أعد للأعداء عدا
ذهب الذين أحبهم وبقيت مثل السيف فردا

وقال الحصين بن الحمام المرى :

تأخرت أستبقى الحياة فلم أجد لنفسى حياة مثل أن أتقدما
فلسنا على الأعقاب تدمى كلومنا ولكن على أقدامنا تقطر الدما
نفلق هاما من رجال أعزة علينا وهم كانوا أعز وأكرما

وقال الحارث بن وعلة الجرمى وهو شاعر جاهلى من فرسان قضاعة وأعلامها :

قومى هم قتلوا ـ أميم ـ أخى فاذا رميت يصيبنى سهمى
ولئن عفوت لأعفون جللا ولئن سطوت لأوهنن عظمى
لا تأمنن قوما ظلمتهمو وبدأتهم بالشتم والرغم
وزعمتم ألا حلوم لنا إن العصا قرعت لذى الحلم

(١) المعزاء : الأرض الصلبة . ويفحصن أى يؤثر فيها من شدة الجرى

وقال عبد الشارق بن عبد العزى :

ألا حييت عنا يا ردينا ... نحييها وإن كرمت علينا

ردينة لو رأيت غداة جئنا ... على أضماتنا وقد اختوينا (١)

فأرسلنا أبا عمرو ربيئا ... فقال ألا أنعموا بالقوم عينا

ودسوا فارسا منهم عشاء ... فلم نغدر بفارسهم لدينا

فجاءوا عارضا بردا وجئنا ... كمثل السيل نركب وازعينا (٢)

تنادوا يا لبهثة إذ رأونا ... فقلنا : أحسنى ضربا جهينا

سمعنا دعوة عن ظهر غيب ... فجلنا جولة ثم ارعوينا

فلما أن تواقفنا قليلا ... أنخنا للكلا كل فار ثمينا

فلما لم ندع قوسا وسهما ... مشينا نحوهم ومشوا إلينا

نلاءلوء مزنة برقت لأخرى ... إذا حجلوا بأسياف ردينا

شددنا شدة فقتلت منهم ... ثلاثة فتية وقتلت قينا (٣)

وشدوا شدة أخرى فجروا ... بأرجل مثلهم ورموا جوينا (٣)

وكان أخى جوين ذا حفاظ ... وكان القتل للفتيان زينا

فآبوا بالرماح مكسرات ... وأبنا بالرماح قد انحنينا

٦ — العتاب

وهو فن ليس بذائع فى الشعر الجاهلى . ومن شواهده :

قال أمية بن أبى الصلت يعاتب ابنه :

غذوتك مولودا وعلتك يافعا ... تعل بما أدنى إليك وتنهل

---

(١) الأضم : شدة الحقد . اختوينا : أى لم نطعم شيئا .

(٢) الوازع : الذى يرتب الجيش ويصلحه . أى جئنا خلفه مباشرة

(٣) اسم فارس

إذا ليلة نابتك بالشكو لم أبت ... لشكواك إلا ساهدا أتململ
كأنى أنا المطروق دونك بالذى ... طرقت به دونى وعينى تهمل
تخاف الردى نفسى عليك وإنها ... لتعلم أن الموت حتم مؤجل
فلما بلغت السن والغاية التى ... إليها مدى ما كنت فيك أؤمل
جعلت جزائى منك جبها وغلظة ... كأنك انت المنعم المتفضل
فليتك إذ لم ترع حق أبوتى ... فعلت كما الجار المجاور يفعل
وسميتنى باسم المفند رأيه ... وفى رأيك التفنيد لو كنت تعقل
تراه معدا للخلاف كأنه ... برد على أهل الصواب موكل

وقال حكيم بن أقيبصة الضبى يعاتب ابنه بشرا :

لعمر أبى بشر لقد خانه بشر ... على ساعة فيها إلى صاحب فقر
فماجنة الفردوس هاجرت تبتغى ... ولكن دعاك الخبز أحسب والتمر

وقال ذو الاصبع العدوانى :

لاه ابن عمك[1] لا أفضلت فى حسب ... عنى ولا أنت ديانى فتخزونى
ولا تقوت عيالى يوم مسغبة ... ولا بنفسك فى العزاء تكفينى
فان ترد عرض الدنيا بمنقصتى ... فان ذلك مما ليس يشجينى
إن الذى يقبض الدنيا ويبسطها ... إن كان أغناك عنى سوف يغنينى
الله يعلمكم والله يعلمنا ... والله يجزيكم عنى ويجزينى
ماذا على وإن كنتم ذوى رحمى ... أن لا أحبكم إذ لم تحبونى
لو تشربون دمى لم يرو شاربكم ... ولا دماؤكم جمعا ترويني
يا عمرو إلا تدع شتمى ومنقصتى ... أضربك حتى تقول الهامة اسقونى
كل امرىء صائر يوما لشيمته ... وإن تخلق أخلاقا إلى حين

(١) أى لله ابن عمك . الديان : القائم بالأمر القاهر . خزاه . ساسه ودبره

يا عمرو لو لنت لى ألفيتنى بشرا سمحا كريما أجازى من يجازينى
والله لو كرهت كفى مصاحبتى لقلت إذ كرهت قربى لها بينى

٧ — الاعتذار

وأول من أجاد فيه واشتهر به هو النابغة الذبيانى، واعتذارياته إلى النعمان ابن المنذر ملك الحيرة من عيون الشعر الجاهلى

وقصيدة النابغة :

أتانى — أبيت اللعن — انك لمتنى وتلك التى أهتم منها وأنصب
ومنها : فانك شمس والملوك كواكب إذا طلعت لم يبد منهن كوكب

وقصيدته :

أتانى — ابيت اللعن — أنك لمتنى وتلك التى تستك منها المسامع
والتى منها: فانك كالليل الذى هو مدركى وإن خلت أن المنتاى عنك واسع

قصيدتان مشهورتان فى الاعتذار

وقال النابغة يعتذر إلى النعمان :

فلا لعمرو الذى قد زرته حججا وما هريق على الانصاب من جسد
والمومن العائذات الطير يمسحها ركبان مكة بين الغيل والسند
ما إن نديت بشىء أنت تكرهه إذاً فلا رفعت سوطى إلى يدى
إذاً فعاقبنى ربى معاقبة قرت بها عين من يأتيك بالحسد
إلا مقالة أقوام شقيت بهم كانت مقالتهم قرعا على الكبد
هذا التبرؤ من قول قذفت به كانت نوافذه حرا على الكبد
مهلا فداء لك الأقوام كلهم وما أؤمل من مال ومن ولد
أنبئت أن أبا قابوس أوعدنى ولا قرار على زأر من الأسد

٨ — الحكمة والاخلاق

وهى كثيرة فى الشعر الجاهلى

تجدها فى معلقة زهير حيث يقول :

ومن يك ذا فضل فيبخل بفضله على قومه يستغن عنه ويذمم
ومن يغترب يحسب عدوا صديقه ومن لايكرم نفسه لايكرم
ومن لايذد عن حوضه بسلاحه يهدم ومن لايظلم الناس يظلم
ومن لم يصانع فى أمور كثيرة يضرس بأنياب ويوطأ بمنسم
ومن يجعل المعروف من دون عرضه يفره ومن لايتقى الشتم يشتم
ومهما تكن عند امرىء من خليقة وان خالها تخفى على الناس تعلم
سئمت تكاليف الحياة ومن يعش ثمانين حولا لا أبالك يسأم
وأعلم مافى اليوم والأمس قبله ولكننى عن علم مافى غد عمى
رأيت المنايا خبط عشواء من تصب تمته ومن تخطىء يعمر فيهرم

كما تجدها فى معلقة طرفة حيث يقول :

أرى الموت يعتام الكرام ويصطفى عقيلة مال الفاحش المتشدد
أرى الدهر كنزاً ناقصاً كل ليلة وما تنقص الأيام والدهر ينفد
لعمرك إن الموت ما أخطأ الفتى لكا لطول المرخى وثنياه باليد
وظلم ذوى القربى أشد مضاضة على النفس من وقع الحسام المهند
ستبدى لك الأيام ما كنت جاهلا ويأتيك بالأخبار من لم تزود
لعمرك ما الأيام إلا معارة فما اسطعت من معروفها فتزود
عن المرء لاتسأل وسل عن قرينه فكل قرين بالمقارن يقتدى

وفى قصيدة عبيد بن الأبرص البائية حكمة كثيرة ، وقد رواها صاحب الجمهرة . ويقول منها :

وكل ذى غيبة يؤوب وغائب الموت لايؤوب
من يسأل الناس يحرموه وسائل الله لايخيب
والله ليس له شريك علام ما أخفت القلوب
والمرء ماعاش فى تكذيب طول الحياة له تعذيب

وكذلك فى دالية عدى بن زيد التى رواها صاحب الجمهرة ويقول منها :

أعا ذل مايدريك أن منيتى إلى ساعة فى اليوم أوفى ضحى الغد
أعا ذل ما أدنى الرشاد من الفتى وأبعده منه إذا لم يسدد
أعا ذل إن الجهل من لذة الفتى وإن المنايا للرجال بمرصد
ذرينى فإنى إنما لى ما مضى أمامى من مالى إذا خف عودى
وللوارث الباقى من المال فاتركى عتابى فإنى مصلح غير مفسد
كفى زاجراً للمرء أيام دهره تروح له بالواعظات وتغتدى
فنفسك فاحفظها عن الغى والردى متى تغوها يغو الذى بك يقتدى
عن المرء لاتسأل وسل عن قرينه فكل قرين بالمقارن يقتدى
وبالعدل فانطق إن نطقت ولا تلم وذا الذم فاذممه وذا الحمد فاحمد
عسى سائل ذو حاجة إن منعته اليوم سؤلا أن ييسر فى غد

إلى آخر مافى هذه القصيدة الطويلة من حكم وتجارب وآراء(١)

ويقول الأفوه الأودى :

لايصلح الناس فوضى لاسراة لهم ولا سراة إذا جهالهم سادوا
تهدى الأمور بأهل الرأى ماصلحت فان تولت فبالأشرار تنقاد

إلى ماسوى ذلك من ألوان الحكمة الكثيرة فى الشعر الجاهلى مما

---

(١) راجعها فى الجمهرة ١٧٤ - ١٨٠

لاداعى إلى الاطالة فيه ، ويمكنك أن تقرأ قصيدة عبدة بن الطبيب فى المفضليات [1] والتى مطلعها :

أبنى إنى قد كبرت ورابنى بصرى وفى لمصلح مستمتع

ويقول منها :

ونصيحة فى الصدر صادرة لكم ما دمت ابصر فى الرجال وأسمع
أوصيكم بتقى الاله فانه يعطى الرغائب من يشاء ويمنع
وببر والدكم وطاعة أمره إن الابر من البنين الأطوع
إن الكبير إذا عصاه أهله ضاقت يداه بأمره ما يصنع
إن الذين ترونهم إخوانكم يشفى غليل صدورهم ان تصرعوا

فستجد حكمة وجمالا ونصائح خلقية كريمة

٩ — الوصف

وهو باب واسع فى الشعر الجاهلى سعة مناظر الحياة ومشاهد الوجود نفسها . ولقد صور الشاعر الجاهلى بيئته وحياته وألوان معيشته فى شعره تصويرا رائعا بديعا ، مما لا يمكن إحصاؤه وتعداد القول فيه

فقد وصف الجبال والرمال والوديان والمياه والأمطار والسيول والبرق والرياح واختلافها ، كما وصف الابل والغنم والخيل والوحش والصيد وما فى بلاده من حيوان ونبات وجماد ، ووصف دياره وأماكن نزوله ومواضع لهوه وكره ، ووصف معارك الحرب والأسلحة التى يستعملها فيها ، ووصف ملابسه وكل ما يتصل به أو ببيئته ، مما نكتفى بالاشارة إلى شواهد قليلة له .

---

(١) ١٤٣ ج ١ وما بعدها المفضليات طبع مطبعة المعارف سنة ١٣٦١

قال امرؤ القيس فى وصف الليل :

وليل كموج البحر أرخى سدوله ... على بانواع الهموم ليبتلى
فقلت له لما تمطى بصلبه ... وأردف أعجازا وناء بكلكل
ألا أيها الليل الطويل ألا انجلى ... بصبح وما الأصباح منك بأمثل
فيالك من ليل كأن نجومه ... بكل مغار الفتل شدت بيذبل

وقال طرفة يصف السفينة :

كأن حدوج المالكية غدوة ... خلايا سفين بالنواصف من دد
عدولية ، أو من سفين ابن يامن ... يجور بها الملاح طورا ويهتدى
يشق حباب الماء حيز ومهابها ... كما قسم الترب المفايل باليد

وقال عنترة يصف روضة :

ولقد مررت بدار عبلة بعد ما ... لعب الربيع بربعها المتوسم
جادت عليه كل عين ثرة ... فترکن كل قرارة كالدرهم
سحا وتسكابا فكل عشية ... يجرى عليها الماء لم يتصرم
وخلا الذباب بها فليس ببارح ... غردا كفعل الشارب المترنم
هزجا يحك ذراعه بذراعه ... قدح المكب على الزناد الأجزم

ولحسان السعدى يصف القمر :

مهما يكن ريب المنون فانني ... أرى قمر الليل المعذب كالفتى
يهل صغيرا ثم يعظم ضوءه ... وصورته حتى إذا ما هو استوى
تقارب يخبو ضوءه وشعاعه ... ويمصح(١) حتى يستسر (٢) فيارى

ويصف عنترة الغراب فيقول :

---

(١) يذهب (٢) يخفى

ظعن الذين فراقهم أتوقع وجرى بينهم الغراب الأبقع
خرق الجناح كأن لحي رأسه جلمان ، بالأخبار هش مولع

ويصف فرسه الذى خاض به المعركة فيقول :

ما زلت أرميهم بثغرة نحره ولبانه ، حتى تسربل بالدم
فازور من وقع القنا بلبانه وشكا إلى بعبرة وتحمحم
لو كان يدرى ما المحاورة اشتكى ولكان لو علم الكلام مكلمى
ولقد شفى نفسى وأبرأ سقمها قيل الفوارس ويك عنتر أقدم
والخيل تقتحم الخبار عوابسا ما بين شيظمة وأجر دشيظم

ويصف طرفة ناقته فيقول :

وانى لأمضى الهم عند احتضاره بهوجاء مرقال تروح وتغتدى
أمون كألواح الأران نسأتها على لاحب كأنه ظهر برجد
لها فخذان أكمل النحض فيهما كأنهما بابا منيف ممرد
فإن شئت لم ترقل وإن شئت أرقلت مخافة ملوى من القد محصد

إلى آخر هذا الوصف الغريب

وحسبنا فى باب الوصف ذلك الآن

١٠ — النسيب

وهو من أكثر أبواب الشعر العربى ، وأغزرها ، وقد أكثر الشعراء الجاهليون منه ، وابتدأوا به قصائدهم (١)

والنسيب هو ذكر جمال المرأة ووصف محاسنها وأثر تبريح الشوق

---

(١) لا تكاد تخلو قصيدة منه اللهم إلا قصيدة عمرو بن كلثوم :

ألا هبى بصحنك فاصبحينا ولا تبقى خمور الاندرينا

بالشاعر وحنينه اليها وقص ذكرياته مع محبوبته وساعات لقائها ، والديار التى كانت تنزل بها ، ومسارح اللهو واللعب التى كانت تلعب وتلهو فيها ، إلى غير ذلك من حديث الجمال والظمأ اليه وذكريات الحب والحنين والشوق إلى المرأة . والغزل والنسيب متقاربان فى المعنى وان كان بعض الباحثين يعرف الغزل بأنه « الاشتهار بموادت النساء وتتبعهن والحديث إليهن » ، والتشبيب قاصر على مايأتى به الشاعر فى مطلعه كلامه من ذكر للمرأة والأطلال والديار وذكريات اللقاء والحب ، وإن كان بعض الباحثين يرى أن الجميع بمعنى واحد لااختلاف فى مدلولها

وامرؤ القيس هو أول من رقق الغزل وأطاله وشبه المرأة بالمها والظبى والظليم ووصف دبيبه اليها وفجوره فى حبه ولهوه مع محبوباته

وها كم أمثلة للنسيب من الشعر الجاهلى :

قال امرؤ القيس إمام الشعراء ، وشيخ النسيب والغزل ومبتدئه ، من لاميته الطويلة المشهورة :

بلى رب يوم قد لهوت وليلة ... بآنسة كأنها خط تمثال

يضىء الفراش وجهها لضجيعها ... كمصباح زيت فى قناديل ذبال

كأن على لباتها جمر مصطل ... أصاب غضى جزلا وكف بأجذل

ومثلك بيضاء العوارض طفلة ... لعوب تنسينى إذا قمت سربالى

تنورتها من أذرعات وأهلها ... بيثرب أدنى دارها نظر عال

نظرت اليها والنجوم كأنها ... مصابيح رهبان تشب لقفال

سموت اليها بعد مانام أهلها ... سمو حباب الماء حالا على حال

فقالت سباك الله انك فاضحى ... ألست ترى السمار والناس أحوالى

فقلت يمين الله ابرح قاعدا ... ولو قطعوا رأسى لديك وأوصالى

فلما تنازعنا الحديث وأسمحت ... هصرت بغصن ذى شماريخ ميال

فصرنا إلى الحسنى ورق كلامنا ... ورضت فذلت صعبة أى اذلال

حلفت لها بالله حلفة فاجر لناموا فما إن من حديث ولا صال
فاصبحت معشوقا وأصبح بعلها عليه القتام كاسف الظن والبال
يعط غطيط البكر شد خناقه ليقتلني والمرء ليس بقتال
أيقتلني والمشرفي مضاجعي ومسنونة زرق كأنياب أغوال

وقال الأعشى

ودع هريرة ان الركب مرتحل وهل تطيق وداعا أيها الرجل
غراء فرعاء مصقول عوارضها تمشي الهوينا كما يمشي الوجي الوحل
كأن مشيتها من بيت جارتها مر السحابة لاريث ولا عجل
ليست كمن يكره الجيران طلعتها ولا تراها لسر الجار تختتل
يكاد يصرعها لولا تشددها إذا تقوم إلى جاراتها الكسل
إذا تقوم يضوع المسك أصورة والزنبق الورد من أردانها شمل
ماروضة من رياض الحزن معشبة خضراء جاد عليها مسبل هطل
يضاحك الشمس منها كوكب شرق مؤزر بعميم النبت مكتهل
يوماً بأطيب منها نشر رائحة ولا بأحسن منها إذ دنا الأصل
قالت هريرة لما جئت زائرها ويلي عليك وويلي منك يارجل
أما ترانا حفاة لا نعال لنا إنا كذلك مانحفى وننتعل
وقد اخالس رب البيت غفلته وقد يحاذر مني ثم مايئل
وقد أقود الصبي يوماً فيتبعني وقد يصاحبني ذو الشرة الغزل

وقال النابغة :

عوجوا فحيوا لنعم دمنة الدار ماذا تحيون من نؤى وأحجار ؟
أقوى وأقفر من نعم وغيره هوج الرياح بهابي الترب موار
وقفت فيها سراة اليوم أسألها عن آل نعم أمونا عبر أسفار
فاستعجمت دار نعم ماتكلمنا والدار لو كلمتنا ذات أخبار
فما وجدت بها شيئا ألوذ به إلا الثمام وإلا موقد النار

وقد أرانى ونعماً لاهيين بها ... والدهر والعيش لم يهمم بامرار
أيام تخبرنى نعم وأخبرها ... ما أكتم الناس من حاجى وأسرارى
لولا حبائل من نعم علقت بها ... لأقصر القلب عنها أى إقصار
نبئت نعماً على الهجران عاتبة ... سقياً ورعياً لذاك العاتب الزارى
رأيت نعما وأصحابى على عجل ... والعيس للبين قد شدت بأكوار
فريع قلبى وكانت نظرة عرضت ... حيناً وتوفيق أقدار لأقدار
بيضاء كالشمس وافت يوم أسعدها ... لم تؤذ أهلا ولم تفحش على جار
والطيب يزداد طيبا أن يكون بها ... فى جيد واضحة الخدين معطار
أقول والنجم قد مالت أواخره ... إلى المغيب : تثبت نظرة حار
ألمحة من سنا برق رأى بصرى ... أم وجه نعم بدا لى أم سنا نار
بل وجه نعم بدا والليل معتكر ... فلاح من بين أثواب وأستار

وقال المخبل السعدى :

ذكر (الرباب) ، وذكرها سقم ... فصبا وليس لمن صبا حلم(١)
وإذا ألم خيالها طرفت ... عينى ، فماء شؤونها سجم(٢)
كاللؤلؤ المسجور أغفل فى ... سلك النظام فخانه النظم(٣)
وأرى لها داراً بأغدرة السيـ ... ـدان لم يدرس لها رسم(٤)

(١) الرباب : اسم محبوبته ـ الصبوة : العشق . الحلم : العقل
(٢) الشؤون : مجارى الدمع واحدها شأن . سجم مصدر من سجم الدمع : سال والمراد بالمصدر اسم الفاعل
(٣) المسجور : المنظوم المسترسل . أغفل : أهمل . والمعنى أنه حين يرى خيال حبيبته تسيل دموعه كأن قطراتها در منظوم فى سلك انقطع فتحدر منه الدر
(٤) الأغدرة : جمع غدير . السيدان . أرض لبنى سعد قوم المخبل . الرسم : الأثر بلا شخص . درس : عفا وذهب . يريد أن دار حبيبته لم تذهب آثارها بل بقيت بعض رسومها ، فهو حين يراها ، يذكر صاحبته ويحزن كثيرا لفراقها وبعدها

إلا رماداً هامـــداً دفعت عنه الرياح خوالد سحم(١)
فكأن ما أبقى البوارح وال أمطار من عرصاتها الوشم(٢)
وكأن أطـــلاء الجآذر وال غزلان حول رسومها البهم(٣)

ترجمة الشاعر :

المخبل أبو يزيد التميمى السعدى ، شاعر مشهور ، واسمه ربيعة بن مالك . عمر فى الجاهلية والاسلام طويلا ، ومات فى خلافة عمر أو عثمان وهو شيخ كبير [راجع ترجمته فى الشعر والشعراء لابن قتيبة ص ٩٦ ط الخانجى ١٣٢٢هـ ، و١٧٧ المؤتلف الآمدى]

القصيدة :

والقصيدة عالية الطبقة فى البلاغة ، رواها صاحب المفضليات وذكر منها أربعين بيتا .

بدأها بالذكرى والطيف ، ووصف دار صاحبته الدارسة ثم وصف

---

(١) هامد : خامد ، وإنما همد لطول مكثه . الخوالد . البواقى قصد بها الأثافى وهى الحجارة التى تنصب عليها القدور . سحم من السحمة وهو لون يضرب إلى السواد . يريد أن الأثافى حفظت الرماد من أن تذروه الرياح

وقوله « إلا رمادا » « إلا » هنا بمعنى الواو كما يقول أبو عبيدة يقول . وأرى لها رمادا

(٢) « ما » اسم موصول . البوارح الرياح الشديدة من الشمال خاصة وهى من رياح الصيف . العرصات : جمع عرصة وهى ساحة الدار . الوشم : النقش فى اليد

والمعنى أن الآثار الباقية من دار حبيبته التى كادت تعفوها الرياح والأمطار تبدو كأنها الرسم المنقوش فى اليد

(٣) الأطلاء . جمع طلا وهو الصغير من ذوات الظلف . الجآذر . جمع جؤذر وهو الصغير من ولد البقر . البهم . صغار أولاد المعزى الواحدة بهمة

جمالها وبياض وجهها وكثافة فرعها ؛ ثم أنحى على لائمته التى لامته على كرمه وإنفاقه ، واحتج بأن الخلود فى البذل والجود لا فى الثراء والشح ، وبأن المنية غاية الاحياء . ومنها :

ولقد تحل بها الرباب لها سلف يفل عدوها لهم(١)
بردية سبق النعيم بها أقرانها وعلا بها عظم(٢)
وتريك وجها كالصحيفة لا ظمآن مختلج ولا جهم(٣)
كعقيلة الدر استضاء بها محراب عرش عزيزها العجم(٤)
وتضل مدراها المواشط فى جعد أغم كأنه كرم(٥)

***

وتقول عاذلتى وليس لها بغد ولا مابعده علم(٦)
إن الثراء هو الخلود وإن المرء يكرب يومه العدم(٧)

---

(١) السلف . الخيل المتقدمة . يفل . يهزم . يريد أن قومها ذوو شجاعة واستعداد ضخم فى الحرب

(٢) بردية أى كبردية ، يشبهها بالبردى فى صفائها وبياضها واستوائها . غلا : ارتفع . المعنى أنها بيضاء زاد النعيم والترف فى شبابها حتى لتراها كبيرة السن عن أقرانها وهى صغيرة كبيرة الجسم والعظم .

(٣) يشبه وجهها بالصحيفة لملاسته ولينه ، المختلج : القليل اللحم الضامر . الجهم : الكثير اللحم البشع

(٤) العقيلة . الكريمة ، وعقيلة كل شىء خيرته . العجم فاعل استضاء وهو لازم ، ومحراب منصوب على نزع الخافض . والمحراب صدر المجلس

(٥) المدرى : المشط . الجعد : الشعر المتقبض ليس بالسبط . الأغم : الشعر الكثير . الكرم . شجر العنب شبه به لكثرته

(٦) العاذلة . اللائمة

(٧) يكرب : يدنى . العدم : الفقر

إنى وجـــدك ماتخلدنى مائة يطير عفاؤها ، أدم(١)
ولئن بنيت لى المشقر فى هضب تقصر دونه العصم(٢)
لتنقبن عنى المنية إن الله ليس كحكمه حكم (٣)
إنى وجدت الأمر أرشده تقوى الأله وشره الأثم (٤)

وقال المنخل اليشكرى وهو شاعر جاهلى كان يعاصر النابغة ونادم النعمان بن المنذر :

ولقد دخلت على الفتا ة الخدر فى اليوم المطير
الكاعب الحسناء تر فل فى الدمقس وفى الحرير
فدفعتهـــا فتدافعت مشى القطاة إلى الغدير
ولثمتهـا فتنفست كتنفس الظبى الغرير
فدنت وقالت يامنخـــل مابجسمك من حرور
ماشف جسمى غير حبـــك فاهدئى عنى وسيرى
وأحبهـــا وتحبنى ويحب ناقتها بعيرى

وقال ورد الجعدى :

خليلى عوجا بارك الله فيكما وإن لم تكن هند لأرضكما قصدا
وقولا لها ليس الضلال أجارنا ولكننا جرنا لنلقاكمو عمدا

---

(١) يطير عفاؤها : يذهب وبرها من السمن . الأدم : الأبل الخالصة البياض

(٢) المشقر حصن بالبحرين . وكان المخبل وأولاده قد هاجروا إلى البصرة وأقام بعض أبنائه بالأحساء والبحرين ، وهم شعراء . العصم : الوعول واحدها أعصم يريد أن الهضبة عالية لاترقاها الوعول

(٣) تنقب : تبحث . المنية : الموت

(٤) أرشده من الرشد وهو الهدى والاستقامة . الاثم : الذنب

وقال المرقش الأكبر

وهى قصيدته المفردة فى الغزل (١) .

سرى ليلا خيال من سليمى ... فأرقنى وأصحابى هجود
فبت أدير أمرى كل حال ... وأرقب أهلها وهمو بعيد
على أن قد سما طرفى لنار ... يشب لها بذى الأرطى وقود(٢)
حواليها مها جم التراقى ... وأرآم وغزلان رقود
نواعم لاتعالج بؤس عيش ... أوانس لاتراح ولا ترود
يرحن معاً بطاء المشى بدا ... عليهن المجاسد والبرود
سكن ببلدة وسكنت أخرى ... وقطعت الموائق والعهود
فما بالى أفى ويخان عهدى ... وما بالى أصاد ولا أصيد
ورب أسيلة الخدين بكر ... منعمة لها فرع وجيد
وذو أشر شتيت النبت عذب ... نقى اللون براق برود
لهوت بها زماناً من شبابى ... وزارتها النجائب والقصيد
أناس كلما أخلقت وصلا ... عنانى منهم وصل جديد

وقال طرفة :

(وهى قصيدته المفردة فى الغزل)

ومطلعها

أتعرف رسم الدار قفرا منازله ... كجفن اليمانى زخرف الوشى ماثله

ومنها :

ديار سليمى إذ تصيدك بالمنى ... وإذ حبل سلمى منك دان تواصله

---

(١) راجعها فى المفضليات ٢٣ ج ٢ طبع دار المعارف ١٣٦١ هـ

(٢) سما : ارتفع . يشب : يرفع الحطب حواليها وهو الوقود . الأرطى بسكون الراء : شجر ينبت فى الرمل : وذو الأرطى . موضع

وإذ هى مثل الرئم صيد غزالها لها نظر ساج إليك تواغله
غنينا وما نخشى التفرق حقبة كلانا غرير ناعم العيش باجله
ليالى أقتاد الصبا ويقودنى يجول بنا ريعانه ونجاوله

ثم يصف خيالها ، ويتعجب لاهتدائه إليه ثم يقول :

وقد ذهبت سلمى بعقلك كله فهل غير صيد أحرزته حبائله
كما أحرزت أسماء قلب مرقش بحب كلمع البرق لاحت مخايله

ثم يذكر قصة المرقش مع محبوبته أسماء ، ويختمها بقوله :

فوجدى بسلمى مثل وجد مرقش بأسماء إذ لاتستفيق عواذله
قضى نحبه وجدا عليها مرقش وعلقت من سلمى خيالا أماطله

المعلقات ومنزلتها من الشعر الجاهلى

أولا : سبب تسميتها المعلقات :

ا — قال المفضل ـ فى « امرىء القيس م سنة ٥٦٠ ، وزهير م سنة ٦٣٥ ، والنابغة سنة ٦٠٤ ، والأعشى سنة ٦١٢ ، ولبيد م سنة ٦٤٥ ، وعمرو بن كلثوم وطرفه م سنة ٥٦٥ م » — : هؤلاء أصحاب السبع الطوال التى تسميها العرب « السموط » ، وقد أدركنا أكثر أهل العلم يقولون إن بعدهن سبعاماهن بدونهن ولقد تلا أصحابهن أصحاب الأوائل فما قصروا ، وهن « المجمهرات » لعبيد وعنترة سنة ٦٠٠ وعدى سنة ٥٨٠ وبشر بن أبى خازم وأمية بن أبى الصلت وخداش بن زهير والنمر بن تولب ، وأما منتقيات العرب فهن للمسيب والمرقش والمتلمس وعروة بن الورد ومهلهل ودريد بن الصمة والمتنخل ، وأما المذهبات فللأوس والخزرج خاصة ، وهن لحسان وابن رواحة ومالك ابن العجلان وقيس بن الخطيم وأحيحة بن الجلاح وأبى قيس بن الأسلت وعمرو بن امرىء القيس ، « وعيون المراثى سبع » لأبى ذؤيب وعلقمة بن ذى جدن م ٥٤٠ م وكعب بن سعد الغنوى والأعشى الباهلى وأبى زبيد الطائى ومالك بن الريب ومتمم بن نويرة ، وأما « مشوبات العرب » وهن اللاتى شابهن الكفر والاسلام فللجعدى وكعب بن زهير والقطامى والخطيئة والشماخ وعمرو بن أحمر وابن مقبل ، وأما « الملحمات السبع » فهن للفرزدق وجرير والأخطل والراعى وذى الرمة والكميت والطرماح . قال المفضل : فهذه التسع والأربعون قصيدة عيون أشعار العرب فى الجاهلية والاسلام[1]

ونحن فى هذا النص نجد تقسيما جديداً لا إلف لنا به للقصائد الشعرية فى الجاهلية والاسلام، حيث يقسمها المفضل م ١٨٩ هـ إلى سبعة أنواع ويعدها

(١) ص ٤٥ جمهرة أشعار العرب ط ١٩٢٦

ب — والظاهر أن صاحب الجمهرة وهو أبو زيد محمد بن أبى الخطاب القرشى كان يتتلمذ على المفضل وتأثر به وبرأيه هذا فرتب الجمهرة وقصائدها وفق هذا التقسيم . كما نلاحظ أنه بدلا من أن يقول « السموط » سماها « المعلقات » وعرضها واحدة بعد واحدة بعد أن قدمها بوصف المعلقات ولكنه زاد عليها واحدة هى قصيدة عنترة ، فهى عند أبى زيد ثمان ، وهى :

١ — معلقة امرىء القيس : قفانبك من ذكرى حبيب ومنزل

٢ — « زهير : أمن أم أوفى دمنة لم تكلم

٣ — « النابغة ومطلعها :

عوجوا فحيوا لنعم دمنة الدار ماذا تحيون من نؤى وأحجار

٤ — معلقة الأعشى ومطلعها :

مابكاء الكبير بالاطلال وسؤالى وما ترد سؤالى

٥ — ومعلقة لبيد : عفت الديار محلها فمقامها

٦ — معلقة عمرو بن كلثوم . ألا هبى بصحنك فأصبحينا

٧ — « طرفة . لخولة أطلال ببرقة ثهمد

٨ — « عنترة . هل غادر الشعراء من متردم ؟

وبذلك نجد أنفسنا أمام اسم « المعلقات » ، وهى قصائد سبع أو ثمان لأشهر شعراء الجاهلية (١)

---

(١) قال حماد الرواية . كانت العرب تعرض أشعارها على قريش فما قبلوا منه كان مقبولا ومارددوا منه كان مردوداً فقدم عليهم علقمة الفحل فأنشدهم قصيدته التى أولها .

هل ماعلمت وما استودعت مكتوم أم حبلها إذ نأتك اليوم مصروم

فقالوا هذه سمط الدهر ثم عاد إليهم العام المقبل فأنشدهم قصيدته التى أولها .

طحا بك قلب فى الحسان طروب بعيد الشباب عصر حان مشيب

فقالوا . هاتان سمط الدهر =

حـ — ويروى أن زهيرا كان يسمى كبار قصائده الحوليات[١].

« ويقول الجاحظ : ومن شعراء العرب من كان يدع القصيدة عنده حولا كريتا[٢] وزمنا طويلا يردد فيها نظره ، وكانو يسمون تلك القصائد « الحوليات » و « المقلدات » و « المنقحات » و « المحكمات » ليصير قائلها ، فحلا خنذيذا وشاعرا مفلقا »[٣].

ونجد فى هذه النصوص أسماء جديدة للقصائد الجاهلية ، ولكن الذى الذى يهمنا من كل هذه الأسماء هو « المعلقات ».

د — ويقول ابن قتيبة فى قصيدة عبيد بن الأبرص « أقفر من أهله ملحوب » « وهذه القصيدة أجود شعره وهى « إحدى السبع[٤] » فكأنه يعدها من السبع الطوال أو السبع المعلقات . ويقول فى قصيدة عنترة : « هل غادر

= كما يروى أن حماداً لما رأى زهد الناس فى الشعر جمع لهم هذه القصائد السبع وقال . هذه هى المشهورات فسميت « القصائد المشهورة »

وعلى هامش شرح الزوزنى للمعلقات مانصه « إنما سميت المعلقات لأن العرب فى الجاهلية كان الرجل منهم يقول الشعر فى أقصى الأرض فلا يعبأ به ولاينشده أحدا حتى يأتى مكة فيعرضه على أندية قريش فان استحسنوه روى وكان فخراً لقائله وإن لم يستحسنوه طرح ولم يعبأ به ، قال أبو عمرو بن العلاء . وكانت العرب تجتمع فى كل عام بمكة وكانت تعرض أشعارها على هذا الحى من قريش ، قال ابن الكلبى : فأول شعر علق فى الجاهلية شعر امرىء القيس علق على ركن من أركان الكعبة أيام الموسم حتى نظر إليه فعلقت الشعراء بعده وكان ذلك فخرا للعرب فى الجاهلية وعدد من علق شعره سبعة إلا أن عبد الملك طرح شعر أربعة منهم وأثبت مكانهم أربعة وروى آخرون إن بعض أمراء بنى أمية أمر من اختار له سبعة أشعار فسماها المعلقات الثوانى »

وبذلك نجد أول تفسير لتسمية هذه القصائد بالمعلقات وهى تعليقها على الكعبة وأول من قال بذلك ابن الكلبى

(١) ١٦ الشعر والشعراء ، ١٤٩ ج ١ البيان والتبيين

(٢) أى كاملا (٣) ٢١ ج ٢ البيان والتبيين (٤) ص ٨٥ الشعر والشعراء

الشعراء من متردم » . وكانت العرب تسميها الذهبية » [١] . ويقول فى قصيدة عمرو بن كلثوم « ألاهبى بصحنك الخ » . « وهى من جيد شعر العرب وإحدى السبع المعلقات » [٢] .

هـ — ويقول ابن عبد ربه فى العقد :

وقد بلغ من كلف العرب وتفضيلها للشعر ان عمدت الى سبع قصائد من الشعر القديم فكتبتها بماء الذهب فى القباطى المدرجة وعلقتها فى أستار الكعبة ، فمنه يقال مذهبة امرىء القيس ، ومذهبة زهير ، والمذهبات سبع وقد يقال لها المعلقات (٣) »

ونجد أنفسنا فى هذا النص أمام تفسير للمعلقات وبيان لسر تسمية هذه القصائد بهذا الاسم [٤] ، وهو مقتبس من رأى ابن الكلبى

و — وفى المزهر للسيوطى وهو مأخوذ عن العمدة لابن رشيق : وكانت المعلقات تسمى المذهبات وذلك أنها اختيرت من سائر الشعر فكتبت فى القباطى بماء الذهب وعلقت على الكعبة ، وقيل بل كان الملك اذا استجيدت قصيدة يقول : علقوا لنا هذه لتكون فى خزانته » [٥]

فنراه يذكر — رواية عن غيره — سببا آخر لتسمية هذه القصائد بالمعلقات [٦]

وقريب من هذا ماذكره الأسكندرى تفسيرا لتسميتها بالمعلقات ، وهو

---

(١) ٧٦ المرجع (٢) ٦٧ المرجع

(٣) ٣٧٩ ج ٣ العقد ، ٣٠٩ تهذيب العقد الفريد

(٤) ويسير على ذلك الرأى البغدادى فى خزانة الأدب ، وابن خلدون فى المقدمة

(٥) ٢٩٨ ج ٢ المزهر ، ويقول ابن رشيق . « وكانت المعلقات تسمى المذهبات وذلك انها اختيرت من سائر الشعر القديم فكتب فى القباطى بماء الذهب وعلقت على الكعبة فلذلك يقال مذهبة فلان إذا كانت أجود شعره وذكر ذلك غير واحد من العلماء »

(٦) وهذا الرأى هو رأى أبى جعفر النحاس م سنة ٣٣٨ م =

أن العرب لم تكن تكتب فى دفاف وإنما كانوا يكتبون فى رقاع مستطيلة من الحرير أو الجلد يوصل بعضها ببعض ثم تطوى على عود أو خشبة وتعلق فى جدار الرواق أو الخيمة

ويقول الألوسى صاحب بلوغ الأرب فى الجزء الأول منه : وفيها — أى فى سوق عكاظ — علقت القصائد السبع الشهيرة افتخارا بفصاحتها على من يحضر الموسم من شعراء القبائل .

هذا ولكن المستشرقين ينكرون تعليق هذه القصائد بأى حال

و — وبعد فنحن أمام رأيين فى سر تسمية هذه القصائد الجاهلية المشهورة بالمعلقات ، وهما :

الرأى الأول : أنها علقت على الكعبة . ويذهب اليه ابن عبد ربه فى العقد ، وابن خلدون فى المقدمة والبغدادى فى خزانة الأدب[1] وتبعهم كثيرون . وقيل التعليق كان فى سوق عكاظ وهو رأى الألوسى ، وقيل إن

= قال أبو جعفر النحاس فى آخر شرحه للمعلقات . « وقيل إن العرب كانوا يجتمعون بعكاظ فيتناشدون الأشعار فاذا استحسن الملك — لعله النعمان بن المنذر — قصيدة قال : علقوا لنا هذه وأثبتوها فى خزائنى . فأما قول من قال أنها علقت فى الكعبة فلا يعرفه أحد من الرواة ، وأصح ماقيل إن حمادا الراوية لما رأى زهد الناس فى الشعر جمع هذه السبع وحضهم عليها وقال لهم هذه المشهورات فسميت القصائد المشهورة لهذا »

وقال أبو جعفر فى شرحه على تلك المعلقات : « واختلفوا فى جمع القصائد السبع ، وقيل : إن العرب كانوا يجتمعون بعكاظ فيتناشدون الأشعار فاذا استحسن الملك قصيدة قال : علقوا لنا هذه وأثبتوها فى خزانتى ، وأما قول من قال أنها علقت بالكعبة فلا يعرفه أحد من الرواة

(١) وأول من قال تعليقها على الكعبة وتسميتها بالمعلقات من أجل ذلك هو — كما فى كتاب الآداب العربية للرافعى — هشام بن الكلبى الراوية م ٢٠٤ هـ

التعليق كان فى الرواق أو الخيمة وهو رأى الاسكندرى ، وقيل إن التعليق كان فى خزانة الملك وهو رأى أبى جعفر النحاس العالم اللغوى الأديب م ٣٣٨ هـ ، ولعله يريد بالملك النعمان بن المنذر الذى كان عنده ديوان مكتوب جمع فيه أشعار الفحول ، وينكر أبو جعفر تعليقها على الكعبة ذاكرا أن ذلك لا يعرفه أحد من الرواة . وبعض الباحثين كابن رشيق والسيوطى يذكر الرأيين ، أنها علقت على الكعبة أو فى خزانة الملك ،

أما الرأى الثانى فينكر مسألة تعليقها بأى شكل من الاشكال ولون من الألوان ، ومن أصحاب هذا الرأى المستشرق الألمانى نولدكى الذى كتب كتابا فى هذا الموضوع ورجح(١) أن المعلقات معناها المنتخبات وأنها سميت بذلك تشبيها لها بالقلائد التى تعلق فى النحور ، واستدل على ذلك بأن من اسمائها السموط والقلائد . وقد أيد رأيه الأستاذ كليمان هيار الفرنسى الذى ألف باللغة الفرنسية كتابا فى الأدب العربى ، فرأى أن المعلقات جمع معلقة بمعنى القلادة بدليل أنهم يسمونها أيضا السموط بمعنى العقود واللآلىء ؛ وأيد هذا الرأى «اسكندر أغا ابيكاريوس» فى كتابه تزيين نهاية الأرب فى أنباء العرب» حيث قال : إن العلماء من المتقدمين قد انتخبوا من نفائس أشعار القدماء القصائد المسبعات التى هى سبعة أسابيع ورواها صاحب الجمهرة وأولها المعلقات» ويرجح نيكلسون المستشرق الإنجليزى المشهور أن كلمة معلقة قد اشتقت من قولهم « علق » وهو الشىء النفيس الثمين العالى المستوى . وذلك لأن

---

(١) ونص كلام نولدكه — كما ورد فى الفصل الذى كتبه عن المعلقات فى دائرة المعارف البريطانية هو : « إن قصة القول بأن هذه القصائد كتبت بالذهب ترجع إلى تسميتها بالقصائد المذهبات وهى تسمية مجازية للدلالة على عظم أمرها وكذلك يجب أن تؤول تسميتها بالمعلقات على هذا الأساس نفسه فمن المحتمل جدا أن تعنى هذه التسمية أن هذه القصائد قد سمت إلى درجة خاصة ، وهناك اشتقاق آخر من المادة نفسها وهو كلمة علق بمعنى الشىء النفيس

الانسان يتعلق بها تعلقا شديدا ، ثم قال : وقد ظهرت خرافة تزعم أن تسمية المعلقات بهذا الاسم راجعة لتعليقها بأستار الكعبة تقديرا لفضلها الذى قضى لها به المحكمون فى عكاظ على مقربة من مكة حيث يجتمع الشعراء متنافسين فى إنشاد أروع مادبجته قرائحهم وأنها كانت تكتب بماء الذهب على القباطى الواردة من مصر قبل تعليقها على الكعبة (١)

وممن استبعد تعليقها على الكعبة الاستاذ حامد مصطفى وأيد رأيه بعدة أدلة(٢) ، وذهب إلى أنها سميت بالمعلقات لتعلقها وحفظها فى الرأس أو فى الدفاتر عناية بها لنفاستها

ويرد أصحاب الرأى الأول على من ينكرون تعليقها على الكعبة بأن تعليق الصحف الخطيرة على الكعبة كان سنة فى الجاهلية والاسلام ، كتعليق قريش الصحيفة التى وكدوا فيها على أنفسهم مقاطعة بنى هاشم والمطلب ، وكتعليق هرون الرشيد لعهده بالخلافة من بعده إلى ابنيه الأمين والمأمون ؛ فأى مانع يمنع أن تكون هذه القصائد لخطرها وبعد أثرها قد علقت فى الكعبة ؟ ولذلك مثيل فى الأدب الاغريقى القديم فان القصيدة التى نظمها زعيم الشعر الغنائى بندار فى المدح قد كتبها الاغريق بالذهب على جدران معبد

---

(١) أما أن بعض هذه المعلقات قد أنشد فى عكاظ فمسلم وأما أنها سميت بالمذهبات لكتابتها فى القباطى بماء الذهب فغير مسلم ، إذ ربما كانت تسميتها بالمذهبات لجليل قيمتها الأدبية وعظيم خطرها الفنى

(٢) ١٨٨ تاريخ أدب اللغة العربية فى العصر الجاهلى ط ١٣٦٦ هـ . ومن هذه الأدلة : مافى بعض المعلقات من فجر مما يبعد تعليقها على الكعبة ، واختلاف الرواة فى عددها وأصحابها ، وعدم ورود شىء لنا عنها فى عصر الرسول ، ولأن أول من ذكر تعليقها على الكعبة هو ابن الكلبى م ٢٠٤ هـ وهو راوية غير موثوق به

أثينا فى لمنوس . هذا ويقول التبريزى : وذهب فريق إلى أن وجه تسميتها بالمعلقات علوقها بأذهان صغارهم وكبارهم ومرؤوسيهم ورؤسائهم وذلك لشدة اعتنائهم بها

وبعد : فالمعلقات كانت مثار اعجاب الرواة والأدباء والنقاد وتقديرهم وحبهم ، وعلقت بأذهان الجميع ، وحفظوها ورددوها

فليس ببعيد أن يكون رأى التبريزى هو أرجح الآراء فى هذه التسمية لتلك القصائد الرائعة

ثانيا : عدد المعلقات :

وعدد هذه القصائد وأصحابها مختلف فيه :

١ — فقد سبق أن ذكرنا نقلا عن المفضل وسواه أنها سبع لامرىء القيس والنابغة وزهير والأعشى وطرفة ولبيد وعمرو بن كلثوم

٢ — ويجعلها صاحب الجمهرة ثمانية باضافة عنترة ومعلقته الميمية إلى ماسبق

٣ — ويجعلها الزوزنى تسعة : لامرىء القيس والنابغة والأعشى وزهير وطرفة ولبيد وعمرو بن كلثوم والحارث بن حلزة وعنترة بزيادة الحارث ابن حلزة

٤ — ويجعلها النعسانى الحلبى شارح المعلقات فى كتابه نهاية الأرب من شرح معلقات العرب ، الذى ألفه سنة ١٣٢٤ هـ — عشرة وذلك بإضافة قصيدة عبيد بن الأبرص :

ليس(١) رسم على الدفين ببالى فلوى ذروة فجنبى ذيال

---

(١) الدفين : قرب مكة . اللوى : متقطع الرمل . ذروة : واد لبنى فزارة ذيال . رملة تواجه ذروة

ولـكنه يجعل معلقة الأعشى هى :

ألم تغتمض عيناك ليلة أرمدا وبت كما بات السليم مسهدا(١)

ومعلقة النابغة هى :

يادارمية بالعلياء فالسـند أقوت وطال عليها سالف الأمد

٥ — و أكثر الرواة على أنها سبع لامرىء القيس وزهير وطرفة ولبيد وعنترة وعمرو بن كلثوم والحارث بن حلزة

ثالثا : شراح المعلقات :

وقد شرح هذه المعلقات كثيرون منهم : أبو جعفر النحاس م ٣٣٨ هـ ، والزوزنى م ٢٧٥ هـ ، ومحمد بدر الدين ابى فراس النعسانى الحلبى فى القرن الرابع عشر الهجرى ، كما شرحها كثيرون مما عداهم

وطبعت المعلقات طبعات كثيرة باللغة العربية فى الشرق والغرب . وطبعها سير شارلزليل سنة ١٨٩٤ بكلـكتا ، كما ترجم نولدكة خمس معلقات ، مسقطا معلقتى امرىء القيس وطرفة وارفق بها شرحا بالألمانية وهى أمتع ترجمة كما ترجمها إلى الانكليزية شعرا مع شىء من التصرف مستر ولفرد بلنت ولادى أن بلنت ، ومن أشهر طبعاتها طبعة ليبسيا بعناية العلامة أرنولد سنة ١٨٥٠م

رابعا : منزلة المعلقات فى الشعر الجاهلى :

وللمعلقات منزلة عظيمة فى الشعر الجاهلى ، فهى أعلى قصائده طبقة فى البلاغة وبعد الأثر وجلال التأثير والسحر ، وهى لشعراء ممتازين فى منزلتهم فى هذه الجزيرة المقفرة البدوية ، فوق انها هى الناطقة بمجد العرب ومحامدهم

---

(١) وذلك بدلا من قصيدته : مابكاء الـكبير بالأطلال . وبعض الرواة يذكرون أن معلقة الأعشى هى .

ودع هريرة إن الركب مرتحل وهل تطيق وداعا أيها الرجل

وأخبارهم وشاهد صدق على أخلاقهم وطباعهم وعاداتهم ولون تفكيرهم ، وتمتاز بطولها ورقتها وتهذيبها وروعتها وبجمال معانيها وسحر أساليبها وجزالتها وشدة أسرها ، فوق تنوع فنونها وأغراضها ، وما فيها من تشبيه ساحر واستعارة نادرة وكناية طريفة

وهى مع ذلك ثروة لغوية كبيرة لاغنى عنها للباحثين والمتعلمين .

واهتمام الرواة والعلماء والأدباء والنقاد والشارحين والناشرين بها دليل على مالها من مكانة فى الأدب العربى القديم والحديث على السواء

وسنحلل هذه المعلقات الآن واحدة واحدة فنقول وبالله التوفيق .

معلقـــة طرفة

١ — وطرفة بن العبد البكرى شاعر جاهلى مشهور ، نشأ يتيما فى كفالة أعمامه ، يؤثر اللهو والدعة والبطالة ويدمن الخمر ويهجو الناس حتى الملك عمرو بن هند الذى أضمر له الشر وأرسله لعامله بالبحرين فقتله ولم يتجاوز السادسة والعشرين ، وتقول أخته الخرنق فى رثائه :

عددنا له ستا وعشرين حجة فلما توفاها استوى سيدا نخما

وكان طرفة ملتهب المشاعر والعواطف ، حاد التفكير واللسان ، متأجج الشاعرية ، نظم الشعر يصور فيه حياته وآماله وبطالته ، يصف فيجيد الوصف ويأتى بالحكمة العالية والفكرة الرائعة ، وهو أجود الجاهليين طويلة كما يقول ابن قتيبة [1] وشعره قليل بأيدى الرواة(٢) .

٢ — ومطلع هذه المعلقة الرائعة :

لخولة أطـــلال ببرقة ثهمد تلوح كباقى الوشم فى ظاهر اليد(٣)

وقد عد بها الشاعر من فحول الشعراء الجاهليين ومشهوريهم ، واستحق من أجلها أن يضعه أبو عبيدة فى الطبقة الثانية منهم وابن سلام فى الطبقة الرابعة وأن يذهب بعض الشعراء والنقاد إلى أنه أشعر الجاهليين . وهى أطول المعلقات ، أبياتها خمسة ومائة بيت ، وتمتاز بكثرة معانيها وجزالة أسلوبها . نظمها طرفة بعد عودته إلى أرض قومه إثر تنقله فى الأحياء حين كان مغاضبا لقومه وعشيرته ، وقبل أن يتصل بملوك الحيرة ويندمهم .

ويبدو من روح المعلقة ولهجتها أن الشاعر نظمها عتابا لابن عمه ، ويبدو

---

(١) ٤٩ الشعر والشعراء (٢) ٤٩ الشعر والشعراء و ٤٩ طبقات الشعراء

(٣) خولة : اسم محبوبته . ثهمد : أكمة فى بلاد خثعم . تلوح : تظهر

أيضا أن السبب فى عتابه له أن أخاه « معبدا » كان له إبل يرعاها هو وأخوه طرفة . فأغبها طرفة فى المرعى حتى دخلت مرعى ابن عمه فحجزها ، فلام معبد أخاه ، وألقى عليه عبء طلبها واستردادها من ابن عمه ، فذهب طرفة إليه ، فلم يجد كلامه معه ، فعاد ثائرا غاضبا ، ونظم قصيدته يعاتب فيها عبد عمرو عتابا شديدا قاسيا مما تقرؤه فى المعلقة فى قوله :

فمالى أرانى وابن عمى مالكا ... متى أدن منه ينأ عنى ويبعد
وأيأسنى من كل خير طلبته ... كأنا وضعناه على رمس ملحد
على غير شىء قلته غير أننى ... نشدت فلم أغفل حمولة معبد
وإن أدع للجلى أكن من حماتها ... وإن تأتك الأعداء بالجهد أجهد
فلو كان مولاى امرأ هو غيره ... لفرج كربى أو لأنظرنى غدى
ولكن مولاى امرؤ هو خانقى ... على الشكر والتسآل أو أنا مفتد
وظلم ذوى القربى أشد مضاضة ... على المرء من وقع الحسام المهند
فلو شاء ربى كنت قيس بن خالد ... ولو شاء ربى كنت عمرو بن مرثد(١)
فأصبحت ذا مال كثير وعادنى ... بنون كرام سادة لمسود

ولما سمع عبد عمرو بن مرثد معلقة طرفة أرسل اليه ، فقال له : أما الولد فالله يعطيكه ، وأما المال فلا تبرح حتى تكون من أوسطنا فيه ، وأمر سبعة من أبنائه وثلاثة من بنى أبنائه أن يعطوه عشرا عشرا من الابل ففعلوا .

٣ — ويذكر بعض الباحثين من المستشرقين أن المعلقة لم توضع مرة واحدة ، كقوله :

إذا مت فانعينى بما أنا أهله ... وشقى على الجيب يا ابنة معبد

وما يليه من أبيات قالها وهو فى سجن البحرين قبيل موته وهذا خطأ فى

---

(١) قيس بن خالد ذو الجدين من عظماء سادة الشيبانيين وعمرو بن مرثد هو ابن عم الشاعر .

البحث ، فلم يقل طرفة هذه الأبيات وهو فى سجن البحرين ، بل نظمها ونظم القصيدة كلها مرة واحدة وهو صحيح مقيم فى أرض قومه . والقصيدة قطعة واحدة من الشعر الحى والتصوير الرائع والديباجة الساحرة والوصف الصادق

٤ — وتمتاز المعلقة بوفرة معانيها وتنوع أغراضها وجمعها بين السهولة والغرابة فى اللفظ ، وبين الرقة والمتانة فى الأسلوب ، وبين الحكمة واللهو والجد والهزل فى النهج والحياة .

وتصور الشاعر وحياته وأمانيه ومطامحه ولذاته ولهوه وبيئته والحياة فيها تصويرا جميلا رائعا بالغا حد الدقة والاحكام والجمال .

٥ — وحدة القصيدة وفنونها :

ونحن نقف أمامها معجبين بجمالها وانسجامها وقوة شاعريتها وتأجج عواطف الشاعر فيها ، وهذه الوحدة التامة الظاهرة على أغراضها وفنون القول فيها :

ا — بدأها الشاعر بالغزل :

فذكر أطلال خولة محبوبته ووقف عليها وبكاها :

لخولة أطلال ببرقة ثهمد تلوح كباقى الوشم فى ظاهر اليد

وقوفا بها صحبى على مطيهم يقولون لا تهلك أسى وتجلد

ثم يذكر قباب خولة وهى ظاعنة ويشبهها بالسفينة تشبيها جميلا قويا فيقول

كأن حدوج المالكية غدوة خلايا سفين بالنواصف من دد

عدولية أو من سفين ابن يامن يجور بها الملاح طورا ويهتدى

يشق حباب الماء حيزومها بها كما قسم الترب المفايل باليد(١)

---

(١) الحدوج . القباب . المالكية . هى خولة . الخلايا : جمع خلية وهى السفينة الكبيرة . النواصف . مجارى الماء إلى البحر . دد أرض معروفة » . =

وهو فى هذا الوصف يرسم صورة جميلة للسفن الكبيرة التى كان يراها ويشاهدها تسير فى الماء على شواطىء البحرين وسواها

ثم يصف جمال محبوبته وينعتها نعتا جميلا قويا مؤثرا عذبا يدل على امتلاء نفسه بالحب وعلى خضوعه لأسر الجمال :

وفى الحى أحوى ينفض المرد شادن مظاهر سمطى لؤلؤ وزبرجد(١)

وتبسم عن ألمى كأن منوراً تخلل حر الرمل دعص له ندى(٢)

ووجه كأن الشمس حلت رداءها عليه ، نقى اللون لم يتخدد(٣)

ب — ثم يأخذ الشاعر فى وصف ناقته التى يسير عليها ليسلى عن نفسه الهموم والأحزان ، ووصفه لها طويل فى خمسة وثلاثين بيتاً ، ويجىء به فى

= وعدولية : أى قديمة ، وهى الكبيرة من السفن ، وتنسب إلى موضع يقال له عدولى . ابن يامن : ملاح قديم من أهل البحرين . يجور : يضل . يهتدى : أى يعرف طريق السير

حباب الماء : طرائقه وما ارتفع منه . الحيزوم : الصدر . المفايل : الذى يجمع ترايا ويخبىء فيه شيئا مثل الحلقة ويقسم الترب نصفين ويطلبه فى أحدهما فان أصاب ظفر وإن أخطأ قمر

(١) أحوى : فى لونه حوة وهى السواد . والمرد : شجر الأراك . الشادن : ولد الظبية إذا قوى . سمطى : خيطى . مظاهر : يضع واحدا على آخر . اللؤلؤ والزبرجد : جوهران معروفان

(٢) تبسم : يفتر ثغرها . اللمى : سواد فى الشفة . المنور : الأقحوان . تخلله توسطه ودخل فيه . حر الرمل : النقى منه . الدعص : الكثيب : الصغير من الرمل . الندى : من صفة الاقحوان يصفه بالنداوة

(٣) حلت : ألقت . رداءها : بهاءها . يتخدد : يضطرب حتى تصير فيه شقوق .

لفظ غامض غريب لا تكاد تفهمه إلا بصعوبة وعسر ومشقة ومراجعة وطول عناء .

قال طرفة فيما قال فى وصف ناقته :

وإنى لأمضى الهم عند احتضاره بهوجاء مرقال تروح وتغتدى(١)

أمون كألواح الأران نسأتها على لاحب كأنه ظهر برجد(٢)

إلى أن يقول :

وإن شئت لم ترقل وإن شئت أرقلت مخافة ملوى من القد محصد(٣)

على مثلها أمضى إذا قال صاحبى ألا ليتنى أفديك منها وأفتدى(٤)

وجاشت إليه النفس خوفاً وخاله مصابا ولو أمسى على غير مرصد(٥)

ح — ثم يفتخر الشاعر بنفسه ويفرغ لها ويصف فتوته وكرمه ولذاته ومجده ولهوه بشرب الراح ، فى وضوح وسهولة فيقول :

إذا القوم قالوا : من فتى ؟ خلت أننى عنيت ، فلم أكسل ولم أتبلد(٦)

---

(١) الهوجاء : الخفيفة الفؤاد ، ويروى بعوجاء وهى المهزولة . مرقال صفة للناقة ، أى كثيرة الارقال ، وهو شدة السير

(٢) الأمون : المأمونة العثار . الأران : التابوت الذى تحمل فيه الموتى . نسأتها : زجرتها . اللاحب : الطريق الواضح . البرجد : كساء من أكسية العرب . شبه استقامة الطريق بخط أبيض يكون فى الكساء من قطن

(٣) الأرقال : ضرب من السير . القد : السوط . المحصد : المحكم الفتل

(٤) الضمير فى « منها » للفازة والبرية

(٥) جاشت : علت . خاله : ظن نفسه . وإن أمسى الخ : أى وإن أمسى لا يرصد ولا يخاف

(٦) أتبلد : أتحير . الكسل : العجز .

ولست بحـــلال التلاع مخـافة ولـكن متى يسترفد القوم أرفد(١)
وإن تأتنى فى حلقـة القوم تلقنى وإن تقتنصنى فى الحوانيت تصطد(٢)
وإن يلتق الحى الجميع تلاقنى إلى ذروة البيت الرفيع المصمد(٣)
نداماى بيض كالنجوم وقينـــة تروح علينا بين برد ومجسد(٤)

ثم يذكر أثر لهوه وشربه الخمر فى حياته وبين قبيلته ، ويتحدث عن لذاته فى الحياة ويصفها ، ويلوم من يعذله فى اللهو والإسراف ويفندرأيهم ويقول إن الكريم المسرف والبخيل المقتر مآلهما واحد إلى القبر :

وما زال تشرابى الخمور ولذتى وبيعى وإنفاقى طريفى ومتلدى(٥)
إلى أن تحامتنى العشيرة كلها وأفردت إفراد البعير المعبد(٦)
رأيتنى بنى غبراء لاينكرونى ولا أهل هذاك الطراف الممدد(٧)
ألا أيهاذاللائمى أحضر الوغى وأن أشهد اللذات هل أنت مخلدى

---

(١) التلاع : الأرض المرتفعة والمنخفضة ، والمراد هنا المعنى الثانى لأن البخيل يحل فى الاماكن المنخفضة ، لئلا يراه أحد ، وأرى أنه يجوز أن يحل فى الاماكن المرتفعة حتى لا يصل إليه أحد

(٢) حلقة القوم : مجالس أشرافهم . الحوانيت : بيوت الخمارين

(٣) الذروة : أعلى الشىء ، المصمد : الذى يصمد إليه أى يقصد

(٤) الندامى : الأصحاب على الخمر . القينة الجارية ، البرد : الثوب الأبيض . المجسد : المصبوغ بالجساد وهو الزعفران

(٥) الطريف : المكتسب . التليد أو المتلد : الموروث

(٦) تحامتنى : اجتنبتنى . العشيرة : بنو العم ، أفردت : أبعدت ، المعبد : المذلل المطلى بالقطران

(٧) بنو غبراء : اللصوص . الطراف : بيت من جلد . يريد أنه لا ينكره صعلوك ولا غنى

فان كنت لا تستطيع دفع منيتى فدعنى أبادرها بما ملكت يدى

ويعتد بلذاته اعتدادا كبيرا ويذكرها :

فلولا ثلاث هن من عيشة الفتى وجدك لم أحفل متى قام عودى

فمنهن سبقى العاذلات بشربة كميت متى ما تعل بالماء تزبد(١)

وكرى إذا نادى المضاف مجنبا كسيد الغضا نبهته المتورد(٢)

وتقصيرى يوم الدجن والدجن معجب ببهكنة تحت الطراف الممدد(٣)

أى شرب الراح وركوب الخيل ، واللهو مع امرأة جميلة

أرى قبر نحام بخيل بماله كقبر غوى فى البطالة مفسد(٤)

أرى الموت يعتام الكرام ويصطفى عقيلة مال الفاحش المتشدد(٥)

أرى الدهر كنزا ناقصا كل ليلة وما تنقص الأيام والدهر ينفد

لعمرك إن الموت ما أخطأ الفتى لكالطول المرخى وثنياه باليد(٦)

د — ثم ينتقل إلى عتاب ابن عمه مالك وقد سبق أن ذكرناه فى أول المعلقة .

---

(١) كميت : خمرة تضرب إلى السواد ، تعل : أى يصب الماء عليها

(٢) كرى : عطفى ، المضاف : الذى أضافته الهموم ، المجنب : الفرس المعوجة الساقين ، السيد : الذئب . الغضا : شجر

(٣) الدجن : المطر الخفيف ، معجب : أى يعجب من رآه ، البهكنة : التامة الخلق أو الحسناء

(٤) النحام : يريد البخيل ، الغوى : الذى يتبع هواه ولذته . البطالة : اتباع الهوى والجهل

(٥) يعتام : يختار . الكرام : الخيار الأماجد ، يصطفى : ينتخب ، عقيلة كل شىء : خيرته . الفاحش : القبيح السيء الخلق . المتشدد : كثير البخل

(٦) الطول : الحبل ، ثنياه : طرفاه

هـ — ثم يعود إلى التحدث عن نفسه ووصفها بالذكاء والشجاعة، ويتنبأ بموته ويطلب من ابنة أخيه معبد أن تبكيه إذا مات :

إذا مت فانعينى بما أنا أهله وشقى على الجيب يا ابنة معبد
ولا تجعلينى كامرىء ليس همه كهمى ولا يغنى غنائى ومشهدى

وهو فى هذا البيت يعرض بابن عمه

و — ثم ينتقل إلى الحكمة، فيأتى منها بحكم رائعة وأمثال بليغة رويت على مر الزمان :

ستبدى لك الأيام ما كنت جاهلا ويأتيك بالأخبار من لم تزود
لعمرك ما الأيام إلا معارة فما اسطعت من معروفها فتزود
عن المرء لا تسأل وسل عن قرينه فكل قرين بالمقارن يقتدى
لعمرك ما أدرى وإنى لواجل أفى اليوم إقدام المنية أو غد
إذا أنت لم تنفع بودك أهله ولم تنك(١) بالبؤسى عدوك فابعد

---

(١) نكى عدوه : ألحق به العطب والضرر

معلقة امرىء القيس (١)

قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل بسقط اللوى بين الدخول فحومل

مطلع معلقة امرى القيس الرائعة الذائعة الشهرة ؛ والتى تدل على شخصية صاحبها المرحة ، وروحه الموهوب ، ومجونه المأثور .

أسلوب القصيدة أسلوب جزل فيه أسر وقوة فى عذوبة حينا ، مع الجمال والصدق والتنقل فى الخيال ، ومع سحر المطلع وفخامته .

ومعانيها قريبة ، لاتعقيد فيها ، تتكىء على الحس والمشاهدات ، فهو حين يتحدث عن الحب يصف جمال المرأة ومحاسنها ، وحين يصف الفرس يتحدث عن ساقه ومتنه وشعره ، وحين يتحدث عن المطر يصف كثرته وأنه ألقى مياهه على جبل كذا وكذا ففزعت العصم وهدمت البيوت وسقطت جذوع النخيل ، دون أن يتحدث الشاعر عما وراء هذه الأوصاف الحسية فى الخيل والمطر أو عن عواطفه الانسانية فى حبه وغزله .

وتمتاز المعلقة بأنها مظهر للبلاغة العربية ، وبما فيها من أساليب البيان ؛ ومناهج الأداء ، وصور التعبير ، وألوان الرسم والخيال والتفكير ؛ فيها تشبيهات جميلة عذبة كثيرة ، واستعارات جميلة بالغة ، وكنايات أنيقة ساحرة وسوى ذلك من أدوات التعبير والبيان .

ولتفصيل ذلك كله نقول :

١ — للمعلقة مطلعها الساحر القوى ، وأسلوبها الجزل ، وخيالها البدوى الموهوب . وتشبيهاتها الحسية الساذجة المكرورة أحيانا ، وفيها فوق ذلك ورغم الكثير من ألفاظها البدوية الجافة رقة النسيب

---

(١) درس الباقلانى فى كتابه « اعجاز القرآن » المعلقة دراسة نقد وموازنة وهى دراسة رائعة جديدة ، فارجع اليها إن شئت .

ودقة الوصف وتنوع الأغراض وبراعة التصوير والبيان ، وفيها جل ما ابتكره امرىء القيس من المعانى الشعرية التى فضل بها على غيره من الشعراء وعدها أميرهم وقائدهم ، ففيها بكاء للديار ، واستيقاف للصحب ، وتجويد فى النسيب وتصوير لاستهتاره ومجونه ، وقص لذكرياته وأيامه ، وابداع فى وصف الليل وطوله ، والفرس ومحاسنه ، والبرق ، والمطر وآثاره .

٢ — وفى المعلقة الكثير من التشبيهات الجميلة : كتشبيه موقفه حين رحيل أحبابه بموقف ناقف الحنظل فى غزارة ماينهمر منهما من دموع ، وكتشبيه عبق الرائحة من حبيبه بعبق رائحة النسيم وقد جاء بريا القرنفل ، وتشبيه شحم ناقته بهداب الدمقس المفتل ؛ والثغر بالأقحوان المنور ، وتعرض الثريا فى السماء بتعرض أثناء الوشاح المفصل ، وتشبيه ترائب المرأة بالمرآة المجلوة ، وجيدها بجيد الظباء ، وبنانها بأساريع الظبى ، وجمالها المشرق بمنارة الراهب المتبتل ، وتشبيه الليل بموج البحر ، واهتزام الفرس بغلى المرجل ، فقد أخذ الحسن من جميع الحيوانات ، أخذ من الظبى خاصرته ومن النعامة ساقها ، ومن الذئب والثعلب مشيهما ، فهو جواد وياله من جواد ، ضافى الذيل مستقيم العسيب (١) ، لماع الظهر كما تلمع صلاية الحنظل مما يعلق بها من الدهن اللامع أو صلاية عروس تدق فيها العطر والطيب ، وكأن دماء هوادى فريساته فى نحره المخضوب عصارة حناء فى شيب مسرح .

٣ — وتمتاز المعلقة بكناياتها الساحرة ، كنؤومة الضحى فى وصف المرأة بالترف والنعمة ، وقوله « لم تنتطق عن تفضل » وفى وصفها بأنها عزيزة منعمة لم تعز بعد ذل ولم تنعم بعد شقاء ، وقوله « إذا ما اسبكرت بين درع ومجول » يريد إذا بلغت سن الشباب لأن الدرع هو قميص المرأة والمجول ثوب تلبسه الفتاة وتجول فيه قبل أن تخدر ، وقوله « قيد الأوابد » فى وصف الفرس

---

(١) عظم الذنب .

بسرعة العدو ، وقوله « ولم ينضح بماء فيغسل » فى وصفه بالنشاط . وفيها كثير من المجازات الجميلة والاستعارات المبدعة ، كقوله « فسلى ثيابى من ثيابك تنسلى » يريد بالثياب القلب أو الصداقة ، وقوله « وبيضة خدر » يريد امرأة كريمة مخدرة ، وقوله فى وصف الليل بالطول « فقلت له لما تمطى بصلبه » . وقوله « وتتقى بناظرة من وحش وجرة » وكذلك قوله له أيطلا ظبى وساقا نعامة » من أساليب التجريد أو التشبيه الجميلة .

٤ — وقد تجد فى المعلقة تنقلا فى الخيال وفى رسم الصور الشعرية ولكن لا ضير فى ذلك : لأن الشعر فن ، والفنون تأبى أن تخضع لقيود المنطق والفلسفة ، وحريتها فى التعبير والتصوير هو سر جمالها وخلودها ، وفوق ذلك فان الشعر صورة للحياة العربية فى سذاجتها وبساطتها فضلا عن أثر الارتجال والبديهة فى نظم الشعر وإنشاده وخاصة فى العصر الجاهلى .

٥ — وفى المعلقة وصف لما يحبه العربى من مظاهر الجمال فى المرأة وفى الفرس ، وفيها بيان مفصل لزينة المرأة وترفها .

وفيها نواة للقصص الشعرى وخاصة فى الغزل ، مما نهج عليه عمر بن أبى ربيعة ثم بشار وأبو نواس .

وليس فيها أثر للمدح ، لأن شخصية امرئ القيس العظيمة أرفع من المدح ، ولأن المعلقة لم تنظم إلا لوصف ذكرياته ولهوه وترفه ومجونه ، مما يرجح أنها نظمت فى أيام صبواته وشبابه قبل أن يحمل عبء الأخذ بثأر والده ، حيث تجدها خالية من ذكر الأحداث التى أطافت به بعد ذلك

وتعدد الأغراض والفنون فى القصيدة يتفق ونهج العربى والشعراء الجاهليين فى صياغة قصائدهم ، حيث كانوا يروحون عن أنفسهم ومسامعيهم بهذا الاستطراد الجميل ، وبتعدد نواحى القصيدة ومراميها ، حتى تكون أشد أثرا وسحرا .

٦ — وروح الشاعرية فى المعلقة متحدة متناسقة إلا فى أبيات يضيفها بعض الرواة إليها وهى :

وقربة أقوام جعلت عصامها على كاهل منى ذلول مرحل

وما بعده من أبيات ، مما تخالف روحها روح المعلقة . والصحيح أن هذه الأبيات لتأبط شرا وأنكرها الكثير من الرواة ، وقيل هى لامرئ القيس فى عصر مشيبه وكهولته وأضيفت إلى المعلقة إضافة فهى لا تمثل روحه فى فترة شبابه اللاهية الماجنة التى تراها فى معلقته

٧ — وتمثل هذه المعلقة الحياة العربية فى كثير من نواحيها المختلفة ، كما تصور حياة امرىء القيس وترفه وروحه اللاهية المسرفة فى العبث والمجون أتم التصوير ، فهى صورة جميلة واضحة لحياة الشاعر وقومه ، وأثر أدبى كبير نستطيع أن نفهم منه الكثير من عادات العرب وأخلاقهم

نشأ امرؤ القيس فى بيت سؤدد ومجد ونعمة ، فخب فى سبل اللهو وذاق أفاويق الجمال والحب ، وقضى أيام شبابه فى مغازلة الغيد الحسان ، فكانت له معهن أيام وذكريات قص الكثير منها فى هذه المعلقة ، وما برح فى لهوه ومجونه حتى ضاق به والده ذرعا فأبعده عنه ، فأقام مع أمثاله من أهل البطالة واللهو ، حتى قتل أبوه ، فذهبت سكرته ، وطالت حسرته ، وهب للأخذ بثأره حتى قضى عليه أخيرا اسرافه فى الانتقام .

ذلك هو امرؤ القيس قائد الشعراء فى الجاهلية ، وحامل لواء الشعر فى ذلك العصر البعيد ، والمفتن فى أبواب الشعر وأغراضه ، والمجلى فى بيان أسرار الجمال واللهو ، وفى رقة الأسلوب وسحره ، وفى جزالة اللفظ وأسره ، وفى روائع التشبيه وبدائع الخيال ، وفى ابتداع الكثير من المعانى الشعرية الطريفة التى قلده فيها سواه من الشعراء .

٨ — وتتناول المعلقة كثيرا من فنون الشعر ، وتحوى الكثير من الأفكار

المنوعة ، ففيها بكاء لديار أحبابه فى ثلاثة أبيات وتصوير لحيرته وذهوله يوم رحيلهن واستيقاف لأصحابه ليحملوا معه عبء الحزن والشجى فى بيتين ، وفيها شرح للهوه وعبثه وقص لذكرياته وأشجانه مع محبوباته ووصف للجمال العربى وزينه المرأة فى الجاهلية ولأثر الجمال وسحره فى النفوس وذلك فى عشرين بيتا ، وفيها مناجاة لليل وذكر لطوله وآلامه فيه فى خمسة أبيات ، ووصف دقيق لفرسه فى ثمانية عشر بيتا وللبرق والمطر ونشوة الطبيعة فى عشرة أبيات فأبياتها تبلغ الستين أو تزيد . وهى كلها فى درجة من الاحسان ليس بعدها من مزيد .

٩ — ويقول الزوزنى فى سبب إنشاد هذه القصيدة :

السبب فى إنشادها هو قصة غدير دارة جلجل حيث كان امرؤ القيس يحب ابنة عمه عنيزة فتركها تستحم فى هذا الغدير مع أترابها وجمع ملابسهن ثم لم يعطها لهن إلا بعد مرورهن أمامه عاريات ، ثم ذبح لهن ناقته ، وقسم متاعه عليهن يحملنه ، وركب مع عنيزة فى هودجها » .

نماذج من المعلقة :

١ — بدأها ببكاء الديار :

قفانبك من ذكر حبيب ومنزل بسقط اللوى بين الدخول فحومل[1]

وهو مطلع جميل ساحر .

ثم يستمر فى وصف الديار وآثارها حتى يقول :

وقوفا بها صحبى على مطيهم يقولون لاتهلك أسى وتجمل

---

(١) اللوى : ماالتوى من الرمل . سقط اللوى : منتهاه . الدخول وحومل وتوضح والمقراة : أسماء أماكن يقع بينها سقط اللوى وفيه منزل الحبيب .

وإن شفائى عبرة مهراقة فهل عند رسم دارس من معول(١)

٢ — ثم يصف ذكريات هواه وعبثه فيقول فيما يقول :

ويوم عقرت للعذارى مطيتى فيا عجبا من كورها المتحمل(٢)

فظل العذارى يرتمين بلحمها وشحم كهداب الدمقس المفتل(٣)

ويوم دخلت الخدر خدر عنيزة فقالت لك الويلات إنك مرجلى(٤)

تقول(٥) وقد مال الغبيط بنا معا عقرت بعيرى يا امرأ القيس فانزل

فقلت(٦) لها سيرى وأرخى زمامه ولا تبعدينى من جناك المعلل

فمثلك(٧) حبلى قد طرقت ومرضع فألهيتها عن ذى تمائم محول

ثم يستمر فى غزله :

أفاطم مهلا بعض هذا التدلل وان كنت أزمعت صرمى فأجملى(٨)

وأنك قسمت الفؤاد فنصفه قتيل ونصف بالحديد مكبل(٩)

فان تك قد ساءتك منى خليقة فسلى ثيابى من ثيابك تنسلى(١٠)

---

(١) مهراقة : مراقة مسكوبة . المعول . المستعان به

(٢) المطية هنا . الناقة . العذارى : الابكار . الكور الرحل . المتحمل : المحمول

(٣) هداب الدمقس : أطراف الحرير . المفتل : المفتول

(٤) الخدر : الهودج وهو فى الاصل الستر . عنيزة . اسم محبوبته . مرجلى . فاضحى بين رجالى .

(٥) الغبيط . الرحل . عقرت بعيرى : أدميت ظهره لثقله

(٦) الجنى . الثمر . المعلل . الذى جنى مرة بعد مرة

(٧) محول . مضى عليه حول

(٨) أزمع الامر . ثبت عزمه على إمضائه . الصرم . الهجر . الاجمال . الرفق

(٩) مكبل . مقيد ، من الكبل وهو القيد

(١٠) الخليقة السجية . الثياب هنا . القلب . تنسل . تسقط

وما ذرفت عياك إلا لتضربى بسهميك فى أعشار قلب مقتل(١)

إلى أن يقول :

تضىء الظلام بالعشاء كأنها منارة ممسى راهب متبتل

تسلت عمايات الرجال عن الصبا وليس فؤادى عن هواك بمنسلى(٢)

أغرك منى أن حبك قاتلى وأنك مهما تأمرى القلب يفعل

٣ — ثم يصف الليل وطوله فيقول :

وليل كموج البحر أرخى سدوله على بأنواع الهموم ليبتلى(٣)

فقلت له لما تمطى بصلبه وأردف أعجازا وناء بكلكل(٤)

ألا أيها الليل الطويل ألا انجلى بصبح وما الأصباح منك بأمثل

فيا لك من ليل كأن نجومه بكل مغار الفتل شدت بيذبل(٥)

٤ — ثم يصف فرسه فيقول :

وقد أغتدى والطير فى وكناتها بمنجرد قيد الأوابد هيكل(٦)

---

(١) ذرف دمعه . سال . السهمان هنا هما العينان . الاعشار . أجزاء الجزور الذى ينحر فى الميسر يأخذ منه السهم المعلى سبعة والرقيب ثلاثة . مقتل أهلكه العشق .

(٢) تسلت . تكشفت وانزاحت . عمايات . ضلالات وغوايات . منسل . سال

(٣) السدول . الستور . يبتلى . يختبر

(٤) الصلب : الظهر . الاعجاز : المآخير . الكلكل : الصدر : ناء : نهض

(٥) مغار : محكم شديد . يذبل . اسم جبل . يصف نجوم الليل بالثبات

(٦) وكنات جمع وكنة وهى العش . منجرد : قصير الشعر رقيقه . الاوابد : الوحوش النافرة .

مكر مفر مقبل مدبر معا كجلمود صخر حطه السيل من عل(١)

ثم يذكر الصيد الذى صاده أو طهى الطهاة له وسط الصحراء :

فظل(٢) طهاة اللحم ما بين منضج صفيف شواء أو قدير معجل(٢)

٥ — ثم يصف البرق والمطر فى عذوبة وسحر وجمال ، مما لا داعى لذكره فى هذه العجالة السريعة ، فليرجع اليه القارىء فى مجموعات المعلقات المطبوعة .

---

(١) مكر مفر : سريع الكر والفر . عل : فوق

(٢) الطهاة : جمع طاه وهو الطباخ . لحم صفيف : صف على النار ليشوى أو فى الشمس ليقدد . قدير : مطبوخ فى القدر

معلقة عمرو بن كلثوم التغلبى

١ — وعمرو بن كلثوم جاهلى قديم ، قتل عمرو بن هند الملك ، أمه ليلى بنت مهلهل بن ربيعة وعمها كليب أعز العرب ، ووالده كلثوم بن عتاب فارس العرب ؛ وكان عمرو سيدا فى قومه من بنى تغلب ، وتوفى فى أواخر القرن السادس الميلادى

وعمرو شاعر قوى الشاعرية مجيد ، ومعلقته « ألاهبى بصحنك فاصبحينا مشهورة ، « وهى من جيد شعر العرب وإحدى السبع المعلقات » ، وكان قام بها خطيبا فيما كان بينه وبين عمرو بن هند[1] .

يمتاز عمرو فى شعره بالبديهة والارتجال ، وبأسلوبه الرائق ، وأغراضه العالية . وهو مقل لم ينظم فى فنون الشعر جميعها ، وكل ما روى عنه معلقته وبعض مقطوعات لا تخرج عن موضوعها . أجاد فى الفخر إجادة منقطعة النظير

٢ — والمعلقة مشهورة بالرقة والسلاسة والسهولة وفيها تكرير فى بعض معانيها وألفاظها ، ومبالغة واضحة شديدة فى الفخر مما لم يؤلف نظيرها فى الشعر الجاهلى ، مثل :

إذا بلغ الرضيع لنا فطاما تخر له الجبابر ساجدينا

ومثل :

لنا الدنيا ومن أضحى عليها ونبطش حين نبطش قادرينا

١ — بدأها عمرو بن كلثوم بوصف الخمر ، وهذه المعلقة فريدة فى هذه الناحية ، فلم تبدأ معلقة أو قصيدة بوصف الخمر فى الجاهلية إلا هذه القصيدة ولعل سر ذلك أن تغلب كانت النصرانية موجودة فى بعض ربوعها وأن الخمر

---

(١) ٦٧ الشعر والشعراء

كانت شائعة فى هذه الربوع ، قال :

ألا هبى بصحنك فاصبحينا ولا تبقى خمور الأندرينا(١)
مشعشعة كأن الحص فيها إذا ما الماء خالطها سخينا(٢)
صددت الكأس عنا أم عمرو وكان الكأس مجراها اليمينا(٣)
وما شر الثلاثة أم عمرو بصاحبك الذى لا تصبحينا(٤)
وكأس قد شربت ببعلبك وأخرى فى دمشق وقاصرينا(٥)
إذا صمدت حمياها أريبا من الفتيان خلت به جنونا(٦)

ب — ثم يأخذ فى الغزل ووصف محبوبته وجمالها .

قفى قبل التفرق يا ظعينا نخبرك اليقين وتخبرينا
قفى نسألك هل أحدثت صرماً لوشك البين أم خنت الأمينا(٧)
أفى ليلة يعاتبنى أبوها وإخوتها وهم لى ظالمونا

ح — ثم ينتقل إلى الفخر بقومه ومجدهم وعزتهم ، ويهدد الملك عمرو بن هند وينذره ويتوعده فى أسلوب قوى جزل مع عذوبة وجمال ، والظاهر أن ذلك كان أيام التحاكم أمام عمرو بن هند والمفاخرة بين تغلب وبكر :

أبا هند فلا تعجل علينا وأنظرنا نخبرك اليقينا

---

(١) هبى : استيقظى . الصحن : القدح العريض . أصبحينا : اسقينا . الصبوح وهو الشرب فى الغداة . الأندرينا : جمع الأندر وهى قرية بالشام جمعها بما حواليها

(٢) مشعشعة : ممزوجة . الحص : الورس . سخينا : جدنا وتكرمنا من السخاء .

(٣) صددت : أى صرفت . أم عمرو : هى والدته

(٤) أى لست أنا شر الثلاثة فتعدلنى عن الكأس

(٥) بلاد معروفة (٦) صمدت : قصدت . الحميا : سورة الراح . الأريب : العاقل (٧) الصرم : الهجر . الوشك : السرعة . البين : الفراق . الأمين : الوفى بعهده

يأنا نورد الرايات بيضا ونصدرهن حمراً قد روينا
وأيام لنا غر طوال عصينا الملك فيها أن ندينا
ورثنا المجد قد علمت معد نطاعن دونه حتى يبينا

والجزء التالى من المعلقة يبدو أنه نظم بعد قتل عمرو بن هند ، وهو :

بأى مشيئة عمرو بن هند تطيع بنا الوشاة وتزدرينا
تهددنا وتوعدنا رويدا متى كنا لأمك مقتوينا
وأن قناتنا يا عمرو أعيت على الأعداء قبلك أن تلينا

ثم ينتقل إلى ذكر وقائع قومه مفتخراً بها على بكر ، ومنها يوم خزاز ، ثم يختمها بفخر الأقوى منه :

وأنا الحاكمون بما أردنا وأنا النازلون بحيث شينا
وأنا النازلون بكل ثغر يخاف النازلون به المنونا
إذا ما الملك سام الناس خسفا أبينا أن نقر الخسف فينا
ألا لا يجهلن أحد علينا فنجهل فوق جهل الجاهلينا
ملأنا البر حتى ضاق عنا ونحن البحر نملؤه سفينا
إذا بلغ الفطام لنا رضيع تخر له الجبابر ساجدينا
لنا الدنيا ومن أمسى عليها ونبطش حين نبطش قادرينا

وبعد فالمعلقة من روائع الفخر ، ويقال إنها كانت تزيد على الألف بيت وإنما وصل إلينا بعضها مما حفظه الناس منها

والغالب — كما ذكرنا — أن الشاعر نظمها على مرتين : فى مفاخرته لبكر عند عمرو بن هند ، وفى حادثة أمه ، ولذلك رأينا فيها إشارة إلى كلتيهما وقد وقف عمرو بن كلثوم بهذه المعلقة فى سوق عكاظ فأنشدها فى موسم مكة وكان بنو تغلب يعظمونها ويروبها صغارهم وكبارهم لما حوته من الفخر والحماسة مع جزالتها وسهولة حفظها

وقد أثرت هذه القصيدة فى نفوس قبيلة تغلب وفخروا بها ، واتخذوها

أنشودتهم ، حتى قال فيها بعض البكريين :

ألهى بنى تغلب عن جل أمرهم قصيدة قالها عمرو بن كلثوم

يفاخرون بها مذ كان أولهم يا للرجال لشعر غير مسئوم

والميزة الواضحة فيها السهولة والقوة ، والاعتداد بالنفس والقبيلة. والمبالغة فى الفخر ، وأنها شعر صدر عن سيد قومه يعتز فيه بسيادته وسيادة قبيلته ومجدها وأيامها وبطولة أبطالها وانتصاراتهم

وبدؤها بالخمر يرجع الى انتشار النصرانية فى تغلب وانتشار الخمر بينهم ، وتكاد تكون هى القصيدة الوحيدة فى بدئها بالخمر على غير عادة الشعراء الجاهليين .

ويعجب النقاد بمعلقة عمرو إعجابا شديدا ، قال ابن قتيبة : وهى من جيد شعر العرب واحدى السبع المعلقات(١) ، وقدمه بها النقاد(٢) ، وقال مطرف عن عيسى بن عمر : لو وضعت أشعار العرب فى كفة وقصيدة عمرو بن كلثوم فى كفة لمالت بأكثرها(٣)

---

(١) ص ٦٧ الشعر والشعراء (٢) ص ٤٠ جمهرة أشعار العرب

(٣) ص ٤١ المرجع

معلقة زهـــير

وهى أثر آخر من آثار البلاغة العربية القديمة ، تقع فى تسعة وخمسين بيتا صاحبها زهير بن أبى سلمى ربيعة بن رباح المزنى ، نشأ فى أقاربه بنى غطفان ، وتخرج فى الشعر على خال أبيه بشامة بن الغدير ، وكان يروى لأوس بن حجر أيضا وكان أوس زوج أمه ، فكان شاعرا فحلا ، كما كان صائب الرأى عاقلا حازما حكيما .

كان يتأله ويتعفف فى شعره ، ويدل شعره على إيمان بالبعث .

يؤخر فيوضع فى كتاب فيدخر ليوم حساب أو يعجل فينقم [1]

وفضله عمر بن الخطاب على الشعراء لأنه كان لا يعاظل بين القول ولا يتبع حوشى الكلام ولا يمدح الرجل إلا بما هو فيه[2] .

وكان زهير أحكمهم شعرا وأبعدهم من سخف وأجمعهم لكثير من المعنى فى قليل من المنطق وأشدهم مبالغة فى المدح[3] .

كانت حرب داحس والغبراء بين عبس وذبيان تؤرق زهيرا وتضنيه ، وتثير شاعريته ، ولما سعى هرم بن سنان والحارث بن عوف المريان فى الصلح وحقن الدماء وتحملا ديات القتلى أنطقت تلك المأثرة زهيرا ، فنظم معلقته هذه يمدح هذين السيدين وينوه بعملهما الجليل ويدعو إلى السلم وينفر من الحرب ويصف مآسيها وآلامها ، وهى قصيدة رائعة ، وتمتاز بحكمها الكثيرة وكان زهير ذا حكمة فى شعره .

---

(١) ٤٥ الشعر والشعراء (٢) ٤٤ المرجع ، ٢٩ طبقات الشعراء ، ٣٠٥ ج ٢ المزهر ، وراجع ٣٢ الجمهرة (٣) ٢٩ طبقات الشعراء لابن سلام

تحليل للقصيدة .

١ — بدأ زهير معلقته يذكر الديار وزيارته لها ووقوفه فيها بعد عشرين عاما طوالا يتذكر ذكريات حبه ووفائه ، قال .

أمن أم أوفى دمنة لم تكلم بحومانة الدراج فالمتثلم(١)
وقفت بها من بعد عشرين حجة فلأياً عرفت الدار بعد توهم(٢)
فلما عرفت الدار قلت لربعها ألا انعم صباحاً أيها الربع واسلم

ثم أخذ يصف النساء اللاتى ارتحلن عنها ، فيتبعهن ببصره كئيبا حزينا ، ويصف الطريق التى سلكنها ، والهوادج التى كن فيها والمياه التى نزلنها فى عذوبة وسهولة وجمال إلى أن يقول :

فلما وردن الماء زرقا جمامه وضعن عصى الحاضر المتخيم(٣)
تذكرنى الأحلام ليلى ومن تطف عليه خيالات الأحبة يحلم

٢ — ثم ينتقل إلى مدح هرم والحارث والاشارة بمنقبتهما الكريمة فى إنقاذ السلام وإطفاء الحرب بين عبس وذبيان وتحملهما ديات القتلى من مالهما وقد بلغت ثلاثة آلاف بعير . قال :

سعى(٤) ساعيا غيظ بن مرة بعدما تبزل ما بين العشيرة بالدم
فأقسمت(٥) بالبيت الذى طاف حوله رجال بنوه من قريش وجرهم

---

(١) أم أوفى . محبوبة الشاعر . الدمنة : آثار الديار . تكلم . تتكلم . حومانة الدراج والمتثلم . موضعان

(٢) الحجة . السنة . لأيا . أى بعد لأى ومشقة . توهم . ظن

(٣) جمام الماء . ما اجتمع منه . والجمام الزرق . المياه الصافية . وضع العصى كناية عن الإقامة . الحاضر . النازل على الماء . المتخيم . المقيم

(٤) غيظ بن مرة من غطفان اسم جد القبيلة . تبزل . تفجر . الساعيان هما هرم والحارث

(٥) البيت : الكعبة

يمينا لنعم[١] السيدان وجدتما على كل حال من سحيل ومبرم
تداركتما عبسا[٢] وذبيان بعدما تفانوا ودقوا بينهم عطر منشم
وقد قلتما[٣] إن ندرك السلم واسعا بمال ومعروف من الأمر نسلم
فأصبحتما[٤] منها على خير موطن بعيدين فيهـــا من عقوق ومأثم

٣ — ثم ندد بالحرب ووصف فظائعها ، ودعا إلى السلم وأكده وأوجبه على المتحاربين ، قال :

وما الحرب إلا ما علمتم وذقتم وما هو عنها بالحديث المرجم[٥]
متى تبعثوها تبعثوها ذميمة وتضر إذا ضريتموها فتضرم[٦]

ثم ينصح قومه بأن يبقوا على السلم ، ويندد بالحصين بن ضمضم وبآثار عمله فى تهييج الشر وإعادة نار الحرب ، وكان الحصين حين اجتمع القوم للصلح قد حمل على رجل له عنده ثأر فى الحرب فقتله ، ويعيد التنويه بالرجلين اللذين احتملا ديات القتلى واحداواحدا على غير جريرة كان منهما .

٤ — ثم ينتقل من هـذا المجال الرهيب مجال النصح والتوجيه وتأكيد السلام إلى مجال الحكمة الانسانية العامة ، حكمة الرجل المجرب للحياة الذى ذاقها وخبرها وعاش فى خضمها ثم امتد به العمر فزهدها وانصرف عنها قال :

---

(١) السحيل : ضد المبرم . والمبرم ، المفتول . والسحيل كناية عن الرخاء والمبرم عن الشدة

(٢) منشم . امرأة من خزاعـــة كانت تبيع عطرا فاذا حاربوا اشتروا منها كافورا لموتاهم

(٣) واسعا . ممكنا أو خالصا

(٤) العقوق . قطيعة الرحم . المأثم . الاثم والعدوان

(٥) المرجم . المظنون

(٦) ضريته فضرى : أى هجته فهاج . تضرم : تشعل

ومن يك ذا فضل فيبخل بفضله على قومه يستغن عنه ويذمم
ومن لا يذد عن حوضه بسلاحه يهدم ومن لا يظلم الناس يظلم
ومن (١) لايصانع فى أمور كثيرة يضرس بأنياب ويوطأ بمنسم
ومن (٢) يجعل المعروف من دون عرضه يفره ، ومن لا يتق الشتم يشتم
ومهما تكن عند امرى من خليقة وإن خالها تخفى على الناس تعلم
سئمت تكاليف الحياة ومن يعش ثمانين حولا لا أبالك يسأم
وأعلم ما فى اليوم والأمس قبله ولكننى عن علم ما فى غدعم
رأيت المنايا خبط عشواء من تصب تمته ومن تخطىء يعمر فيهرم

ويختمها بتأكيد معروف السيدين الممدوحين عليه فيقول :

سألنا فأعطيتم وعدنا فعدتم ومن يكثر التسآل يوما سيحرم

---

(١) المصانعة . المداراة . يضرس . يمضغ بالأضراس . المنسم . الحافر

(٢) يفره أى يصونه ويبقيه

معلقة عنترة

ا — وعنترة بن عمرو بن شداد العبسى م ٦١٥ م أحد فرسان العرب وأبطالها وشعرائها ، كان عبدا اسود . وكان لايقول من الشعر إلا البيتين أو الثلاثة فخاصمه رجل وعيره بسواده وسواد أمه وسوى ذلك وأنه لايقول الشعر فقال عنترة : والله ان الناس ليترافدون الطعام فما حضرت أنت ولا أبوك ولا جدك مرفد الناس قط وإن الناس ليدعون فى الغارات فيعرفون بتسويمهم فما رأيتك فى خيل مغيرة فى أوائل الناس قط ، وإن اللبس ليكون بيننا فما حضرت أنت ولا أبوك ولا جدك خطة فصل . وإنى لأحضر الباس ، وأوفى المغنم ، وأعف عن المسألة ، وأجود بما ملكت يدى ، وأفصل الخطة الصماء ، وأما الشعر فستعلم . فغاب حينا وعاد إليه فأنشده معلقته :

هل غادر الشعر من متردم أم هل عرفت الدار بعد توهم

وهى أجود شعره ، وكانت العرب تسميها الذهبية .

وشجاعة عنترة وبسالته دفعت أباه إلى أن يستلحقه بنسبه ، وإلى أن يزوجه عمه ابنته عبلة ، وكان فارس داحس والغبراء ، كما كان فارس عبس ، وأحد أغربة العرب المشهورين .

ب — تحليل ونقد للمعلقة :

١ — هى إحدى المعلقات السبع ، ومن روائع الشعر العربى القديم ، مطلعها :

هل غادر الشعراء من متردم أم هل عرفت الدار بعد توهم

٢ — تمتاز بالسهولة واللين ، البادين فيها ، والذين قلما يوجدان فى الشعرى النجدى القديم ، والذين لا يخلوان من فخامة وجزالة ، فهى واضحة

جلية ، سهلة اللفظ ، قريبة المعنى ، ليس بينها وبين النفس حجاب من هذه الجزالة التى تكاد تبلغ الغرابة ، وإنما تسير فى سهولة ويسر ، وترتفع عن الأسفاف والابتذال دون تورط فى الغلظة والاغراب .

وعنترة فيها رقيق فى غزله والاشادة ببطولته ، بل هو رقيق فى حديثه عن أعدائه ، أليس هو الذى يقول :

فشككت بالرمح الأصم ثيابه ليس الكريم على القنا بمحرم

بل هو رقيق على فرسه ، يألم لألمه ، ويشق لشقائه ، ويرى بكاءه ، ويسمع توجعه حين تعبث به رماح الأعداء :

فازور من وقع القنا بلبانه وشكا إلى بعبرة وتحمحم

لو كان يدرى ما المحاورة اشتكى ولكان لو علم الكلام مكلمى

وعنترة لا تنتهى به الرقة إلى الضعف ، كما لا تنتهى به الشدة إلى العنف ، وكما لا ينتهى به السكر إلى ما يفسد الأخلاق والمروءة ، أو الصحو إلى التقصير والعيب والبخل . وهو مقدم إذا كانت الحرب ، عفيف إذا قسمت الغنائم ، يحاول أن يصف من أخلاقه ما يشرف به الرجل العربى الكريم ، مما يستغنى عن الابانة عنه فيقول هذه الكلمة الرائعة « وكما علمت شمائلى وتكرمى » .

والمعلقة تصوير واضح لنفسية الشاعر ومشاعره وحياته وعواطفه وبطولته وقوته وبأسه ونضاله للأعداء ، ولا عجب فهى تنبع من نفسه وحياته وتصورهما تمام التصوير .

ولو لم نعرف عنترة أو نسمع بأخباره وحياته ، لعرفناه من معلقته بطلا مقداما ، وشجاعا فارسا ، وعربيا كريم الخلق ، رقيق العاطفة ، حار الشعور ، يضع روحه فى كفه ، ويبذلها مضحيا فى سبيل كرامته وشرفه وبطولته

٣ — وقد سار فيها على نهج غيره من الشعراء ، فذكر الديار كما

ذكروها ، ووصف الناقة كما وصفوها ، وافتخر بالكرم والنجدة والبطولة

وفيها معان قلما انتهى إلى مثلها غير عنترة من الشعراء ، ولم يخطىء ابن سلام حين قال إن هذه القصيدة نادرة ، فهى نادرة حقا ، وكأنها طائفة من الأنغام الموسيقية الكثيرة المختلفة فيما بينها أشد الاختلاف ، وفيها نغمة واحدة متصلة منذ بدء القصيدة إلى نهايتها ، تظهر واضحة حينا وتحسها النفس وإن لم تسمعها الأذن حينا آخر ، وهذه النغمة التى تكون وحدة هذه القصيدة كما كونت الوحدة فى معلقة لبيد ، هى حديث الشاعر إلى صاحبته واستحضار صورتها فى نفسه منذ بدء القصيدة ، ولكن بين هذه النغمة فى قصيدة عنترة وقصيدة لبيد فرقا واضحا جداً ، فهى فى قصيدة عنترة حلوة رقيقة تمازج النفس فتمتزج بها لأن عنترة فيما يظهر كان حلو النفس رقيق القلب ، قوى العاطفة ، جاءه ذلك من أنه عز بعد ذلة ، وتحرر بعد رق ، فهو قد شقى فى صباه وطفولته ، واحتمل الأذى فى شبابه ، والذل الذى يمتزج بالنفس فيصفى عواطفها ، ويلطف حدتها ، على حين تجد هذه النغمة عند لبيد غليظة خشنة ، لبيد يتحدث عن صاحبته فى أول القصيدة ويذكرها أثناءها ولكنه ليس متهالكا عليها ولا متحرجا من الصد عنها ، فهو يبادل القطيعة بالقطيعة والهجر بالهجر ، أما عنترة فيقول :

ولقد نزلت فلا تظنى غيره منى بمنزلة المحب المكرم

٤ — وفيها عدة تشبيهات رائقة ، كتشبيه الظليم وقد تبعته النعام بالعبد الأسود وقد ثابت إليه الابل :

تأوى له قلص النعام كما أوت حزق يجانبه لأعجم طمطم

ومثل هذا التشبيه الرائع الذى يعجب به النقاد من القدماء ويحبونه ، فى الأبيات التى وصف فيها ثغر صاحبته بالجمال وطيب النشر ، فذكر فأرة المسك وذكر الروضة الأنف التى ألح عليها الغيث حتى زكا نبتها وكثر فيها

الذباب مبتهجا نشوان مترنما :

وكأن فأرة تاجر بقسيمة سبقت عوارضها إليك من الفم
أو روضة أنفا تضمن نبتها غيث قليل الدمن ليس بمعلم
جادت عليه كل بكر حرة فتركن كل قرارة كالدرهم
سحا وتسكابا فكل عشية يجرى عليها الماء لم يتصرم
وخلا الذباب بها فليس ببارح غردا كفعل الشارب المترنم
هزجا يحك ذراعه بذراعه قدح المكب على الزناد الأجذم

٥ — وكثير جداً من أبيات هذه المعلقة قد ظفر بحظ كبير من الايجاز والامتلاء والبراءة من اللغو والفضول حتى جرى مجرى الأمثال ، فأى الناس لا يتمثل قوله :

وإذا شربت فانني مستهلك مالى وعرضى وافر لم يكلم
وإذا صحوت فما أقصر عن ندى وكما علمت شمائلى وتكرمى

أو قوله :

ينبئك من شهد الوقيعة أننى أغشى الوغى وأعف عند المغنم

أو قوله :

ولقدخشيت بأن أموت ولم تدر للحرب دائرة على ابنى ضمضم
الشاتمى عرضى ولم أشتمهما والناذرين إذا لقيتهما دمى

مما احتذاه جميل فقال :

وليت رجالا فيك قد نذروا دمى وهموا بقتلى بابثين لقوتى

أو قوله :

إن يفعلا فلقد تركت أباهما جزر السباع وكل نسر قشعم

وجل هذه القصيدة يجرى مجرى المثل ، وينشد على اختلاف العصور والبيئات والظروف ، فلا يمل انشاده . ولا تحس النفس نبوا عنه ، أو نفورا

مته ؛ وإنما تحس كأنها تجرى فيه أو كان هذا الشعور مرآة صافية صادقة لكل نفس كريمة ولكل قلب ذكى ولكل خلق نقى .

ذلك لأن عنترة بحياته وشخصيته ومشاعره وعواطفه وآماله وآلامه كان كأنما يتحدث عن النفوس ، ويصف حياة الناس ، ويأخذ من تجاربه وخبرته ومن فراسته وذكائه أساليبه وصوره ، ويستمد من إلمامه بالحياة ومعرفته ببيئته مادة بيانه وشعوره وشعره .

فعنترة فى معلقته شاعر يتحدث عن البطولة فى البادية وعن المجتمع الذى كان يعيش فيه وعن الحياة التى كان يتأثرها وعن عواطف الشاعر وعن دخائل نفسه حديث المصور الماهر والشاعر العبقرى .

وبعد فكل مافى المعلقة جيد ، وكل أبياتها خليق أن نطيل الوقوف عنده والتفكير فيه والاعجاب به كما يقول الدكتور طه حسين .

ح — وفنون المعلقة كثيرة :

١ — بدأها عنترة بالغزل فى ابنة عمه عبلة ومخاطبة دارها ذات الذكريات الجميلة ، قال :

هل غادر الشعراء من متردم أم هل عرفت الدار بعد توهم[1]
يا دار عبلة بالجواء تكلمى وعمى صباحا دار عبلة واسلمى[2]
وتحل عبلة بالجواء وأهلنا بالحزن فالصمان فالمتثلم
حييت من طلل تقادم عهده أقوى وأقفر بعد أم الهيثم[3]

٢ — واستطرد إلى وصف الروضة :

---

(١) غادر . ترك . متردم . شىء يصلح لم يكونوا أصلحوه . التوهم . الوهم

(٢) الجواء . بلد فى نجد من أماكن عبس . عمى . أى انعمى .

أو روضة أنفاً تضمن نبتها غيث قليل الدمن ليس بمعلم(١)
جادت عليه كل بكر حرة فتركن كل قرارة كالدرهم(٢)
وخلا الذباب بها فليس ببارح غردا كفعل الشارب المترنم(٣)
هزجاً يحك ذراعه بذراعه قدح المكب على الزناد الأجذم(٤)

٣ — ثم يصف ناقته فى أبيات كأبيات طرفة تمتاز بالغرابة :

هل تبلغنى دارها شدنية لعنت بمحروم الشراب مصرم(٥)

٤ — ثم يفتخر بنفسه وشجاعته :

أثنى على بما علمت فاننى سهل مخالفتى إذا لم أظلم
فاذا ظلمت فان ظلمى باسل مر مذاقته كطعم العلقم
وإذا شربت فاننى مستهلك مالى ، وعرضى وافر لم يكلم
وإذا صحوت فما أقصر عن ندى وكما علمت شمائلى وتكرمى

ويستمر فى التنويه بشجاعته إلى أن يقول :

ولقد ذكرتك والرماح نواهل منى وبيض الهند تقطر من دمى
فوددت تقبيل السيوف لأنها لمعت كبارق ثغرك المتبسم
لما رأيت القوم أقبل جمعهم يتذامرون كررت غير مذمم

---

(١) الأنف : التام فى كل شىء . الدمن . المطر الخفيف . الغيث . المطر . المعلم . ذو العلامة

(٢) جادت . من الجود وهو المطر الكثير . البكر . السحابة فى أول الربيع والحرة . البيضاء . القرارة . القاع ، وكالدرهم . يعنى فى البياض والاستدارة

(٣) خلا : انفرد . بارح : تارك . غردا : مترنما

(٤) الهزج : السريع الصوت . قدح المكب : أى الذى أكد على الزناد بقدحه . الأجذم : مقطوع اليد

(٥) تبلغنى : توصلنى . دارها : منزلها . شدنية : ناقة . لعنت : جف ضرعها . محروم الشراب . أى ضرع لا لبن فيه . مصرم : جاف

يدعون عنتر والرماح كأنها أشطان بئر فى لبان الأدهم(١)
ما زلت أرميهم بثغرة نحره ولبانه حتى تسربل بالدم(٢)
فازور من وقع القنا بلبانه وشكا إلى بعبرة وتحمحم
لو كان يدرى ما المحاورة اشتكى ولكان لو علم الكلام مكلمى
ولقد شفى نفسى وأبرأ سقمها قيل الفوارس : ويك عنتر أقدم

٥ — ثم يختمها بتهديد ابنى ضمضم وكانا قد نذرا دمه وتربصا له لأنه قتل أباهما فى الحرب ، قال :

ولقد خشيت بأن أموت ولم تدر للحرب دائرة على ابنى ضمضم
الشاتمى عرضى ولم أشتمهما والناذرين إذا لم ألقهما دمى
إن يفعلا فلقد تركت أباهما جزر السباع وكل نسر قشعم(٣)

---

(١) أشطان : حبال . لبان : صدر . الأدهم : الفرس الأسود
(٢) الثغرة : الهزمة التى فى الحلق . اللبان : الصدر . تسربل : لبس السربال
(٣) جزر السباع : أى طعمة لها . القشعم : الكبير من النسور

معلقة لبيد

١ — ولبيد بن ربيعة العامرى من سادة العامريين القيسيين وأشرافهم وكان يقال لأبيه ربيعة المعترين ، وعمه ملاعب الأسنة عامر بن مالك أخذ أربعين مرباعا فى الجاهلية .

كان لبيد من شعراء الجاهلية وفرسانهم ، وقال الشعر فى الجاهلية فى كل غرض ، وأدرك الاسلام وأسلم وهجر الشعر ، وأقام بالكوفة إلى أن مات عام ٤١ هـ عن مائة وسبع وخمسين سنة .

« وسئل لبيد من أشعر الناس ؟ فقال : الملك الضليل ، ثم الشاب القتيل ثم الشيخ أبو عقيل يعنى نفسه(١) » . وهو من أصحاب المعلقات ، وكان نظم لبيد فى الجاهلية فخم العبارة منضد اللفظ قليل الحشو مزدانا بالحكمة العالية والكلم الرائعات ، وهو أحسن الجاهليين تصرفا فى الرثاء ، وأكثرهم قدرة على تصوير عواطف المفجوع الحزين بلفظ رائق وأسلوب مؤثرا ، وقدمه بعض النقاد « لأنه أفضل الشعراء فى الجاهلية والاسلام وأقلهم لغوا فى شعره (٢) » .

٢ — ومعلقة لبيد تمتاز بقوة اللفظ ومتانة الأسلوب ، وبما فيها من تصوير للبادية والحياة والأخلاق فيها .

ا — بدأها لبيد بذكر الديار وخلوها من أصحابها وتعرضها للرياح والأمطار تعبث بها وتمحو معالمها ، قال :

---

(١) ٢٩٧ ج ٢ المزهر . وراجع ٨٨ الشعر والشعراء

(٢) ٣٨ الجمهرة وراجع ص ٣٩ من الجمهرة ايضا

عفت الديار محلها فمقامها بمنى تأبد غولها فرجامها(١)
وجلا السيول عن الطلول كأنها زبر تجد متونها أقلامها(٢)
فوقفت أسألها ، وكيف سؤالنا صما خوالد ما يبين كلامها(٣)

ثم يصف رحيل أحبابه عنها حتى يقول :

بل ما تذكر من « نوار » وقد نأت وتقطعت أسبابها ورمامها(٤)
مرية ، حلت بفيد ، وجاورت أهل الحجاز ، فأين منك مرامها(٥)

وأخيرا يرى لا أن يتسلى ويتعزى حتى يصل إلى رجائه وأمله ، ولكن أن يقطع أمله منها ويترك رجاءه فيها ويقطع صلته بها ما دامت نوار قد تغير وصلها :

فاقطع لبانة من تعرض وصله ولشر واصل خلة صرامها(٦)

ب — ثم يأخذ فى وصف ناقته فى لفظ غريب وتعبير بدوى متين ، ويطيل فى هذا الوصف ، ويشبهها بالأتان الوحشية وبالظبية الرؤوم المفجوعة إلى أن يقول :

---

(١) عفت : درست . المحل والمقام : موضع الحلول والإقامة . منى : موضع قريب من طخفة . تأبد : توحش . الغول : ماء معروف للضباب بجوف طخفة به نخل . الرجام : جبال بقارعة الحمى حمى ضرية

(٢) يريد أن السيول كشفت عن الطلول فظهرت كالكتب تجدد ظهورها . والزبر جمع زبور وهو الكتاب

(٣) صم : جمع صماء . خوالد : بواق جمع خالدة . والصم البواقى هى الأثافى يبين : يظهر

(٤) نوار : اسم حبيبته . الرمام : جمع رمة وهى القطعة من الحبل البالى . يريد أن الوصل تقطعت به الأسباب

(٥) مرية : تنسب إلى مرة بن عوف . فيد : موضع فى طريق مكة . مرامها منالها (٦) اللبانة : الحاجة . تعرض : تغير . الخلة : الصداقة .

فبتلك إذ رقص اللوامع بالضحى واجتاب أردية السراب أكامها(١)
أقضى اللبانة لا أفرط ريبة أو أن يلوم بحاجة لوامها(٢)
أو لم تكن تدرى نوار بأننى وصال عقد حبائل جذامها(٣)
تراك أمكنة إذا لم أرضها أو يرتبط بعض النفوس حمامها

حـ — ثم يتحدث عن نفسه وعزتها ، ولذات الراح التى شارك فيها ، وشجاعته وبطولته فى مواقف النزال والنضال ، وكرمه وسخائه ونواله للجار الفقير والضيف النازل والجار الغريب وللبائسين والمساكين .

وجزور أيسار دعوت لحتفها بمغالق متشابه أعلامها(٤)
فالضيف والجار الغريب كأنما هبطا تبالة مخصبا أهضامها(٥)
تأوى إلى الأطناب كل رزية مثل البلية قالص أهدامها(٦)

د — ثم يفتخر بقومه ومآثرهم وشرفهم ومجدهم فيقول :

من معشر سنت لهم آباؤهم ولكل قوم سنة وإمامها

---

(١) رقص : ارتفع . اللوامع بالضحى : يعنى الآل . اجتاب لبس . أردية : جمع رداء . السراب : ما يتراءى للسائر فى الصحراء من شبه الماء مما يكون لازقا بالقيعان . آكامها : جمع أكمة

(٢) اللبانة : الحاجة . لا أفرط أى لا أترك . الريبة : الشك والمخافة . أن يلوم : أى أن لا يلوم . (٣) أى أصل وأقطع . وهـذا مذهب لا يرتضيه المتيمون فى الحب .

(٤) الأيسار . اللذين يحضرون القسمة ويضربون بالقداح . المغالق : جمع مغلاق وهو السابع من سهام الميسر . متشابه : أى يشبه بعضه بعضاً

(٥) تبالة : قرية فى نجد مشهورة بالخصب . أهضام : جمع هضيم وهى بطون الأرض المطمئنة

(٦) الرزية : المرأة التى قد أرزها أهلها أى أهزلها . البلية ناقة الرجل تعقل عند قبره حتى تموت . الاطناب : حبال الفساطيط . الأهدام . الخلقان . قالص : قصير مرتفع

فبنوا لنا بيتا رفيعا سمكه فسما إليه كهلها وغلامها
فاقنع بما قسم المليك فإنما قسم الخلائق بيننا علامها
وإذا الأمانة قسمت فى معشر أوفى بأعظم حظنا قسامها
فهم السعاة إذا العشيرة أفظعت وهم فوارسها وهم حكامها
وهم ربيع للمجاور فيهم والمرملات إذا تطاول عامها

معلقة الحارث بن حلزة

١ — الحارث بن حلزة اليشكرى من بكر ، كان سيدا فى قومه ، وشاعرا مجيدا ، ارتجل معلقته ارتجالا فى مجلس عمرو بن هند يستدنى بها عطفه ويستجلب رضاه ويذود بها عن قومه ، وكان هوى عمرو بن هند مع تغلب ، فتحول إلى العطف على البكريين بسبب هذه القصيدة الرائعة . وليس للحارث إلا آثار قليلة من الشعر مع معلقته هذه .

٢ — وتمتاز هذه المعلقة بإحكام نسجها وتنوع أغراضها وبأنها أثر من آثار البديهة والارتجال :

ا — بدأها بالغزل فى محبوبته أسماء .

آذنتنا ببينها أسماء رب ثاو يحمل منه الثواء(١)

بعد عهد لنا ببرقة شماء . فأدنى ديارها الخلصاء(٢)

لا أرى من عهدت فيها فأبكى اليوم دلها وما يحير البكاء(٣)

ب — ثم انتقل إلى وصف ناقته وكما يقول :

أتلهى بها الهواجر إذ كل ابن هم بلية عمياء(٤)

حـ — ثم يعاتب إخوانه من بنى تغلب لصلفهم على قومه :

إن إخواننا الأراقم يغلو ن علينا فى قيلهم إحفاء(٥)

---

(١) الايذان : الاعلام . البين : الفراق . الثواء : الاقامة

(٢) العهد : اللقاء . وبرقة شماء والخلصاء : موضعان قريبان من دياره

(٣) يحير : يرد ، الدله : الحزن والتحير وذهاب العقل

(٤) الهواجر جمع هاجرة وهى لفح الحر وقت الظهيرة . عمياء : شديده

(٥) الاراقم : بطون من تغلب . الغلو : مجاوزة الحد . الأحفاء : الالحاح القيل : القـــول

يخلطون البرىء منا بذى الذنـــب ولا ينفع الخلى الخلاء(١)
أجمعوا أمرهم عشاء ، فلما أصبحوا أصبحت لهم ضوضاء
من مناد ، ومن مجيب ، ومن تصـــهال خيل خلال ذاك رغاء
أيها الناطق المرقش عنـا عند « عمرو » وهل لذاك بقاء؟(٢)
فبقينا على غراتك إنمـا قبل ما قد وشى بنا الأعداء(٣)
فبقينا على الشناءة تنميـــنا حصون وعزة قعساء(٤)

ثم يمدح الملك عمرو بن هند حيناً ويستمر فى عتاب إخوانه من تغلب حيناً آخر :

ملك مقسط ، وأفضل من يمشـــى ، ومن دون ما لديه الثناء(٥)
أيمـا خطة أردتم فأدو ها إلينا تمشى بها الأملاء(٦)

ويسير على هذا النهج من المدح والعتاب .

ج — ثم يفتخر بقومه ومجدهم وأيامهم فى صدق وجمال وقوة عاطفة :

هل علمتم أيام ينتهب النـــا س غوارا لكل حى عواء(٧)

إلى آخر هذه القصيدة الرائعة التى يصح لنا أن نعدها ملحمة شعرية مصغرة تنطق بمجد بكر ومفاخرها فى الحرب والسلم فى الجاهلية

---

(١) الخلى البرىء الخالى من الذنب
(٢) الناطق المرقش : أى الواشى المنمق أكاذيبه ووشاياته وأباطيله
(٣) الغراة : اسم بمعنى الأغراء .
(٤) الشناءة : البغضاء . تنمينا . ترفعنا
(٥) مقسط : عادل
(٦) الخطة : الامر العظيم الذى يحتاج الى المخلص منه . أدوها أى فوضوها . الاملاء : الجماعات من الاشراف
(٧) الغوار المغاورة العواء : صوت الذئب وهو مستعار للضجيج والصياح

مصادر الشعر الجاهلى*

ومصادر الشعر الجاهلى كثيرة : كالمفضليات ، وحماسة أبى تمام الطائى وهى تحتوى سبعين وخمسمائة قطعة من الشعر قسمت إلى عشرة أبواب :

الحماسة — المراثى — الأدب — النسيب — الهجاء — الإضافات — الصفات — السير والملح ومذمة النساء ، ولها شروح كثيرة .

ومنها حماسة البحترى ، وهى ذيل لحماسة أبى تمام وتحتوى على سبعين ومائة باب وفيها أكثر من ألف وأربعمائة قطعة .

ومنها ديوان الهذليين للسكرى . وهو المجموعة الوحيدة التى وصلت الينا من مجموعات أشعار قبيلة واحدة ، والنسخة الوحيدة منه محفوظة بمكتبة ليدن وتحتوى على الجزء الثانى منه فقط ، وقد طبع هذا المجموع فى لندره سنة ١٨٥٤ م

ومنها كتاب الأغانى للأصفهانى فى م ٣٥٦ هـ . وكتاب قراضة الذهب فى نقد أشعار العرب لابن رشيق م ٤٦٠ هـ

ومنها جمهرة أشعار العرب لأبى زيد القرشى ، وتحتوى على تسع وأربعين قصيدة لشعراء الجاهلية والإسلام .

ومنها الأمثال للميدانى ، والبيان والتبيين للجاحظ والعقد الفريد لابن عبده ربه ، والأمالى للقالى ، وسوى ذلك من مصادر الأدب والشعر العربى القديم . وخاصة دواوين الشعراء الجاهليين .

(*) زيادة على المنهج الدراسى المقرر

دواوين الشعراء الجاهليين

١ — لم تدون أشعار الجاهليين فى عصر الجاهلية لأن الأمة كانت أمية ، ويروى أنه كان عند آل المنذر ديوان فيه أشعار الفحول ومامدح به هو وأهل بيته فصار ذلك إلى بنى مروان ، ولا تعلم شيئا عن هذه المجموعة هذا وإنما كان بعض الأشعار يحفظ بتواتر روايته وفى صدر الاسلام اهتم الأدباء برواية الشعر الجاهلى وجمعه وتدوينه وتفسيره مثل الأصمعى وأبى زيد وأبى عبيدة وحماد الراوية وخلف الأحمر وقد حذا حذوهم من خلفهم ونظم هؤلاء وأولئك الشعر وأكثروا منه وأخذ الشعراء يدونون ما نظموه بأنفسهم غالبا

٢ — ومما دون من أشعار الجاهليين كتاب العقد الثمين فى دواوين الشعراء الستة الجاهليين : النابغة الذبيانى وعنترة العبسى وطرفة بن العبد وزهير بن أبى سلمى وعلقمة الفحل وامرى القيس وقد طبع فى مدينة غريفزولد سنة ١٨٦٩ للميلاد . وديوان امرىء القيس الكندى المتوفى سنة ٥٢٩ للميلاد وبه ثلاثون قصيدة طبع فى مصر سنة ١٢٨٢ للهجرة مع شرحه للوزير أبى بكر عاصم بن أيوب وأعيد طبعه سنة ١٣٠٧ . وديوان النابغة الذبيانى وتوجد منه نسخة بالمكتبة الخديوية بخط محمود باشا سامى المصرى الشهير بالبارودى . وديوان المتلمس المتوفى سنة ٥٥٠ للميلاد . وديوان علقمة الفحل المتوفى سنة ٥٦١ للميلاد وقد طبع بمدينة ليبسيك سنة ١٨٦٧ . وديوان زهير بن أبى سلمى المتوفى قبل الاسلام بنحو سنة وقد طبع مع شرح له منسوب للأعلم الشنتمرى بمدينة ليدن سنة ١٣٠٦ للهجره من ضمن مجموعة مسماة بالطرف العربية ومنسوبة إلى الشيخ عمر السويدى ولعله سويدى مستشرق . ومجموع مشتمل على خمسة دواوين لأربعة جاهلية وهم النابغة الذبيانى وعروة بن الورد وحاتم طى وعلقمة الفحل والخامس إسلامى وهو الفرزدق ومع الديوان الأول شرحه للوزير أبى بكر عاصم بن أيوب البطليوسى المتوفى سنة ٣٩٤ ومع الثانى والثالث

شرحهما لابن السكيت المتوفى سنة ٢٤٤ وهذا المجموع طبع بالمطبعة الوهبية بمصر سنة ١٢٩٣ ومجموعة المعلقات السبع وشرحها لعبد الله الزوزنى وعلى الأولى منه أنه توفى سنة ٣٧٥ والزوزنى نسبة إلى الزوزن وهى بلده كبيرة من بين هراة ونيسابور وقد طبع بالاسكندرية سنة ١٢٨٨ . وطبعت بشرح لابن النحاس الغريق فى النيل سنة ٣٣٨ . وبشرح آخر للشيخ عثمان التنوخى جمع فيه بين الشرحين السابقين . وبشرح آخر للنعسانى الحلبى وقد طبع بمصر عام ١٣٢٩ هـ . وجمهرة أشعار العرب لأبى زيد القرشى المتوفى سنة ١٧٠ تكلم فيها على الشعر والشعراء وجمع لهم تسعة وأربعين قصيدة مقسمة إلى المعلقات والمجمهرات والمنتقيات والمذهبات والمراثى والمشوبات والملحمات وشرح هذه القصائد بعض الشرح وقد طبع بالمطبعة الأميرية سنة ١٣٠٨ . وديوان قيس بن الخطيم أدرك الاسلام ومات قبل الهجرة . وديوان الأعشى المتوفى سنة ٧ للهجرة . وديوان الخنساء المتوفاة سنة ٢٤ للهجرة وقد طبع بمصر سنة ١٨٨٨ وببيروت سنة ١٨٨٩ للميلاد وأضيفت إليه مراث أخرى ، وديوان حسان بن ثابت المتوفى سنة ٤٠ للهجرة وكان شاعر النبى عليه الصلاة والسلام وديوان الحطيئة المتوفى فى خلافة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب . وديوان لبيد بن ربيعة المتوفى فى أول خلافة معاوية بعد أن عاش ١٤٠ سنة وهو مطبوع بمدينة ويانة سنة ١٨٨٠ للميلاد .

وبعض هذه الدواوين وسواها مطبوع طبعات حديثة .

الشعر الجـــــاهلى

بين الطبع والصنعة

١ — المطبوع من الشعراء كما يقول ابن قتيبة من سمح بالشعر واقتدر على القوافى وأراك فى صدر البيت عجزه وفى فاتحته قافيته وتبينت على شعره رونق الطبع ووشى الغزيرة (١) . والمصنوع هو المنقح المثقف من الشعر الذى قومه صاحبه بالثقاف ونقحه بطول التفتيش ولم يذهب فيه مذهب المطبوعين (٢) مما يظهر للنقاد مهما كان محكما (٣) وتجد البيت فيه مقرونا بغير جاره ومضموما إلى غير لفقه (٤) ، على أن أئمة الصنعه فى الشعر العربى كانوا يجعلون قصائدهم نمطا واحـــدا مما يجعلها مستوية الشاعرية كالحطيئة وسواه ولذلك قال الأصمعى : الحطيئة عبد لشعره ، قال الجاحظ : عاب شعره حين وجده كله متخيراً مستوياً لمكان الصنعة والتكلف والقيام عليه (٥) ، وقال الأصمعى أيضا : زهير والحطيئة وأشباههما عبيد الشعر وكذلك كل من يجود فى جميع شعره ويقف عند كل بيت قاله وأعاد فيه النظر حتى تخرج أبيات القصيدة كلها مستوية فى الجودة (٦) ، قال ابن رشيق : يريد الأصمعى أنهما يتكلفان إصلاحه ويشغلان به حواسهما وخواطرهما (٧) ، وكان الأصمعى يقول : وإنما الشعر

---

(١) زيادة على المنهج الدراسى المقرر (٢) ٢٤ الشعر والشعراء

(٣) ١٦ المرجع (٤) ٢٢ المرجع

(٥) ٢٣ لمرجع ولذلك أخذ النقاد القدماء كالصاحب والثعالبى والبديعى على المتنبى كثرة التفاوت فى شعره

(٦) ١٥٠ ج ١ للبيان والتبين

(٧) ٢٥ ج ٢ المرجع وتروى كلمة الأصمعى برواية أخرى هى : زهير والنابغة وكان النقاد يعدون النابغة من المصنعين ويروى عن أبى عبيدة قال : سمعت أبا عمرو يقول : زهير والحطيئة عبيد الشعر لأنهم نقحوه ولم يذهبوا فيه مذهب المطبوعين

المحمود كشعر الجعدى ورؤبة ولذلك قالوا فى شعره : مطرف بآلاف وخمار بواف (١) ، وكان الأصمعى يفضله من أجل ذلك(٢) ، قال الجاحظ : وكان يخالف فى ذلك جميع الرواة والشعراء (٣) وأرى أنه مسبوق بذلك الرأى ، فقد روى أنه قيل للرماح : لو أصلحت شعرك لذكرت به ، فقال : إنما الشعر كنبل فى جفيرك ترمى به الغرض فظالع وواقع وقاصد (٤) ، ورد بشار على من عابه بالتفاوت فى شعره بأن الشاعر المطبوع كالبحر يقذف مرة صدفة ويقذف طورا خرزة (٥) . وعلى هذا الرأى يسير بعض المحدثين ممن يرى أن التفاوت فى شعر الشاعر دليل على عبقريته وطبعه وهو الآية الناطقة على شاعرية المتنبى عنده (٦) . وإذا كان الشاعر مصنعا بان جيده من سائر شعره كأبى تمام وإذا كان الطبع غالبا عليه لم يبن جيده كل البينونة وكان قريبا من قريب كالبحترى ومن شاكله (٧)

ويرى بعض المحدثين أن الشعر إذا كان صادرا عن ذات نفس الشاعر كان هو شعر الطبع أو شعر الفطرة (٨) فأينما وجدت النفس المتأثرة بما يزحمها من بواعث الشعور فقد وجدت هنالك شعر الفطرة (٩) ، ويذهب إلى ذلك العقاد حيث يرى أن شعور الشاعر بنفسه حد بين الطبع والتكلف فاذا كان الشعر صادقا مؤثرا فهو من شعر الطبع وإلا فهو متكلف (١٠) ، ويرى أن الأديب المطبوع من كان غير مقلد فى معناه أو فى لفظه وأن يكون صاحب

---

(١) ١١٢ ج ١ العمدة

(٢) ١٥٠ ج ١ البيان

(٣) ٢٦ ج ٢ البيان . وكان الأصمعى مع كراهته للصنعة يستحسن التفاوت فى الشاعرية لأنه مظهر الطبع وخلو الشعر من آثار الصناعة

(٤) ٨٨ ج ٢ الأغانى (٥) ٢٧٥ ج ١ زهر (٦) ٢٧٦ مطالعات العقاد (٧) ١١١ ج ١ العمدة (٨) ص ٧ الطبع والصنعة فى الشعر

(٩) ١٦ المرجع (١٠) ٢٧٧ مطالعات

هبة فى نفسه وعقله لافى لسانه فقط [١] وكذلك ذهب صاحب « تاريخ النقد الأدبى عند العرب » الذى ذكر رأى ابن قتيبة وحلله بأنه يريد من الطبع فى الشعر معنى الارتجال لا الطبع والشعور والملكة الشعرية الموهوبة ثم بنى على ذلك نقده لابن قتيبة ورأيه [٢]

ورأى المحدثين إصطلاح جديد فى الطبع والصنعة ومعناهما ، وهو لاينقض الرأى الأول الذى ذهب إليه القدماء ، بل لعل القدماء قد لاحظوه واكتفوا فى تعريفهم للطبع والصنعة بآثارهما الفنية فى الأدب والشعر .

ونحن نرى أن الأولى فى تحديد معنى الطبع والصنعة أن نجمع بين الرأيين فالطبع هو الملكة القادرة فى نفس الشاعر والأديب التى توحى إليه بفنه وأدبه وحى الفطرة والطبيعة واستجابة لعواطفه ومشاعره دون تكلف ودون تعب فى الصوغ أو استجداء لترف الأسلوب والصناعة ، فاذا جاء شىء من آثار هذا التكلف الفنى فى شعر المطبوعين من الشعراء فانما يجىء عفوا وعن غير قصد إليه وتعمد له وإنما طلبه الذوق واستدعاه المعنى ونطقت به الشاعرية دون قصد ودون عناء ودون أن يطغى شىء على نفس الشاعر وشعوره وخلجات قلبه ونزعات عقله وإحساسه . والصنعة هى : إحساس الشاعر أو الأديب بآثار الجمال الفنى وترف الأداء وزخرف الأسلوب ، وحبه لهذا الجمال والترف والزخرف ، وهيامه الفنى بها وقصده إليها وتعمده لها فى شعره وأدبه ، حتى ليطلب الفن للفن ، ويستلهم الجمال للجمال ، ويستوحى الشعر من ملكاته الفنية التى غلبت عليه هذه النزعة واستبد بها هذا الأسلوب ، وكادت تكون فنا خالصا يطغى على نفس الشاعر وشعوره وعواطفه وإحساسه بالحياة ، ويستبد بالظهور والغلبة عليها فى الفن ، أو يشاركها فى تراث الشاعر والأديب الفنى فيقلل من ظهور نزعاته ووجداناته فيه ،

---

(١) ٢٢٦ مطالعات (٢) ١٣١ تاريخ النقد الأدبى عند العرب

ولذلك عاب القدماء من النقاد الصنعة والتصنيع ، وكرهوا الصانعين والمصنعين ، ورأوا مذهبهم يخالف مذهب القدماء من الشعراء فى الجاهلية والاسلام .

٢ — ولقد كان الشعر العربى أثراً للفطرة والقريحة ، واستجابة لمشاعر الشاعر وشعوره بالحياة فى الجاهلية ، وكان أكثره ارتجالا أو مايشبه الارتجال ، ينظمه الشاعر على البديهية ويأتى به عفو الخاطر ، ترد إلى ذهنه المعانى وتتابع فتنثال عليه الألفاظ انثيالا ، وتأتيه الأساليب شعرا وشعورا وسحرا وجمالا ، كل ذلك فى سهولة وتدفق وفطرة ودون تثقيف وتهذيب وتنقيح ، وقد يتفق للشاعر منهم فى شعره من آثار الصنعة التى لم يقصدها البيت والبيتان فى القصيدة ، « وربما قرئت » من شعر أحدهم قصائد من غير أن يوجد فيها بيت بديع ، وكان يستحسن ذلك منهم إذا أتى نادرا ، ويزداد حظوة بين الكلام المرسل ، (١) وليس متكلفا تكليف أشعار المولدين ، وإنما وقع لهم عن غير قصد ولا تعمل لكن بطباع القوم عفوا ، فلم تكن العرب تنظر فى أعطاف شعرها بأن تجنس أو تطابق أو تقابل فتترك لفظة للفظة أو معنى لمعنى كما يفعل المحدثون ولكن نظرها فى فصاحة الكلام وجزالته وبسط المعنى وإبرازه وإتقان بنية الشعر وأحكام عقد القوافى وتلاحم الكلام بعضه ببعض (٢) ، فكل شىء للعرب فانما هو بديهة وارتجال وكأنه الهام ، وليس هناك معاناة ولا مكابدة ولا إجالة فكرة وإنما هو أن يصرف وهمه إلى الكلام وإلى جملة المذهب والعمود الذى اليه يقصد فتأتيه المعانى ارسالا وتنثال عليه الألفاظ انثيالا (٣) .

وفى العصر الجاهلى بدأ لون جديد من ألوان التثقيف والصنعة فى الشعر على يد أوس وزهير وتلاميذهما ، كان أوس من أصحاب التنقيح وكان

---

(١) ١٦ البديع (٢) ١٠٨ ج ١ العمدة (٣) ١٥ ج ٣ البيان

يسمى محبرا لحسن شعره (١) وتتلمذ عليه زهير (٢) وكان طفيل كذلك وقد قيل إن زهير روى له (٣) وتتلمذ عليه ، وكذلك كان النمر بن تولب من أصحاب التثقيف والتهذيب وكان أبو عمرو بن العلاء يسميه الكيس (٤) ، ومن أبرز رجال هذه المدرسة زهير ، ، وكان زهير يصنع الحوليات على وجه التثقيف والتنقيح ، يصنع القصيدة ثم يكرر نظره فيها خوفا من التعقب ، بعد أن يكون قد فرغ من عملها فى ساعة أو ليلة ، وربما رصد أوقات نشاطه فتباطأ عمله لذلك (٥) ، ، وكان يعمل القصيدة فى ستة أشهر ويهذبها فى ستة أشهر ثم يظهرها فتسمى الحوليات (٦) ، ، وعمل سبع قصائد فى سبع سنين وكان يسميها الحوليات (٧) ، وقيل كان ينظمها فى شهر ثم لا يزال يهذبها حتى يمر عليها الحول (٨) ، قال الجاحظ : ومن شعراء العرب من كان يدع القصيدة تمكث عنده حولا كريتا (٩) ، وزمنا طويلا يردد فيها نظره ويقلب فيها رأيه اتهاما لعقله وتتبعا على نفسه وكانوا يسمون تلك القصائد الحوليات والمنقحات والمحكمات والمقلدات (١٠) ، وقال : وكان زهير وهو أحد الثلاثة المتقدمين يسمى كبار قصائده الحوليات (١١) ، ولعل رأى النقاد فى أنه كان يدع القصيدة عنده حولا يهذبها ويقوم ثقافها ويصبغها بصبغة من الصنعة والتنقيح مبالغة فى إطالة نظره فيها وصنعته لها . وقد احتج أصحاب مذهب الصنعة بأن

---

(١) ١١٢ ج ١ العمدة
(٢) ١٧٢ ج ١ المرجع
(٣) ١١٢ و ١٧٤ و ١٧٥ ج ١ العمدة
(٤) ١١٢ ج ١ العمدة
(٥) ١٠٨ ج ١ العمدة
(٦) ١٣٤ صناعتين
(٧) ٢٦٦ سر الفصاحة
(٨) ٣٨ ج ٣ الرافعى
(٩) أى كاملا
(١٠) ٢١ ج ٢ البيان والتبيين
(١١) ١٤٩ ج ١ و ٢٤ ج ٢ البيان و ١٠٥ إعجاز القرآن

امرأ القيس كان يثقف شعره ويعيد فيه نظره ويسقط رديئه ويثبت جيده(١) وكان امرؤ القيس راوية أبى دؤاد الأيادى مع قوة غريزه ، وكان يلوذ به فى شعره ويتوكأ عليه كثيرا (٢) . وقد سار تلامذة زهير على نهج أستاذهم فكان الحطيئة صانعا حاذقا يقوم على شعره وينقحه(٣) ، كان يعمل القصيده فى شهر وينظر فيها ثلاثة أشهر ثم يبرزها (٤) ، وكان يقول خير الشعر الحولى المنقح(٥) أو المحكك(٦) ، ويشبهون طريقة الحطيئة فى الشعر بطريقة زهير (٧) وكان الأصمعى يعيبه من أجل (٨) صنعته ، وكان الحطيئة راوية زهير (٩) ، وكان الفرزدق يروى للحطيئة كثيرا وكان أبو حية النميرى وهو من أحسن الناس شعرا وألطفهم كلاما مؤتما بالفرزدق آخذا عنه كثير التعصب له والرواية عنه (١٠) ، كما كان هدبة بن الخشرم رواية الحطيئة وجميل راوية هدبة وكثير راوية جميل (١١) .

وهكذا استمر هذا المذهب مذهب التثقيف وطول التهذيب منهجا فنيا يسير عليه بعض الشعراء حتى بعد العصر الجاهلى . وكان أساسا لمذهب البديع الذى نشأ على يد مسلم وأبى تمام من المحدثين .

---

(١) ١٧٤ ج ١ العمدة (٢) ١٧٢ ج ١ العمدة

(٣) ٦٠ من التصحيف والتحريف للعسكرى

(٤) ١٣٥ صناعتين (٥) ١٤٩ ج ١ البيان

(٦) ٢٥ ج ٢ ، ١٧٥ ج ١ العمدة ، ويروى ذلك عن زهير (٢٦٦ سر الفصاحة)

(٧) ٢٦٧ سر الفصاحة

(٨) ١٥٠ ج ١ و ٢٥ ج ٢ البيان

(٩) ٧٨ ج ٧ الأغانى

(١٠) ١٧٢ و ١٧٣ ج ١ العمدة ، ٢٩٩ الشعر والشعراء

(١١) ٤٨ ج ٣ الرافعى ، ٣٠٠ الادب الجاهلى ، ١٧٢ ج ١ العمدة وكان كثير راوية جميل ومفضلا له (١٦ ج ٤ العقد)

رواة الشعر الجاهلى (١)

١ — أبو عمرو بن العلاء البصرى م ١٥٤ . ولم يترك مؤلفات (٢)

٢ — حماد الراوية (٧٥ — ١٥٦ هـ) ، كوفى وليس له مؤلفات (٣) .

٣ — الخليل بن أحمد بصرى (١٠٠ — ١٧٤ هـ) ، وهو مخترع علم العروض .

٤ — خلف الأحمر بصرى م ١٨٠ هـ ، وليس له مؤلفات ، ونقل عن السيوطى أنه ألف كتاب « الجبال وما فيها من شعر » ، وله ديوان خاص ، قيل انه صاحب لامية العرب المنسوبة للشنفرى (٤) .

٥ — يونس بن حبيب البصرى م ١٨٢ هـ .

٦ — المفضل الضبى م ١٨٩ هـ ، كوفى ، وهو أقدم من جمع المختار من شعر العرب فى كتاب (المفضليات) . وأول من فسر الشعر بيتا بيتا ، ويقال انه أول من جمع أشعار الجاهليين .

٧ — أبو عبيدة بصرى م ٢٠٩ هـ . وله مؤلفات فى اللغة ، ومجاز القرآن والنقائض .

---

(١) زيادة عن المنهج الدراسى . وقد سبق الكلام على رواية الشعر الجاهلى (ص ١٩٥) وراجع بغية الوعاة ـ طبقات الادباء لابن الانبارى ـ معجم الادباء لياقوت ـ وفيات الاعيان ـ فوات الوفيات ـ الاغانى ـ الفهرست .

(٢) ٤٢ فهرست

(٣) ١٣٤ فهرست . ويقول ابن سلام فيه : وكان أول من جمع أشعار العرب وساق أحاديثها حماد الرواية وكان غير موثوق به (٢٣ طبقات الشعراء)

(٤) ٤ الصناعتين

٨ — الأصمعى البصرى م ٢١٦ هـ ؛ وله مؤلفات فى اللغة ، وكتاب الأصمعيات طبع أوربا ، وكتاب فى الكروم والنخيل .

٩ — محمد بن سلام الجمحى م ٢٣١ هـ . له طبقات الشعراء ، وغريب القرآن (١) .

١٠ — النضر بن شميل م ٢٠٤ هـ .

١١ — مؤرج السدوسى م ١٩٥ هـ .

١٢ — ابن الكلبى هشام بن محمد م ٢٠٤ هـ .

١٣ — الهيثم بن عدى كوفى رواية أديب وله مؤلفات وتوفى سنة ٢٠٦ هـ

١٤ — أبو زيد الأنصارى م ٢١٥ هـ ، ثقة وله مؤلفات .

١٥ — أبو عبيد بن القاسم م ٢٢٣ هـ .

١٦ — ابن الأعرابى م ٢٣١ ، كوفى ثقة ، وله مؤلفات .

---

(١) ١٦٥ فهرست

قدامى الشعر فى العصر الجاهلى (*)

هم كثيرون ، ومن أشهرهم :

١ — دويد بن زيد (١) بن نهد وله أبيات تروى قالها حين حضرته الوفاة

٢ — الأفوه الأودى(٢) ، ويزعم البعض أنه أول من قصد القصيد

٣ — عمرو بن قميئة صاحب امرىء القيس(٣)

٤ — تأبط شرا

٥ — الحارث بن همام بن مرة (٤)

٦ — قيس بن زهير العبسى (٥)

٧ — ثعلبة المازنى (٦)

٨ — الشنفرى توفى ٥١٠ م (٧)

٩ — زهير بن جناب الكلبى م ٥٠٠ هـ (٨)

(*) زيادة على المنهج الدراسى لمقرر

(١) ٢٠ من المعمرين - ١١٤ المؤتلف - ١٥٨ ج ١ البيان

(٢) ٤١ ج ١١ الاغانى - ٤٢ ج ١ الخزانة - ١٥٠ ج ٢ معاهد التنصيص - ١١٤ ج ١ زيدان - حماسة البحترى - ٢٢٤ و ٢٢٨ ج ٢ الامالى

(٣) ٨٩ المعمرين - ٣٥ ج ١ أمالى المرتضى - الاغانى - ص ١٠ ج ١ الحماسة

(٤) الكامل - ٣٨ ج ١ الحماسة - ١٠٥ و ١٠٧ ج ١ الامالى

(٥) الاغانى - الخزانة - الامالى - الحماسة . وهو جد مساور ابن هند بن قيس بن زهير من المخضرمين

(٦) ٥١ المفضليات - شرح أمالى القالى للبكرى - ٢٩٧ ج ٢ الحيوان للجاحظ

(٧) المفضليات - ذيل الامالى - ٨٣ ج ٢١ الاغانى - ١٦ ج ٢ الخزانة و ١٨٧ ج ١ أيضا - ١١٩ ج ١ الميدانى و ٩٠ ج ٢ أيضا

(٨) المعمرين - ١٣٠ المرزبانى - الحماسة - ١٥٨ ج ١ زيدان

١٠ — الشداخ الكنانى (١)

١١ — يزيد بن خذاق العبدى ، جاهلى قديم ، وأول من ذم الدنيا بشعره وأول من رثى نفسه قبل موته بقصيدته التى أولها « هل للفتى من بنات الدهر من واق » (٢)

١٢ — جابر بن حنى التغلبى (٣)

١٣ — الصمة القشيرى (٤)

١٤ — الصمة الأصغر والد دريد بن الصمة (٥)

١٥ — ابن جذل الطعان (٦)

١٦ — المتلمس اليشكرى (٧)

١٧ — المسيب بن علس (٨)

١٨ — أبو دؤاد الأيادى توفى عام ٥٢٠ م وكان امرؤ القيس راوية له

١٩ — لقيط الأيادى (٩)

٢٠ — الفند الزمانى توفى عام ٥٣٠ م

٢١ — شهل بن شيبان (١٠)

---

(١) ٥٩ ج ١ الحماسة

(٢) ١٥٨ ج ٢ العقد - ٨٠ ج ٢ الامالى و ٢٠٩ و ٢٥٦ - المفضليات

(٣) الحماسة - ١٩١ شواهد السيوطى على المغنى

(٤) ١٢٤ مؤتلف - الاغانى من ترجمة دريد بن الصمة

(٥) ١٢٤ المؤتلف

(٦) أديان العرب - الامالى الجزء الأول

(٧) ١٢٠ ج ٢١ الاغانى - ٧٣ ج ٣ الخزانة و ٢٧ و ٣٥٠ و ٣٦٤ و ٤١٥ ج ١ الخزانة - ٢٧٠ الميدانى - ١٠٢ ج ٢ الحماسة - الشعر والشعراء

(٨) ٢٢٦ ج ٤ الخزانة و ٥٤٥ ج ١ - ابن سلام - الاغانى - الشعر والشعراء

(٩) مختارات ابن الشجرى - الاغانى

(١٠) الحماسة - ٥٧ ج ٢ الخزانة - ١٤٣ ج ٢٠ الاغانى

٢٢ — الاضبط بن قريع (١)

٢٣ — المرقش الأكبر (٢)

٢٤ — « الأصغر (٣) وتوفى نحو عام ٥٠٠ م

٢٥ — قيس بن الحدادية(٤)

ومنهم : أعصر بن سعد بن قيس عيلان ، والمستوغر بن ربيعة بن كعب ابن سعد ، وابن خذام وهو رجل من طيء ورد ذكره فى شعر امرىء القيس

---

(١) ٨٠ المعمرين - ١٥٤ ج ١٦ الاغانى - ٣٣٤ ج ٤ الخزانة .

(٢) ١٧٩ ج ٥ الاغانى ، ٥١٥ ج ٣ الخزانة - الشعر والشعراء - المرزبانى - المفضليات

(٣) للمرزبانى - الاغانى - الخزانة

(٤) ٣٢٥ المرزبانى

الشعراء الجاهليون*

— ١ —

ونحن لا يعنينا هنا إلا أن نسجل بعض أسماء الشعراء المجهولين المنسيين وهم :

الأخنس بن شهاب التغلبي(١)

أحيحة بن الجلاح (٢)

أربد بن قيس أخو لبيد لأمه (٣)

أسامة بن الحارث الهذلي وله أحسن طائية قالتها العرب(٤)

الأسعر الجعفي واسمه مرثد بن حُمران (٥)

الأسود بن يعفر النهشلي (٦)

(*) زيادة على المنهج الدراسي

(١) ١٦٧ - ١٦٩ ج ٣ الخزانة - المفضليات - الحماسة - ٩٩ ج ٢ الامالي - ٢٧ المؤتلف

(٢) الاغاني : ١٦١ ج ٢ - ١٢٢ ، ٢٣ ج ٢ الخزانة ، ٣٦ و ٣٢١ و ٣٢٦ ج ٣ الخزانة (طبعة جديدة)

(٣) ١٣٠ و ١٣١ ج ١٥ الاغاني - ٢٥ و ١٣٢ و ٢١٠ المؤتلف - ٧١ ج ٣ الخزانة (طبعة جديدة)

(٤) ٦٣ ج ٣ العيني - ١٨ و ١٤٥ ج ١ الامالي

(٥) ١٣٧ ج ٢ الخزانة - ٢٥ و ٤٧ و ١٣٢ و ١٤١ و ٢١٠ مؤتلف - ١٢١ و ١٨٥ ج ١ الامالي

(٦) ١٩٥ ج ١ الخزانة - ٣٦٦ ج ١ الخزانة (جديد) - ١٢٨ ج ١١ الاغاني - ١٨٨ شرح شواهد المغني للسيوطي - ١٢٦ ج ١ الامالي - المفضليات - ٣٤ ج ٢ الخزانة - ٣٥ و ٣٤٩ ج ٣ الخزانة (جديد) - ١٦ و ٨٢ المؤتلف - ٥٢٥ ج ٤ الخزانة

الأشعر الرقبان الأسدى ، واسمه عمرو بن حارثة ، هجاء (١)

الأضبط بن قريع التميمى (٢)

أبى بن حمام العبسى (٣)

أفنون التغلبى (٤)

الأفوه الأودى (٥)

أدهم بن أبى الزعراء الطائى (٦)

أوس بن دنى اليهودى القرظى (٧)

إياس بن قبيصة الطائى (٨)

أوفى بن مطر المازنى : عداء (٩)

أهبان بن خالد بن نضلة الفقعسى (١٠)

---

(١) ٤٧ و١٢٣ و ٢١٠ المؤتلف - ٢١٤ ج ٢ الامالى - ١٨٦ و٢٣٤ و ٢٥٦ ج ٢ الميدانى

(٢) ١٥٤ ج ١٦ الاغانى - المعمرين - الشعر والشعراء - ١٠٧ ج ١ الامالى - ١٦٩ ج ٣ البيان - ١٨٧ ج ١ معجم البلدان - ٥٨٩ ج ٤ الخزانة - ٤٣٤ ج ٤ العينى

(٣) ٩١ مؤتلف - ١٥٦ و١٥٧ و١٧٣ ج ١ الحماسة

(٤) ٤٥١ و ٤٥٦ ج ٤ الخزانة - ٥٣ شرح شواهد المغنى للسيوطى - ١٥٤ ج ٢ الامالى - ١٥١ المؤتلف

(٥) ٤١ ج ١١ الاغانى - ٤٢١ ج ١ العينى - ١٥٠ ج ٢ معاهد التنصيص - ١٢٤ ج ١ الامالى و ٢٢٤ و ٢٢٨ ج ٢ منه

(٦) ٣١ مؤتلف - ٢٠٣ ج ٢ الحماسه

(٧) ٩٤ - ٩٧ ج ١٩ الاغانى

(٨) ١٣٤ ج ٢٠ الاغانى - ٦٦ و ٢٤١ و ٢٤٦ و ٤٢٤ ج ١ حماسة

(٩) ٣١٥ ج ٣ الخزانة - ٤٦٨ مرزبانى (معجم الشعراء)

(١٠) ٣٠ مؤتلف

إياس بن الأرت الطائى(١)

باعث بن صريم اليشكرى(٢)

البرج بن جلاس صاحب الحصين بن الحمام المرى(٣)

البرج بن مسهر الطائى(٤)

بجير بن عنمة الطائى(٥)

بجير بن عبدالله بن سلمة القشيرى (٦)

بسطام بن قيس الشيبانى (٧)

بشامة بن حزن النهشلى (٨)

بشامة بن الغدير الذبيانى ، خال زهير بن أبى سلمى(٩)

بشر بن أبى خازم الأسدى(١٠)

---

(١) ٤٢٣ ج ١ حماسة - ٨٩ و٢٠٢ و٣١٧ ج ٢ الحماسة .

(٢) ١٧ ج ٣ الخزانة - ٢٢٥ معجم الشعراء المرزبانى - ٧٣ ج ٣ العقد - ٢٠٢ ج ٢ الأمالى - ١٣٦ و ١٣٧ ج ٢٠ الأغانى

(٣) ١٢١ و١٢٢ ج ١٢ الأغانى

(٤) ٦١ المؤتلف - ٨٦ و ٣٥٠ ج ٢ الحماسة - ١٣٥ و ٢٤٤ ج ١ الحماسة

(٥) ٥٨ مؤتلف

(٦) ٥٩ مؤتلف - شرح نهج البلاغة ج ٣

(٧) ٧١ ج ٧ الأغانى - ١٠٦ ج ١٧ الأغانى - ٦٤ المؤتلف - العمدة ج ١ - ابن الأثير ج ١

(٨) ٦٦ مؤتلف - ٥١٠ و ٥١٥ ج ٣ الخزانة - ٣٧٠ ج ٣ العينى - ١٤٩ و ٢٥ ج ١ الحماسة

(٩) ١٤٩ ج ٩ الأغانى - ٦٦ و ١٦٣ المؤتلف - المفضليات - الشعر والشعراء لابن قتيبة - طبقات الشعراء لابن سلام

(١٠) ٢٦٢ ج ٢ الخزانة - ٣٧ ج ٣ الخزانة (جديد) - ٣١٦ ج ٤ الخزانة - ٢٩٧ ج ٣ الخزانة - ٣٣٦ ج ٤ الخزانة - ٤٧ ج ١ الحماسة - ٥٩ و ٨٦ الموشح =

بلعاء بن قيس الكنانى (١)

أبى بن حمام العبسى (٢)

أدهم بن أبى الزعراء الطائى (٣)

أسد بن ناعصة التنوخى ، وهو نصرانى قديم (٤)

أميمة بنت عبد شمس بن عبد مناف (٥)

أنيف بن زبان الطائى (٦)

ثأبط شرا (٧) ، واسمه ثابت بن جابر

توبة بن مضرس التميمى (٨)

ثعلبة بن صعير المازنى (٩)

= المفضليات - الجمهرة - مختارات ابن الشجرى - ١٥٧ ج ٩ الأغانى - ١٣٧ ج ١٣ و ٨٣ ج ١٥ و ٩٤ ج ١٦ و ٧٦ ج ١٩ الأغانى - ٦٠ و ٢٢٢ المرزبانى (معجم الشعراء) - الشعر والشعراء - ٣٦٧ ج ٣ العقد - ٢٨٨ ج ٢ الحماسة - ٦١ و ٢٥٥ ج ١ الامالى - ٣٤ و ٢١٣ و ٢٣٣ و ٣١٢ ج ٢ الامالى

(١) ١٣٠ ج ١٣ و ٧٧ و ٨٠ ج ١٩ الأغانى - ١٠٦ و ٣٥٧ المؤتلف - ٢٠٢ ج ٢ البيان - ١٣ و ١٨٩ ج ١ الحماسة و ٢٨٨ ج ٢ الحماسة

(٢) ٩١ مؤتلف - ١٦٦ حماسة البحترى

(٣) ٣١ المؤتلف

(٤) ١٩٤ و ٢٠٩ المرزبانى

(٥) ٨٢ ج ١٩ الأغانى

(٦) ٤٧ ج ١ الحماسة

(٧) ٨١ ج ٤ أمالى المرتضى - ٢٩ نقد الشعر - ١٥٨ ج ٣ المرتضى - العقد - ٢٠٨ إلى ٢١٨ ج ١٨ الاغانى - ١٤٠ ج ١ و ١٣٩ ج ٢ الامالى - ٦٢ الشعر والشعراء - ٣٥٧ و ٥٤٢ ج ٣ الخزانة

(٨) ٦٨ المؤتلف - ٢٨ ج ٢ الامالى

(٩) المفضليات - ١٤٧ ج ٢ الامالى - ١٠٧ المؤتلف - ٢٠٨ ج ١ الاصابة

جابر بن حريش الطائى (١)

جابر بن حنى التغلبي (٢)صاحب امرىء القيس

جارية ابن مر (أبو حنبل الطائى) (٣)

جحدر بن ضبيعة (٤)

جذع بن سنان الغسانى (٥) شاعر قديم

جساس بن مرة (٦)

جليلة بنت مرة أخت جساس(٧)

الجميح الأسدى (منقذ بن الطماح)(٨)

جؤية بن النضر الجرمى(٩)

البراض بن قيس الكنانى(١٠)

ثواب بن النار اليشكرى(١١)

---

(١) ٢٣٢ ج ١ الحماسة

(٢) ٢٠٧ المرزبانى - ١٩١ شرح شواهد المغنى للسيوطى

(٣) ٩٩ مؤتلف - ١٠٧ ج ١ الحماسة

(٤) ١٩٥ ج ١ الحماسة و ١٤٢ - ١٤٧ج٤ الاغانى

(٥) ٧ ج ٣ الخزانة

(٦) ١٣٩ - ١٥٠ ج ٤ الأغانى

(٧) ٤٨٩ معجم الشعراء - ١٤٠ و ١٤٩ ج ٤ الاغانى

(٨) ٢٩٦ ج ٤ الخزانة - المفضليات - ٩ ج ١ الامالى -٢٦٣ ج ٢ الامالى - ٤٠٣ معجم الشعراء

(٩) ١٨٠ ج ٣ الاغانى - ٣٤٤ ج ٢ الحماسة - معاهد التنصيص

(١٠) ١٠ و ١٥ و ٨٠ و ٧٥ ج ١٩ الاغانى - ٢٩٥ ج ٦ معجم البلدان - تاريخ ابن الاثير ج ١

(١١) ٧٠ مؤتلف

حاتم الطائى[١]

حاجز بن عوف الأزدى[٢]

الحادرة أو الحويدرة الذبيانى (قطن بن أوس)[٣]

الحارث بن حلزة اليشكرى[٤]

الحارث بن زهير بن جذيمة العبسى[٥]

الحارث بن ظالم المرى[٦]

---

(١) ٢٥ مؤتلف - ٢٨٦ و ٣٠٩ و ٣٣٢ و ٣٣٣ و ٣٧٤ ج ٢ الحماسة - ٨٤ ج ٢ و ٤٧ ج ٥ و ٨٠ ج ٦ و ١٢٦ و ١٤٥ و ١٤٦ ج ٧ و ١٢١ ج ١٠ و ٢٧ ج ١١ و ١٥٩ ج ١٢ و ٢٠ و ٤٦ و ٩٢ إلى ١٠٩ و ١٢١ ج ١٦ و ١٢٨ و ١٥٩ ج ١٩ الاغانى - ١٣٧٠ ج ١ العينى - ١٤٩ ج ٤ و ١٦٣ ج ٢ الخزانة - ١٤٦ ج ١ العقد - ٢٧٧ ج ١ و ٦٤ و ٢٢ و ١١١ و ١٥٤ ج ٣ و ١٧١ ج ٢ الامالى - ٣٩٤ ج ١ الخزانة - ٧٥ شرح شواهد المغنى - ٣٣٣ ج ١ معجم البلدان - ٢٣٨ ج ٦ و ٣٢٦ و ٣٥٠ ج ٧ المرجع - ٢٧ ج ١ و ١٧٥ ج ٣ البيان - الشعر والشعراء - بلوغ الارب - العرب وأطوارهم لعبد الجواد الاصمعى

(٢) ٧٧ ج ٢ و ٤٧ إلى ٥١ ج ١٢ و ٢١٨ ج ١٨ الاغانى

(٣) ٧٩ - ٨١ ج ٣ الاغانى و ٨٢ نقد الشعر - ٢٦١ ج ٧ معجم البلدان - ١٨١ ج ١ البيان

(٤) ٧٧ و ٢٣٣ الموشح - ١٧٤ ج ١ و ٧٧ ج ١ العقد - ٩٠ و ٢٠٣ و ٣٠٢ المؤتلف - الشعر والشعراء - ١٥٣ ج ٥ و ١٤١ و ١٤٢ و ١٧١ إلى ١٧٤ ج ٩ الاغانى - ١٢٢ و ١٦٢ و ٣٧٩ ج ٣ الخزانة (جديد) - ١٤٩ و ١٥١ و ٢٢٨ و ٢٩٥ ج ٢ و ٢٩٥ ج ١ و ١٣٦ ج ٤ الخزانة - ٢٩٤ ج ٢ الحماسة - ٣٦٧ ج ٣ العقد - ١٦٧ ج ١١ الاغانى - ٦٩ ج ٤ شرح الكامل - للفضليات - ٤٥ و ٨٩ ج ٢ و ٣ و ١٧٤ ج ٣ البيان - وطبع ديوانه بيروت عام ١٩٢٢

(٥) ٨ - ١٥ ج ١ و ٣١ و ٣٤ ج ١٦ الاغانى - ١٥٠ ج ٢ الاصابه

(٦) ١٨٥ ج ٣ الخزانة - ٥٢ و ٥٣ ج ٣ العقد - ٩٩ ج ١٩ و ٢٢ ج ٢٠ الاغانى - بلوغ الارب - ٢٥٩ ج ٥ شرح الكامل - ١٤٣ و ٣١٩ ج ١ الحماسة

الحارث بن عباد البكرى(١)

الحارث بن همام الشيبانى(٢)

الحارث بن وعلة الجرمى(٣)

حبيبة بنت عبد العزى الثعلبية الذبيانية(٤)

حجر بن خالد البكرى(٥)

حجل بن نضلة الباهلى(٦) — صاحب البيت « جاء شقيق عارضا رمحه »

حرملة بن حكيم الغسانى(٧)

الحصين بن الحمام المرى(٨)

---

(١) ١٤٢ - ١٤٩ ج ٤ الاغانى . ٢١٩ ج ٥ الكامل . ١٠٤ الموشح - ١٤٢ و ٤٢٥ ج ١ الخزانة (جديد) و ٢٢٦ ج ١ الخزانة

(٢) ٢٠٨ مرزبانى - ٣٨ ج ١ الحماسة و ٩١ إلى ٩٣ ج ٥ الاغانى و ٢٨ ج ١٦ الاغانى

(٣) ١٩٦ و ٢٤٣ المؤتلف . ٧٩ و ٨٠ ج ٣ العقد . ١٣٩ إلى ١٤١ ج ١٦ و ٧١ إلى ٧٦ ج ١٥ و ١٣٢ ج ٢٠ الاغانى و ٢٦٤ شرح شواهد المغنى - ٢٢٦ ج ١ و ١٢٤ ج ٢ الامالى . ١٠ ج ٨ طبرى . ١٧٥ ج ٥ الكامل - ٣١٦ ج ١ معجم البلدان و ٣٩٢ و ٤٤٤ ج ٢ المرجع و ٢١٣ ج ٣ المرجع و ٩٣ و ٣٦٢ ج ٦ المرجع - المفضليات

(٤) ٩٦ المؤتلف - ٣٠ ج ١٦ الاغانى و ٢٩١ ج ٢ الحماسة

(٥) ١٣١ و ١٩٧ و ١٩٩ ج ١ الحماسة و ٢٩٤ ج ٢ الحماسة

(٦) ج ١ معاهد التنصيص . ١٣٨ ج ٤ الاغانى و ٢٢١ ج ٣ الاصابة و ٨٢ مؤتلف و ١٥٨ ج ٢ الخزانة و ١٩٢ ج ٣

(٧) ١٢٧ المؤتلف و ٢٣٠ ج ٤ الخزانة

(٨) ١٨ ج ٢ الاصابة و ٨٧ و ٩١ و ٤٧٢ مرزبانى . ١٢٢ ج ١٠ الاغانى و ١٨٧ ج ١١ و ٨٧ - ٨٩ ج ١١ و ١١٨ - ١٢٤ ج ١٢ الاغانى و ١٤٣ و ١٤٥ ج ١ الحماسة ٢٩٠ و ٢٩٤ ، ٢٩٦ و ٢٩٨ ج ١ خزانة (جديد) - ٣٥٤ ج ٣ الخزانة و ٢٩٩ ج ١ معجم البلدان و ١٩ ج ٣ و ٥٢ ج ٤ و ٢٦٧ ج ٥ معجم و ٦٠ ج ١ الحماسة

حضير الكتائب الأشهلى (ابن سماك)(١) ، وابنه أسيد بن حضير من جلة الصحابة وتوفى عام ٢٠ هـ ، وكذلك هند بنت حضير

حطائط بن يعفر النهشلى أخو الأسود بن يعفر (أعشى بنى تميم) ، وهو القائل : أرينى جوادا مات هزلا لعلنى أرى ما ترين أو بخيلا مخلدا(٢)

حنظلة بن أبى عفراء — نصرانى(٣)

خارجة بن سعد بن جديلة الطائى(٤)

خارج بن جعفر بن كلاب(٥)

خداش بن زهير العامرى(٦)

خراشة بن عمر العبسى(٧)

ذو الخرق الطهوى (خليفة بن حمل)(٨)

خرنق بنت هفان القيسية(٩)

الخنساء بنت أبى سلمى أخت زهير(١٠)

---

(١) ١٥٦ و ١٥٩ ج ١٥ الأغانى . بلوغ الأرب - ج١ ابن الاثير

(٢) ١٣٣ ج ١١ الأغانى - ٣٤٢ ج ١١ الحماسة

(٣) ٩٨ ج ٩ الأغانى - ٧٨ و ٨٨ ج ١٩ الأغانى

(٤) ٦١ مؤتلف - ١٣٥ و ٢٤٤ ج ٢ الحماسة

(٥) الاغانى - ١٥٢ ج ١ المرتضى - ٤٩ ج ٣ العقد

(٦) الاغانى — الجمهرة — الشعر والشعراء - ١٦٨ ج ٢ الامالى - ٧٣ و ١٠٧ المؤتلف - ٢٥٢ و ٢٥٥ ج ٣ البيان - ٥٠٤ ج ٢ الخزانة - ٥٧ و ٨٨ و ٨٩ ج ٣ العقد - ١٠ ج ١ الحيوان — ٥٧ ج ٤ خزانة جديد — ١٤٨ ج ٢ الاصابة — ١٠٢ و ٢٦٣ و ٤٥٧ ج ٣ و ٢٩٥ ج ٥ و ١٩٠ ج ٧ و ٣٧٩ ج ٨ معجم البلدان

(٧) ٥٧ ج ٣ العقد - ١٧٧ ج ٣ معجم البلدان

(٨) ٢٠ ج ١ و ٥٠ ج ١ خزانة - ١٠٩ و ١١٩ و ١٢١ ج ٢ الامالى

(٩) ٣٠٦ ج ٢ الخزانة - ٦٠٢ ج ١ العينى - ١٦٠ ج ٢ الامالى و ١٤٦ ج ١ المرتضى و ١٥٨ ج ٦ كامل و ١٤١ ج ٧ معجم البلدان . وطبع ديوانها ببيروت سنة ١٨٩٩ (١٠) ١١٠ المؤتلف و ١٥٠ ج ٩ الاغانى

خزيمة بن نهد من قضاعة شاعر قديم(١)

ربيعة بن مقروم من ضبة(٢)

سويد بن أبي كاهل اليشكرى(٣)

عدى بن زيد العبادى(٤) من أصحاب المجمهرات

« « نوفل من قريش(٥) شاعر مقل

عمرو بن براق شاعر قديم(٦)

« « قميئة(٧) من ربيعة

لقيط بن معمر الأيادى شاعر جاهلى قديم(٨)

الممزق العبدى(٩) م ٤٨٠ م وهو شاعر قديم

النمر بن تولب من أصحاب المجمهرات(١٠)

---

(١) ١٥٩ ج ١١ الاغانى

(٢) ٩٠ ج ١٩ الاغانى والشعر والشعراء و٥٦٦ ج ٣ الخزانة

(٣) ١٧١ ج ١١ الاغانى . الشعر والشعراء

(٤) ١٨ ج ٢ الاغانى والشعر والشعراء والجمهرة

(٥) ١٣٥ ج ١٣ الاغانى

(٦) ١٣٠ ج ٢١ الاغانى

(٧) ١٦٣ ج ١٦ الاغانى و ٢٤٩ ج ٢ الخزانة ، الشعر والشعراء

(٨) ٢٦ ج ١٥ الاغانى ، ٢٠٠ ج ١ الخزانة

(٩) الشعر والشعراء

(١٠) ١٥٧ ج ١٩ الاغانى ، الشعر والشعراء ، الجمهرة

شعراء الحماسة الجاهليون

الفند الزمانى : جاهلى ، شهد حرب البسوس

بلعاء بن قيس الكنانى : جاهلى شهد الفجار الثانى

تأبط شرا : جاهلى — وكان أبو كبير الهذلى الصحابى زوج أم تأبط شرا

السموأل — جاهلى

علقمة بن شيبان

سلمة بن ذهل

معدان الكندى

سيار بن قصير : جاهلى

رويشد الطائى

أنيف بن زبان

قيس بن الخطيم : جاهلى أدرك النبى

الحارث بن همام الشيبانى

عامر بن الطفيل ، وفد على رسول الله

الحارث بن هشام توفى سنة ١٥ هـ ، وهو أخو أبى جهل ، وفر فى غزوة بدر

الغرار السلمى مخضرم

الشداخ الكنانى : جاهلى قديم

الحصين بن الحمام المرى

قيس بن زهير العبسى

الحارث بن وعلة الجرمى

إياس بن قبيصة الطائى

عمرو بن معدى كرب

كبشة أخت عمرو بن معد يكرب

سبرة بن عمرو الفقعسى
عمرو بن مسعود
طفيل الغنوى
حيان بن ربيعة الطائى
أبو حنبل الطائى
يزيد بن حمار
جساس بن نشبة
هلال بن رزين
حجر بن خالد
البرج بن مسهر : جاهلى قديم
طرفة الخزيمى
عنترة
عبد الشارق الجهنى
عمرو بن كلثوم
الربيع بن زياد العبسى
سعد بن مالك (جد طرفة)
شماس الطهوى
المنخل اليشكرى
الفضل بن الأخضر
جابر بن حريش
الوقاد بن المنذر
حسيل الضى
عامر بن شقيق
باعث اليشكرى

أبى بن سلمى
بغثر الأسدى
الأخنس بن شهاب
قتادة الحنفى
عمرو بن شقيق
أم السليك بن السلكة
قسامة
المسجاح
لبيد
أم قيس
عصام الزمانى
حاتم
حجية
جران العود
نضر بن قيس
قراد
عارق الطائى
العريان
عمرو بن الأطنابة
حطائط
حكيم الضبى
رشيد بن رميض
المثلم بن رياح
أبى العبسى

عروة بن الورد
بشر بن أبى العبسى
المثلم التنوخى
الشنفرى
جحدر بن ضبعة
حجر بن خالد
الأخرم السنبسى
سنان بن الفحل
زيد الفوارس
شمعلة بن الأخضر
محرز الضبى
أبو ثمامة الضبى
سليمى بن ربيعة
المتلمس خال طرفة
مجمع بن هلال
عبد القيس البرجمى
النابغة الذبيانى

حفص الكنانى
مهلهل
مسافع
أبو صعترة
مية الضبية
صخر أخو الخنساء
عمرو بن فميئة
مالك بن حريم
مضرس بن ربعى
ورد الجعدى
ابن عجلان النهدى
طرفة
يزيد الطائى
جثامة
المثلم المرى
شريح

الشعراء المتألهون

وهم كما يأتى :

قس بن ساعدة الأيادى — زيد بن عمرو بن نفيل — رباب بن رباب — سويد بن عامر المصطلقى — أسعد بن كرب الحميرى — عدى بن زيد — وكيع بن سلمة الأيادى — عمير بن جندب الجهنى — ورقاء بن نوفل — أبو قيس صرمه بن أبى أنس — عامر بن الظرب العدوانى — عبد الطابخة بن ثعلب — علاف بن شهاب التميمى.

الشعر الجاهلى بين الرجز والقصيد(*)

١ — علمت أن الجاهليين سبقوا فقالوا النثر فى جمل صغيرة ، كما نرى فى الأمثال العربية ؛ ثم صاروا يوازنون كل جملة من النثر بالأخرى حتى توصلوا رويدا رويدا إلى نظم البيت أو البيتين . وكان الشاعر فى تلك الأبيات يعبر عن الاحساسات التى كان يشعر بها كالحب والغضب والحماسة وغـــير ذلك وكانوا يستعملون فى ذلك الشعر بحر الرجز لسهولته وخفته ، ويسمون القطعة منها أرجوزة والجمع أراجيز ؛ وبعد ذلك صاروا يرتجلون منه أكثر من بيتين ، ويعبرون بها عن إحساساتهم النفسية ويصفون الوقائع الحربيـة والخيل والإبل والصحراء وغير ذلك مما يقع تحت نظرهم ، وصاروا يستعملون عدا الرجز أوزاناً أخرى منها الطويل والكامل والوافر وغيرها من البحور ويصف الأغلب العجلى (١) الذى عاش قبل الرسول فى أراجيزه محبوبتـه ويذكر آثار حبها ويتأسف على ما مضى من شبابه . ونرى فى آخر الجيـل الخامس أشعارا فى أرق نظم وأدق لفظ وأوسع معنى وأبدع صورة تدعى قصائد والواحدة قصيدة ، ويقال كما علمت ان أول من قال قصيدة هو المهلهل ابن ربيعة من بنى تغلب قالها فى قتل أخيه ، وذهبوا إلى أن الفرق بين الأشعار المرتجـلة والقصائد هو أن الشعر المرتجل يعـبر الشاعر فيه عن إحساساته النفسانية حالما ينفعل من شىء ويقول الشعر بدون تحضير وأكثر مايكون

---

* زيادة على المنهج وقد سبق الكلام على الرجز فى العصر الجاهلى فى ص ١٩٧

(١) والعجاج أول من أطال الرجز وكان الشاعر قبل ذلك يقول البيتين والثلاثة ، فهو فى الرجاز كامرىء القيس فى الشعراء ، وهذا قول أبى عبيدة ، وقال غيره : أول من طول شعر الرجز الاغلب وهو قديم وزعم آخرون أنه أول من رجز وكان على عهد رسول الله (ص ٣٠١ المزهر ج ٢)

الشعر المرتجل من بحر الرجز ولا تتجاوز القطعة منه العشرة الابيات وقيل بل السبعة ، والقصائد ترد من جميع الابحر ولا تسمى قصيدة الا اذا زادت عن السبعة الأبيات وكان نظمها مقصودا وقلما تقال مرتجلة بل ان أكثر الشعراء كانوا ينقحونها قبل انشادها

وكانت القصائد تبتدىء بالغزل ويلم الشاعر فيها بأغراض كثيرة ، قال ابن قتيبة :

وسمعت بعض أهل العلم يقول إن مقصد القصائد إنما ابتدأ فيها بذكر الديار والدمن والآثار ، فشكا وبكى ، وخاطب الربع واستوقف الرفيق ، ليجعل ذلك سببا لذكر أهلها الظاعنين عنها ، إذ كان نازلة العمد فى الحلول والظعن على خلاف ما عليه نازلة المدر ، لانتجاعهم الكلأ ، وانتقالهم من ماء إلى ماء ، وتتبعهم مساقط الغيث حيث كان ، ثم وصل لك بالنسيب فشكا شدة الشوق وألم الوجد والفراق وفرط الصبابة ليميل نحوه القلوب ويصرف إليه الوجوه ، ويستدعى به إصغاء الأسماع إليه ، لأن النسيب قريب من النفوس ، لائط بالقلوب ، لما قد جعل الله فى تركيب العباد من محبة الغزل وإلف النساء ، فليس يكاد يخلو أحد من أن يكون متعلقا منه بسبب ، وضاربا فيه بسهم . فإذا علم أنه قد استوثق من الاصغاء إليه . والاستماع له عقب بإيجاب الحقوق ، فرحل فى شعره ، وشكا التعب والسهر وسرى الليل وإنضاء الراحلة والبعير ، فإذا علم أنه قد أوجب على صاحبه حق الرجاء وزمام التأميل ، وقرر عنده ما ناله من المكاره فى المسير ، بدأ فى المديح ، فبعثه على المكافآت ، وهزه على السماح . . فالشاعر المجيد من سلك هذه الأساليب وعدل بين هذه الأقسام (١) .

وهكذا يفهم النقاد القدامى النهج الفنى للقصيدة أو وحدة القصيدة عند الشعراء الجاهليين

---

(١) ١٤ و ١٥ الشعر والشعراء لابن قتيبة و ١٩٣٢

والقصائد الجاهلية كثيرة بكثرة الشعراء أنفسهم ؛ ويعد الباحثون أكثر من مائتى شاعر عاشوا فى الجاهلية عدا من ضاع ذكرهم ونسيت أشعارهم ، ولكن لم يصل إلينا من أشعار هؤلاء إلا القليل ، لأن جمع الشعر الجاهلى وتدوينه لم يبدأ إلا بعد سنة ١٥٠ هـ ، وأول مجموعة من مجموعات الشعر الجاهلى وصلت إلينا هى المفضليات .

ومن غير شك أن النهج الذى ذكره ابن قتيبة هو نهج أغلب القصائد الجاهلية ، وقلما تجد قصيدة فى موضوع واحد ، ومما شذ عن ذلك قصيدة تأبط شرا :

إن بالشعب الذى دون سلع لقتيلا دمه ما يطل(١)

وبعض قصائد أخرى قليلة نادرة .

٣ — ومن الشعراء الذين جمعوا بين الرجز والقصيد : امرؤ القيس ، وطرفة ، ولبيد ، أما زهير والنابغة والأعشى فليس لهم من الرجز شىء (٢)

ويقول الأغلب الراجز :

أرجزا سألت أم قصيدا لقد سألت هينا موجودا

---

(١) ويسميها بعضهم « نشيد الانتقام » ونقلها إلى الألمانية جوته الشاعر ونقلت إلى الفرنسية والانجليزية والايطالية مرارا

(٢) ٢٥٩ ج ٣ البيان والتبيين

الشعر الجاهلى

فى موازين النقد

— ١ —

وقد قامت معارك أدبية كثيرة بين خصوم وأنصار الشعر الجاهلى تكشف لنا عن جوانب الحق ، ومناحى الجمال فى الشعر الجاهلى . ولذلك رأيت أن أشير إليها هنا فى إيجاز .

— ٢ —

ينقد كثير من النقاد الشعر الجاهلى ويعيبه ، لأنه « مضطرب الفكرة مفكك المعانى ، ليست معانيه متصلة بعضها ببعض .

وهذا نقد غريب ، فليس كل الشعر الجاهلى مضطرب الفكرة مفكك المعانى . وليس ما فيه من تناثر الأغراض الشعرية اضطرابا فى الفكرة وتفكيكا للمعانى ؛ إنما هى مظاهر الصحراء وألوان الحياة والشعور وضعها الشاعر الجاهلى وصورها فى قصائده .

ثم فيم الفرق إذا بين الاسلوب الفنى والاسلوب العلمى . وحقائق المنطق ، إن الشعر فن قبل أن يكون فلسفة ، وقديما حاول كثيرون إخضاع الشعر للمنطق والفلسفة فأبى الشعر ، وأنف أن يقيد بقيود ثقيلة بعد أن عاش حرا طليقا يحلق هو وسواه من ألوان الفنون فى أجواء الحرية والجمال .

ويقول البحترى :

كلفتمونا حدود منطقكم فى الشعر ، يغنى عن صدقه كذبه

ويقول جميل صدقى الزهاوى (١) :

---

* زيادة عن المنهج الدراسى المقرر

(١) من مقال له نشر بالسياسة الاسبوعية ١٩٢٧

وهناك شيء يستحبه الذين تشبعت ادمغتهم بالادب الغربى هو وجوب أن تكون القصيدة الواحدة خاصة بفكرة واحدة أو وصفا لشيء واحد من غير خروج الى غير الموضوع ولو كان فى فصل منعزل عن الاول . وهذا ليس من الشعر فى أصله بل هو تابع الأذواق ولطريقة الشاعر فى شعره ولا ينوع الشاعر المبرز فى العربية الموضوع فى كل قصيدة فكثيرا مايحصر شعره فى القصيدة الواحدة فى موضوع واحد واذا نوع الموضوع فهو يتسلل إلى الثانى بمناسبة وبعد فصله عن الاول مريدا بذلك أن تكون قصيدته كالروضة الغناء محتوية على مختلف الأزهار .

وهذا أقرب الى الطبيعة وليس فيه ما يؤخذ عليه غير كونه ينافى مايفعله شعراء الغرب . ولكل أمه سياق ونزعة ليست لاختها .

واعتقد أن الكتاب الذين يزرون بشعر شعرائنا على الاطلاق لو اتيح لهم أن يكونوا شعراء لما خرجوا كثيرا عن النهج الذى يمشى عليه المبرزون من هؤلاء . والسبب هو ما قدمته من اختلاف ألوان الشعور عندنا عن ألوانه عند الغربيين من جهة وقيد القافية واعرابها عندنا وفقدانه عندهم من جهة أخرى .

وقدهم كثيرون من الشعراء المضطلعين من العلوم العصرية بتقليد الغرب فى شعره فلم يكن ما أتوا به غربيا ولا شرقيا ولم يوفقوا إلا فى الوان من الشعور هى مشتركة بين الأمم جميعها

افرض أن العربية تتسع لالوان الشعور الغربى ولكن هل يوجد فى أذواق أكثرية القراء هذا المتسع . الشاعر لايغنى لنفسه وحدها وانما كل مكافأته أن يصعى شعبه الى الحان قيثارته . ومهما تمرد الشاعر الكبير على الاساليب والتصورات فى أمته فهو لايستطيع أن يطفر مرة واحدة الى تصورات وأساليب تخالف ما ألفه شعبه فيقطع الوشائج القوية التى تربط الحال با لماضى

والحق أن كثيرا من الشعراء مع مالهم من الاطلاع الواسع على آداب الغرب وعلومه مضطرون الى التطور داخل تطور اللغة وتطور أبناء اللغة ، وقد يسبقونهم إلا أنهم لا يبعدون عنهم كل البعد وهذا التطور اليوم ليس بمفقود تماما : ولا يصح أن يحشر الشعراء جميعا فى صعيد واحد ، كما لا يجوز الحكم على جميع الكتاب بالخطل لان الاكثرية منهم تركب الشطط فى كتابتها ،

وفى الحق إن وحدة القصيدة ليست هى كل شىء فى الشعر ، وأن الشعر الجاهلى صورة لحياة الصحراء وتفكيرها ونظرها إلى الأشياء وحكمها عليها ؛ والقصيدة فى الشعر الجاهلى تربطها وحدة عامة ومنهج محدود من افتتاحها بالغزل ثم وصف مناظر الصحراء التى شاهدها الشاعر فى طريقه ثم الالمام بالغرض المقصود من القصيدة . وأعتقد أن أنفة الشاعر الجاهلى دعته إلى أن يموه المدح بكثير من تصوير عواطفه ومناظر بيئته حتى لا يظهر خضوع نفسه لمطالب الحياة وحاجات العيش . وكل قصيدة من مشهورات القصائد الجاهلية تربطها وحدة عامة . وإن كان ميزان المنطق لا يتحكم فى هذه الوحدة التى جاءت أثرا للبيئة وحياة الشاعر . ويقول نويدلكه المستشرق الهولندى : « وفى أحوال كثيرة يحتفظ الشاعر الجاهلى بوحدة الفكرة فى قصيدته بأن يجعل كلا من أقسامها خاصا بوصف مناظر وحوادث من حياة الشاعر نفسه أو الحياة العامة التى يحياها البدو فى الصحراء »

— ٣ —

ويقول العقاد فى نقد الشعر الجاهلى (١) :

« ليس الذى نرويه من قصائد الجاهليين بالنموذج الذى يقتدى به فى النظم لأنه فى الغالب أبيات مبعثرة تجمعها قافية واحدة ، يخرج فيها الشاعر من المعنى ثم يعود إليه ثم يخرج منه على غير وتيرة معروفة ولا ترتيب مقبول . وفى تلك القصائد — غير التفكك وضعف الصياغة — كثير من العيوب العروضية

---

(١) ١٠٣ « مراجعات فى الآداب والفنون للعقاد »

والتكرير الساذج والاقتسار المكروه(١) والتجوز المعيب الذى يؤخذ من روايته أن الشعر لم يكن فنا استقل به صناعه الخبيرون به ، وإنما كان ضربا من الكلام يقوله كل قائل ، ويروى المحكم منه وغير المحكم على السواء »

فنراه يذهب :

أولا : إلى أن فى الشعر الجاهلى كثير من العيوب العروضية والتكرير الساذج المكروه والتجوز المعيب

وثانيا : إلى أن هذا الشعر بادى التفكك مهلهل الصياغة لم تنظمه روح شاعرة قوية تعرف كيف ترتب المعانى وتوائم بينها

ويدعى أخيرا أنه لم يكن فنا راقيا له رجاله ، بل نظمه الشاعر والشعرور ، وقاله كل قائل

وهو لهذا كله — فى نظر الناقد — غير جدير بأن نتخذه مثالا ننهج على نهجه

وعجيب جدا هذا الفهم والحكم والنقد ، فإن الشعر إنما هو نتاج العبقرية العربية الأولى ، التى أثلت مواهبها المجد والذكر للجزيرة العربية ، ولأبنائها من الشعراء الموهوبين

وهو التراث العتيد الذى أخذ من فم الرواة وبطون الأسفار فردده الخلف كما ردده السلف ، وأحاطوه بالرعاية والتقدير

ولا يزال منذ أجيال بعيدة مشرع الثقافة العربية الذى يرده كل صاد إلى فهم كتاب الله ، أو راغب فى الأخذ من البلاغة العربية بنصيب

وهو على مظهره البدوى البرىء من سماة التكلف والحضارة ، جميل الحاشية ، مشبوب الخيال ، آسر الأسلوب ، جزل اللفظ على غرابة فيه ، يخاطب العاطفة والوجدان قبل أن يخاطب الفكر والعقل ، وإن كانت تلك ميزة الفنون الجميلة ، فى جميع عصورها ، وعلى شتى مذاهبها ؛ ومعانيه مطبوعة

---

(٢) اقتسره على الأمر : اكرهه عليه

بطابع السذاجة فهى قريبة المأخذ ، بسيطة الفكرة وثيقة الاتصال بالحياة العربية والجاهلية ، لانكاد نرى فيها غلوا أو تعقيدا ، ولا تمثل ثقافة واسعة أو فلسفة بعيدة فهو على كل حال صورة للعقلية العربية ، ولهذه الشاعرية العربية التى فاض ينبوعها على لسان الشعراء الملهمين الشادين لجمال الصحراء المطبوع ، والمترجمين عن أسرار العواطف وخلجات الوجدان وخطرات القلوب .

وان تعجب فعجب للحياة الحاضرة التى جحدت فضل الشعر الجاهلى ، وأعلنت الثورة عليه كما أعلنتها على كل قديم وان كان نافعا ؛ كما رأيت من تجنى هذا الناقد على الشعر الجاهلى هذا التجنى الغريب .

ولقد رددنا على الذين يعيبون الشعر الجاهلى ويرمونه بالتفكك والاضطراب ، كالعقاد وغير العقاد فلا داعى إلى تكرار القول فيه .

وأما أن الشعر الجاهلى كثير العيوب العروضية ، فلا أدرى ما هو دليل الناقد عليه ؟ أهو قصيدة عبيد أم بعض هذا الشواهد المروية لعيوب الشعر من الاكفاء والايطاء والتضمين والسناد الخ ؟ وأين تكون هذه كلها فى الشعر الجاهلى ؟ ثم ما هذا التكرار الساذج ؟ أهو مثل قول مالك بن الريب :

لقد كان فى أهل الغضا لودنا الغضا مزار ، ولكن الغضا ليس دانيا

أوفى مثل قول الحطيئة :

ألا حبذا هند وأرض بها هند وهند أتى من دونها النأى والبعد

أوفى قول النابغة :

عوجوا فحيوا لنعم دمنة الدار ماذا تحيون من نؤى وأحجار
اقوى وأقفر من نعم وغيَّره هوج الرياح بها بى الترب موار
وقفت فيها سراة اليوم أسألها عن آل نعم أمونا عبر أسفار
وقد أرانى ونعما لاهيين بها والدار لو كلمتنا ذات أخبار

أيام تخبرنى نعم وأخبرها ما أكتم الناس من حاجى وأسرارى

رأين هو هذا الاقتسار المزعوم . ثم هل ما فى الشعر الجاهلى من مجازات وكنايات وتشبيهات وأخيلة — رغم قلتها وقربها من حقائقها — يدعو إلى أن نهجر الشعر الجاهلى ونطرحه ظهريا .

وأما ان الشعر الجاهلى لم يكن فنا[1] يستقل به الخبيرون به ، فهذا خطأ بعيد . وهل ننسى رجال المعلقات ، والنابغة وحكومته بين الشعراء فى سوق سوق عكاظ ، وهؤلاء الشعراء الذين خلد ذكرهم على مر العصور؟ ولقد كان الناشىء فى الجاهلية يتتلمذ على شاعر مشهور يروى شعره ويأخذ عنه فنه الأدبى . وكان الشعراء يعرضون قصائدهم على غيرهم من الخبيرين بفن الشعر وصناعته ، واستمر هذا إلى مابعد الإسلام . ثم إن هذه المجازات والأخيلة هى من خصائص البيان العربى ومميزاته التى تكسبه روعة وجمالا .

ان من العقوق للعربية أن نذهب مذهب الأستاذ العقاد من الغلو فيما رمى به الشعر الجاهلى من التفكك وعدم اتساق الفكرة وارتباطها واتصال معانيها ، وما أظن أن ذلك وإن كان موجودا فيه مما يؤاخذ عليه الشعر الجاهلى إلى هذا الحد البعيد ، وفيم الفرق إذاً بين الأسلوب الفنى الجميل وبين الأسلوب العلمى وحقائقه المنطقية المرتبة ، إن الشعر فن قبل أن يكون فلسفة .

---

(١) وإذا أردنا أن نسكت مزاعم العقاد المجدد برأى مجدد مثله هو « طه حسين » فلا أكثر من أن نسوق اليه قول طه حسين فى الادب الجاهلى : وأما مضر فكان لها فى الجاهلية شعراء يتخذون الشعر فنا يمثلون به نهضة فنية عقلية فى هذا الاقليم من جزيرة العرب (راجع ١٩٧ وما بعدها من الادب الجاهلى

وأخيرا فللعقاد رأيه فى عدم اتخاذ الشعر الجاهلى مثالا يحتذيه ، ولقد أخذ نفسه بذلك ، فلم يكن له حظ من الخلود فى الشعراء . أما نحن فنقول: انه لاداعى لأن يملأ شعراؤنا المعاصرون شعرهم بألفاظ العقنقل والسجنجل والجندل والحنظل كما فعل امرؤ القيس مثلا ، ولا بالأثمد والبرجد والمسرهد كما فعل طرفة وليس من المناسب أن نترسم خطاهم فى بكاء الأطلال ووصف الدمن وذكر محاسن الخيل وكلاب الصيد فلنا بدلا من ذلك كله ـ مجال فسيح لقول الشعر فى عصر الهكرباء والذرة والأثير والطائرات . أما فيما عدا ذلك من الألفاظ والأغراض فالشعر الجاهلى أروع ما يحتذى فى مذاهب النظم وجمال الصياغة وحسن الأداء

— ٤ —

ويشك أنصار الجديد فى الأدب الجاهلى (١) بدعوى أن الكثرة المطلقة مما يسمى أدبا جاهليا ليست من الجاهلية فى شىء انما هى منتحلة بعد ظهور الاسلام ، فهى تمثل حياة المسلمين أكثر مما تمثل حياة الجاهلية ، وما بقى من الأدب الجاهلى الصحيح قليل جدا لا يمثل شيئا ولا يدل على شىء . والعصر الجاهلى القريب من الاسلام يمثله القرآن والأساطير (٢) . وعلى هذا فلا يصح الاستشهاد بهذا الشعر المنحول فى تفسير القرآن بل يجب العكس (٣) والشعر الذى يضاف إلى الجاهليين يمثل حياة غامضة جافة بعيدة عن الدين ، والقرآن يمثل لنا حياة دينية وعقلية قوية مما كان عليه المستنيرون عليه من العرب ويمثل لنا القرآن الكريم أيضا اتصال العرب بغيرهم من الأمم المجاورة كما يصور حياة العرب الاقتصادية (٤) ، والأدب الجاهلى أيضا عندهم لا يمثل اللغة

---

(١) ٥٩ - ٦٤ الادب الجاهلى لطه حسين بك

(٢) ٦٤ و ٦٥ المرجع و ٧٠ وما بعدها

(٣) ٦٦٦ المرجع

(٤) راجع ٧٠ — ٨١ من المرجع

الجاهلية لاختلاف اللغة الحميرية عن اللغة العدنانية جد الاختلاف ، والمأثور من شعر الشعراء القحطانيين مروى باللغة العدنانية الفصحى مع أنهم لم يكونوا يتكلمون بها ولم يتخذوها لغة أدبية لهم قبل الإسلام كما حدث بعد الإسلام ، مما يدل على انتحال هـذا الشعر وسواه من فنون الأدب على هؤلاء القحطانيين .

فهؤلاء المجددون ينكرون ما يضاف إلى أهل الجنوب من شعر ونثر قيل بلغة أهل الشمال قبل الإسلام(١) . كما أن اختلاف اللهجات العدنانية أمر ثابت لا شك فيه ولا نجد أثرا لهذا الاختلاف فى الشعر الجاهلى المأثور مما يدل على انتحال هذا الشعر وأنه قد حمل حملا على هذه القبائل بعد الإسلام . (٢)

ثم يحلل الدكتور طه فى الأدب الجاهلى أسباب انتحال الشعر كما يزعم ويرى ، فيذكر البواعث السياسية والدينية وأثر القصاص فى الانتحال وأثر الشعوبية والرواة فيه (٣).

ثم يذكر الشعر والشعراء ، ذاهبا إلى أن كثرة ما يضاف إلى الشعراء الجاهليين منحول ، وإلى رفض الشعر المنسوب إلى شعراء من اليمن ، لأن لليمن لغة تخالف لغة قريش ، وهجرة اليمنيين إلى الشمال مشكوك فيها أولا وليس كل الشعراء هاجروا من اليمن ثانيا ، فالشعر الذى أضيف إلى جرهم وسواهم من الذين عاصروا اسماعيل منحول ، وليس لليمن فى الجاهلية شعراء أما ربيعة — من عدنان وكانت تسكن فى الشمال — فشعرها فى الجاهلية دون شعر المضريين لأنها لم تكن تتكلم لغة قريش . وأما مضر فكان لها

---

(١) راجع ٨١ — ٩٥ من المرجع

(٢) ٩٦ وما بعدها من المرجع

(٣) ١٢٢ - ١٨٦ المرجع

شعراء يتخذون الشعر فنا ، فالشعر أصل فى مضر دون اليمن أو ربيعة ، فنظرية تنقل الشعر فى القبائل غير صحيحة ، فالشعر إنما كان فى مضر ، ثم انتقل إلى أقرب القبائل العربية إليها وهم ربيعة ثم إلى القبائل البعيدة كاليمن ثم إلى الموالى وليس كما يقولون من أنه كان فى اليمن ثم انتقل إلى ربيعة ثم إلى قيس من مضر ثم إلى تميم . وشعراء المدينة ليسوا يمنيين بل هم مضريون (١)

ثم درس هذا الناقد الشعراء :

ا ـ امرأ القيس فعبيد فعلقمة .

ب ـ ثم عمرو بن قميئة فمهلهل فجليلة .

حـ ـ ثم عمرو بن كلثوم فالحارث بن حلزة .

د ـ ثم طرفة فالمتلمس .

هـ ـ ثم الأعشى .

وذلك على ضوء نظريته فى انتحال الشعر (٢) . ثم علق على الشعر المضرى على ضوء هذه النظريات (٣) . ووضع مقاييس لتمييز المنحول من الشعر الجاهلى (٤) . ثم درس أوساو زهيرا والحطيئة وكعب بن زهير والنابغة (٥) .

وبذلك ينتهى نقد الدكتور للشعر الجاهلى . وخلاصة آراء الدكتور أو أهمها فى الشعر الجاهلى هى :

---

(١) راجع من ١٩٣ - ٢٠٨ من المرجع

(٢) « « ٢٠٩ - ٢٦٦ « «

(٣) « « ٢٦٧ - ٢٨١

(٤) « « ٢٨٢ - ٢٩٥

(٥) « « ٢٩٦ - ٣٤٢

١ — أن الشعر الجاهلى أو أكثره منحول بدليل .

ا — أنه لايمثل الحياة الجاهلية

ب — و « « « اللغة «

ج — « « « « اللهجات العربية

٢ — فلم يكن لليمن شعراء وما يروى من شعر للقحطانيين فانما هو منحول عليهم

٣ — وأكثر شعر الشعراء الذين ينتسبون إلى ربيعة منحول لأنه لايمثل لهجاتهم التى كانوا يتكلمون بها

٤ — وليس صحيحا أن الشعر كان فى اليمن ثم انتقل إلى ربيعة ثم إلى قيس من مصر ثم إلى تميم بل إنما كان فى مضر ثم امتد إلى ربيعة فاليمن ثم إلى الموالى(١)

٥ — وكان للرواة(٢) والقصاص وللعوامل السياسية والدينية وللعصبيات أثر فى الانتحال

وقد حدثت ضجة إثر نشر كتاب « الشعر الجاهلى » فنشره الدكتور باسم الأدب الجاهلى بعد أن حذف منه بعض فقرات مما يمس الشعور الاسلامى وألف فى نقد هذا الكتاب عدة مؤلفات أهمها :

ا — الشهاب الراصد للاستاذ محمد لطفى جمعة المحامى وقد طبعه عام ١٩٢٦

ب — النقد التحليلى للاستاذ الغمراوى

ج — نقض مطاعن فى القرآن الكريم للاستاذ الكبير محمد عرفه

د — نقض كتاب الأدب الجاهلى للشيخ الخضر حسين

هـ — نقد الأدب الجاهلى للخضرى بك

---

(١) راجع ٢٠٦ المرجع

(٢) وراجع أصول نظرية طه حسين عن الشعر الجاهلى وروايته فى كتاب مقدمة لدراسة بلاغة العرب لضيف (ص ٥٠ — ٦٢)

ولا نجد بدا من التنويه بعناصر الرد على آراء الدكتور فى كتابه فى إيجاز بالغ فنقول :

أولا أما قصة انتحال الشعر الجاهلى ونفى وجود شعراء يمنيين والذهاب إلى عكس مايراه الباحثون حول نظرية تنقل الشعر فى القبائل فهو لا يعتمد على أكثر من الحدس ، ولا داعى للافاضة فى نقده وتحليله (١) فقد سبق الكلام فيه .

ثانيا الشعر الجاهلى يمثل حياة الجاهليين ، ويرسم ألوان معيشتهم ، ويروى عاداتهم ويتحدث عن أديانهم ويصف بيئتهم ولون ثقافتهم . وهل هناك ريب فى أن الشعر الجاهلى يصف البيئة الجاهلية وصفا دقيقا : من حيوان ونبات وأرض وجبال ووديان وقرى ومن جو ورياح وأمطار الخ ؟ . وهل هناك شك فى أنه سجل لتاريخهم وأخبارهم وأيامهم ، ويقول : نيكلسون فى كتابه « تاريخ آداب اللغة العربية » . « ان الأدب الجاهلى المنظوم منه والمنثور يمكننا من تصوير حياة تلك الايام الجاهلية تصويرا أقوب مايكون من الدقة فى مظاهره الكبرى ، ويقول ثوربيكه الألمانى فى كتابه عنترة أحد شعراء الجاهلية » : لا نملك مصادر موثوقا منها لتدوين تاريخ تلك الغارات البدوية سوى القصائد والمقطوعات المحفوظة عن شعراء الجاهلية » وقال أيضا : يمكن تعريف الشعر الجاهلى بأنه وصف مزين بالشواهد لحياة الجاهلية وأفكارها فقد صور العرب أنفسهم فى الشعر صورة منطبقة على الحقيقة بدون تزويق ولا تشويه » وقال نولديكه المستشرق الهولندى فى كتابه عن الشعر العربى القديم : إن عادات عرب الجاهلية وأحوالهم معلومة لنا بالدقة نقلا عن أشعارهم وفى الشعر الجاهلى مايفتن القارىء من أوصاف الحياة والعادات فى البادية »

ويقول لطفى جمعه فى كتاب الشهاب الراصد : « يدل الشعر الجاهلى فى

---

(١) راجع فى ذلك ١٥٨ — ٢٧٣ من الشهاب الراصد . وراجع آراء المستشرقين الذين يؤيدون صحة الشعر الجاهلى فى الشهاب الراصد (٢٩٩ - ٣٠٤)

جملته على نفوس ناظميه وحياتهم ، ثم قال : والشعر الجاهلى أشد مايكون اتصالا بحياة القوم وتاريخهم وأكثر مايكون تمثيلا ووصفا لبيئتهم بل أنه أصدق مثال لحياة العرب أنفسهم ، فأثر تلك البيئة الطبيعية والمحيط الاجتماعى ظاهر فى شعورهم بجانب بلاغتهم النادرة »

وهل هناك أكثر من الدلالة على الحياة الجاهلية أكثر من الشعر الجاهلى نفسه الذى هو ديوان العرب ومستودع تاريخهم ومرآة حياتهم وصناعاتهم وعاداتهم .

والشعر الدينى الذى يمثل الحياة الدينية عند الجاهليين كثير مبثوث فى شتى الكتب ، وقد جمع منه الأستاذ لطفى جمعه الكثير (١) ، والذين يذهبون إلى مايذهب اليه الدكتور طه حسين من أن الشعر الجاهلى خال من تصوير حياة الجاهليين الدينية كثيرون منهم مرجليوث (٢) .

ويرى جورجى زيدان أن منظومات العرب الجاهليين فى الناحية الدينية قد « ضاعت فى أثناء الأجيال لعدم تدوينها لاشتغالهم عنها بالحماسة والفخر بسبب الحروب التى كانت بينهم قبل الاسلام ، فلما جاء الإسلام أغضى الرواة عنها لأنها وثنية والاسلام يمحو ماقبله »

ويقول الاستاذ ادوار براوناش فى رده على مرجليوث فى مجلة الأدبيات الشرقية عام ١٩٢٦ : « لاحظ العلماء أن الشعر الجاهلى قلما دل على شىء من دين العرب قبل الاسلام وقد ذكر بعضهم فى سبب ذلك أن علماء المسلمين يرفضون من الشعر ماخالف دين الاسلام ، وهذا مما يثق الانسان بوقوعه

وأما أن الشعر الجاهلى لايدل على اتصال العرب بغيرهم من الأمم

---

(١) راجع ص ٨٥ - ٩٢ من كتاب الشهاب الراصد

(٢) يقول مرجليوث : قلما نعثر فى الاشعار الجاهلية على شىء يتعلق بالدين إلا نادرا

كما يزعم الدكتور طه حسين فهذا خطأ فى الرأى . ألا تسمع لعمرو ابن كلثوم يقول :

« وكأس قد شربت بعلبك »

أو لامرىء القيس وهو يصف رحلته إلى القسطنطينيه حيث يقول :

بكى صاحبي لما رأى الدرب دونه وأيقن أنا لاحقان بقيصرا

وهل شعر النابغة لا يمثل اتصاله بملوك الحيرة وغسان أتم تمثيل؟ وعدى بن زيد واتصاله بديوان كسرى معروف ، ورحلات بنى عبد مناف فى البلاد لتأمين طرق التجارة مشهورة ويقول الشاعر الجاهلى :

يأيها الرجل المحول رحله هلا نزلت بآل عبد مناف
الآخذون العهد من آفاقها والراحلون لرحلة الأيلاف

ويقول الأعشى :

قد جبت ما بين بانقيا إلى عدن وطال فى العجم ترداد ى وتسيارى

ويقول :

وطوفت للمال آفاقه عمان فحمص فأوريشلم
أتيت النجاشى فى داره وأرض النبيط وأرض العجم

ثالثا الشعر الجاهلى ولهجات العرب(١) :

ا — ويستدل الدكتور طه على انتحال الشعر الجاهلى بأنه لا يمثل اللغة العربية ولهجاتها(٢) .

---

(١) راجع ص ١٠٠ - ١٥٩ من الشهاب الراصد فى هدم آراء الدكتور طه فى هذ الباب

(٢) وراجع رد الاستاذ لطفى جمعة على رأى الدكتور طه وهو أن الشعر الجاهلى لا يمثل لهجات القبائل حيث أثبت الاستاذ لطفى عكس هذه النظرية بأدلة من الشعر الجاهلى الذى يمثل لهجات القبائل المختلفة (١٥٤ - ١٥٧ الشهاب الراصد)

ويظهر لنا من افراده كلمة اللهجات مرة وعطفها على اللغة أخرى أنه أنه لا يفرق بين اللغة واللهجة والفرق بينهما عظيم فاللهجة طريق أداء الكلام إلى السامع ويتمثل ذلك فى التفخيم والترقيق والامالة وعدمها مما لا يؤثر فى ذات الحرف ولا يقتضى العدول عنه أوعن الكلمة إلى غيرها فالجملة الواحدة تستطيع النطق بها مختلفة الهيئة مع بقاء حروفها وكلماتها فى كل صورة من صور النطق كما فى تلاوة القرآن بالقراءات المتنوعة التى لم تختلف فيها الكلمات إلا بما قدمنا . وبعد ذكرنا لهذا الفرق نقول ان اختلاف اللهجة لا يؤثر فى وزن الشعر ولا فى قوافيه فمثلا قفانبك الخ لا يحدث تفخيم الألف فى قفا ولا امالتها فى ذكرى شيئا فى وزنه ، ونحن لا نخالف الدكتور فى أن العرب كانوا فى الجاهلية مختلفى اللغات واللهجات ولكننا لا نسلم بما استنبطه الدكتور من ذلك وهو أنه كان يجب أن نرى فى الشعر اختلافا بين المروى عن القحطانيين والعدنانيين ، ذلك لأنا نؤمن مع ايماننا بهذا الاختلاف أنه كان بتقادم العهد واتصال العرب ورحلة أهل الجنوب إلى الشمال وقيام قريش بالسيادة على العرب قبل ظهور الاسلام والاشتغال بالتجارة بين الجنوب والشمال وقيام عكاظ ، كل ذلك قرب من هذه اللغات واستطاعت قريش أن توجد لها لغة مختارة من شتى لغات العرب وقد ارتضاها الخطباء والشعراء لغة لهم فى المحافل العامة لأنها مختارة من شتى لغات القبائل فهى حبيبة لهم مفهومة عندهم وهى لغة قريش ذات السيادة ، أما اتصال القبائل الذى حاول الدكتور أن ينفيه بقوله « وثبت أن العرب كانوا متنابذين ليس بينهم من أسباب المواصلات المادية والمعنوية مايمكن من توحيد اللغات » ، هذا الاتصال ثابت بالتاريخ فصلة المصاهرة كانت شائعة بين شتى القبائل يصهر القيسى إلى القرشى والربعى والتميمى والعدنانى إلى القحطانى ، فزهير بن خزيمة العبسى سيد بنى عبس أصهر إلى النعمان بن المنذر ملك الحيرة فقد زوجه ابنته المتجردة ، وكانت صلات الحلف تجمع بين القبائل العربية ، كما كان بين أسد وغطفان وبين قريش وثقيف .

ب — وما يذهب إليه الدكتور من اختلاف لغة حمير عن اللغة العدنانية جد الاختلاف مبالغ فيه وردنا عليه هو أن :

١ — ما ذكره الدكتور من الأمثلة للغة الحميرية يدل على علاقة العدنانية بالقحطانية وأن الأولى وليدة الثانية ، وأوجه الخلاف التى يمكن استنباطها من هذه الآثار هجائية ، ونحوية ولغوية ، وهذه الأنواع من الخلاف لاتجعل اللغتين متمايزتين كما استنبط الدكتور ، فانه حاصل فى اللغة الواحدة ، كما انه يسلم معنا بأن فى اللغتين ألفاظا متحدة فى الصيغة والمعنى مثل أخ وأخت ونعمة وحلف ووثن وغير ذلك ، ثم ان هذه الآثار لا يعلم تاريخ كتابتها ، وبعض المؤرخين على أنها كتبت قبل الميلاد بخمسة عشر قرنا .

٢ — لوسلمنا بوجود الخلاف الكبير بين اللغتين العدنانية والقحطانية فلا يترتب على ذلك وجوب تمثيل القحطانية فى شعر الشعراء القحطانيين المروى شعرهم ، لأن القحطانيين قسمان : سبئيون ، وحميريون ، فالسبئيون نزحوا من الجنوب إلى الشمال قبل الاسلام بعد سيل العرم ومنهم اللخميون ملوك الحيرة والقساسنة ملوك الشام والأوس والخزرج سكان المدينة وسواهم أما حمير فهى التى كانت بأرضها فى ظفار وصنعاء وما جاورها ، وهى التى قال فيها أبو عمرو بن العلاء : « ما لسان حمير وأقاصى اليمن لساننا ولا عربيتهم عربيتنا » .

٣ — لا ننكر أن هناك اختلافا بين لغات العرب إلى جانب اختلاف لهجاتها ، ولكنه اختلاف لا يستوجب التباين الذى تصوره الدكتور ، وقد عرف العلماء هذا الاختلاف ودونوه ، فمن ذلك الترادف مثلا . وقد ذكرنا سابقا بعض وجوه الاختلاف بين اللهجات واللغات العربية فلاداعى لذكرها هنا الآن .

ويقول المرحوم الاستاذ محمد عبد المطلب فى مقالة له نشرها فى البلاغ يرد فيها على الدكتور زكى مبارك فى ذهابه إلى هذه النظرية الجديدة ، نظرية

اختلاف لغة أهل الجنوب عن لغة أهل الشمال :

يعتمد الدكتور فى تأييد رأيه على الأدلة الآتية :

أولا — كان القدماء من مؤرخى اللغة العربية يفهمون حق الفهم أن اللغة العدنانية تختلف عن اللغة القحطانية فى كثير من الألفاظ والتعابير وشواهد ذلك كثيرة .

ومن القدماء من صرح بأن لغة أهل اليمن غير لغة أهل الحجاز ومن هؤلاء أبو عمرو بن العلاء .

وليت شعرى أتراجع الدكتور عن شىء من دعواه ؟ فشتان ما بين « اختلاف اللغتين اختلافا جوهريا » وبين أن « اللغة العدنانية تختلف عن اللغة القحطانية فى كثير من الألفاظ والتعابير » . ساق الدكتور هذه العبارة دليلا أولا على مدعاه فهى فاتحة الكتاب فى الاستدلال . وأنا أقول معه ومع المتقدمين نعم إن اللغة العدنانية تختلف عن اللغة القحطانية مع بقاء الوحدة بينهما لأن هذا هو اختلاف الحروف واللهجات الذى أثبته فى أصل دعواى وهل هذا يسمى بالاختلاف الجوهرى ؟ .

وإذا يخرج البرهان العقلى الذى استأثرت به المدرسة الجديدة على القياس الآتى :

بين لغة اليمن ولغة العدنانيين خلاف جوهرى — « أى فى جوهر اللغة لا فى اعراضها » — وأول دليل لذلك أن المتقدمين كانوا يفهمون حق الفهم أن اللغتين تختلفان فى كثير من الألفاظ والتعابير .

أهذا هو المسلك الذى تفرضه المدرسة الجديدة على أنصارها ؟ إن كان ، فعليها وعلى أنصارها السلام . على أنى لا أعقد المذهب على القراء وأتمشى معك فى مناقشة هذا الدليل .

فأى اللغتين يقصد المؤرخون بما قالوا ؟ أهى اللغة التى أثر عنها الأدب

العربى قبـــل الاسلام ؟ أم هى اللغة التى كانت قبل هذا ولم يصلنا من أدبها شىء ؟ فان كان الثانى فهو ممنوع ، لأن لغتين لم يصلنا شىء منهما لايمكن باحثا ولا مؤرخا أن يدعى الخلاف بينهما . لأن وجود هـذا الخلاف فرع عن وجود اللغتين . والعقل يقول باتحاد اللغتين فى هذه الأزمان لا باختلافهما .

وإذا كان الأول فانه لايجوز لعقل أن يحمل ما قالوه على ظاهره كما حملته المدرسة الجديدة . أيحكم أبو عمرو وأمثاله بالتغاير بين اللغتين على المعنى الذى فهمه الدكتور واضرابه وهو يسمع شعراء مذحج وكندة وطيء والأزد حوله يقولون ما يقولون . فهذا عبد يغوث المذحجى يقول :

ألا لا تلومانى كفى اللوم ما بيا فما لكما فى اللوم خير ولا ليا

وهذا الأفوه الأودى المذحجى يقول أيضا :

لايصلح الناس فوضى لاسراة لهم ولا سراة إذا جهالهم سادوا

ويقول الكندى :

وقد أغتدى والطير فى وكناتها بمنجرد قيد الأوابد هيكل

ويقول عمه شرحبيل بجواره :

تعلم أن خير الناس طرا قتيل بين أحجار الكلاب

ويقول حاتم الطائى :

وأغفر عوراء الكريم ادخاره وأعرض عن شتم اللئيم تكرما

وكذلك يسمع حسانا وابن الخطيم وابن رفاعة يقولون ما يقولون مما هو معروف من شعرهم وهم ازديوه .

وإذاً فكلام أبى عمرو ومن قال به لاينصرف إلا إلى اختلاف اللهجتين لا الى اختلاف اللغتين . وكأنى بالدكتور ينكر أن ماقدمت من الشعر لهؤلاء اليمانيين عدنانى الديباجة

اختلاف اللهجات أمر طبيعى لافى لغة العرب وحدها بل فى جميع اللغات

حتى لقد يصل الخلاف فيها إلى حد أن أحدهما لايفهم الآخر. ومن المغالطة أن يأخذ الدكتور دليل خصمه فيجعله دليلا له على مدعاه. فانه لما قال « طبيعة الحياة تأبى ان يكون للعرب لغة واحدة فى جميع ارجاء الجزيرة قبل الاسلام لأن الأسباب التى يذكرونها لاتكفى لتوحيد تلك اللغة » قدم لذلك شاهدا بديعا هو الامة الفرنسية وقال فيه مانصه « فهذه الأمة التى توحدت سياسياً واجتماعيا وأدبيا منذ زمن طويل لاتزال فيها عدة لهجات تتباعد تباعداً شديداً بحيث لايستطيع بعض أهل الجنوب أن يتفاهم مع بعض أهل الشمال » إلى آخر ماســـاق فى هذا الشاهد البديع.

فالدكتور معى فى هذا المثال البديع لايخالفنى لأنه صريح دعواى التى قدمتها آنفا وفى مقالى السابق. اللغة الفرنسية واحدة تتعدد لهجاتها ويكثر الخلاف بل قد يشتد بين هذه اللهجات.

وإذا قال ان هذه اللهجات لغات فى فرنسا مختلفة اختلافا جوهريا فوق اختلاف اللهجات قلت للدكتور هل يستطيع أن يثبت أن الفرنسيين يجمعهم كما كان يجمع العرب أصل واحد قبل الاسلام وهل لهم فى بلادهم هذه العزلة التى للعرب فى بلادهم عن الامم الأجنبية مع اتحاد أصلهم فان اثبته الدكتور كان هذا الاختلاف فى لغة فرنسا فى اللهجات لامحالة لافى الصميم. وان لم يثبته لم يستطع الفرار من أن هذه اللغات مختلفة فى الأصل اختلافا ذاتيا ساعد على استمراره إلى اليوم عصبية كل قوم للغتهم مع اختلاف الاقليم، على أن الاستاذ أثبت فى هذا الموضع أيضا ماادعيه من آثار وحدة الحكومة فى توحيد اللغة فقد اعترف «بأن الحكومة فى تلك الديار تفرض اللغة الفرنسية فرضا على البنين والبنات وأن لها فى مداواته طرقا عديدة منها المزج فى الخدمة العسكرية بين الجنود».

وذلك ما ادعيه أنا بعينه وهو أن اتحاد الحكومة فى أرض من الأسباب

المؤدية إلى وحدة اللغة فى هذه الأرض وإنما تختلف نتيجة هذا التأثير باختلاف الامم التى يقع عليها فان كانت من أصل واحد تتكلم فى الأصل بلسان واحد منعزلة فى بلادها انعزال العرب فى جزيرتهم فحكم العقل هنا أن تتحد اللغة بهذا التأثير حتى فى أخص لهجاتها .

والعرب كما قدمت شعب كله من أبناء سام بن نوح سكن أرضا واحدة تأثر بطبيعة بيئاتها واستأثر لتأثير اجوائها ووجوه حياتها المتشابهة تحت نير حكومة واحدة فى أكثر الأحيان وفى أكثر الجهات ، مع العزلة الشديدة بينهم وبين غيرهم من الأمم .

وأما البروفنس الذين ذكرهم الدكتور فى الطوائف الفرنسية فان كانوا من الأصل الفرنسى فلغتهم لهجة إقليمية من اللهجات الفرنسية لا محالة وإن كانوا من أصل آخر كان اختلاف لغتهم مع الفرنسية ذاتيا ليس مما نحن فيه وإنما مثلهم كمثل اليهود الذين سكنوا بلاد العرب وكالأوربيين الذين يسكنون بلادنا اليوم يحافظون على لغتهم ويتعصبون لها مع تعلمهم لغة البلاد التى هم نزلاؤها وهذا النوع مما لا نزاع بينى وبين الدكتور فيه .

فخلاصة ما بينى وبينه فى دليله الأول أنه يثبت ما أدعيه ولا ينفيه إلا أن يستمسك هو بالعناد .

وقال فى دليله الثانى ما نصه :

« ثانيا — النقوش التى اكتشفت فى اليمن ودرسها المستشرقون تبين فى وضوح تام ان اللغة الحميرية لغة مستقلة لا تتشابه مع اللغة العدنانية إلا فى طائفة من الألفاظ أما أصولها من حيث النحو والتصريف وطرائق التعبير فتختلف عن اللغة العدنانية أشد الاختلاف » إلى أن قال : « وتلك النقوش أوثق من الروايات الشفوية التى يعتمد عليها بعض الناس . والاستهانة بهذه النقوش تعد جرأة عجيبة لأن الأثر المنقوش أوثق من الأثر المكتوب

فى عرف أهل التاريخ وما يلجأون إليه من التشكيك فى قيمة النقوش لا يغنيهم فتيلا لأن تلك النقوش إليها المرجع حتما فى درس أصول اللغات » .

وإلى القراء نظرة مع الدكتور فى النقوش وقيمتها وقيمة ما تؤديه من الخدمة للعلم .

النقش أثر على الأحجار إن صح كان أوثق الأدلة كما يقول وإنما يجب علينا الايمان بالنقوش الحميرية إذا اجتمعت فيها الشروط الآتية :

(١) أن يثبت باليقين انها نقشت فى الزمن الذى تتكلم بلغته ولم تصطنع اصطناعا لاغراض سياسية أو اجتماعية أو نحو ذلك من الأغراض .

(٢) أن تكون بأيدى أهل تلك اللغة صنعت وبلغتهم نقشت .

(٣) أن تكون من الكثرة بحيث لا يحتمل الشك فيها .

(٤) ألا يعرض لها من الشبه ما يوجب الشك فيها على فرض توفر الشروط السابقة .

إذا ثبتت هذه الاعتبارات للاثار النقشية ثبوت اليقين وجب المصير إلى ما تحكم به إذا ، لأنه يقين وإذا لم تثبت هذا الثبوت كان الحكم المبنى عليها ظنيا أو مشكوكا فيه فليست أولى من الرواية بشىء فى إفادة العلم وكان بناء اليقين عليها بناء متصدعا أخشى أن ينهار على المدرسة الجديدة فيتصدع به بنيانها .

فأما الشرط الأول فان أحدا من الناس لا يستطيع الجزم به فى تلك الآثار وفوق هذا فان بين أيدينا ونحن بلاد الآثار ما يؤيد بقوة ، احتمال الصنعة فى تلك النقوش . فليذهب الدكتور إلى الأقصر أو إلى أسوان وإن عزت عليه نفقات السفر فلينتظر موعد وفود السياح على مصر ثم ليذهب إلى الأهرام أو إلى الأزبكيه أمام « شبرد » أو « الكونتيننتال » وهنالك يرى بعينه إلى أى حد وصلت صناعة التقليد فى آثار المصريين من الاجعال

« الجعارين » والدمى وغيرهما ثم لينظر كيف أحكم عليها نقش الهيروغليفية . فهل لدى الدكتور دليل واحد يمنعنى أن أجوز هذا التقليد فيما ذكر هو من الآثار . ولعل الدكتور يعلم ولا ينكر هذا العلم أن بعض أهل العلم بالآثار يصطنعون بعض هذه الأحجار لبعض الأسباب ، كما افترض حضرته أن بعض الرواة قد اصطنعوا بعض الأخبار لبعض الأسباب ، أتحداك يا دكتور .

وأما عن الشرط الثانى فهل يستطيع الدكتور أن يدلنا على من كتب النقوش التى يستند إليها ويعتمد حتما عليها أ كان من الحميريين أهل اللغة الحميرية أم هو من غيرهم من الأمم المجاورة لهم من أمم الآثار كالمصريين مثلا أو الكلدانيين .

وهل يمكنه أن يثبت لى من طريق آخر ليزيل هذا الشك من نفسى أن لغة هذا النقش حميرية ، أو لابد لى أن أومن بانها حميرية ولو لم يدل عليها دليل . ان أمرنى الدكتور بهذا الإيمان فعلت حتى أخرج فى نظره من هذه الجرأة العجيبة ، ولكن هل يقبل العقل « وهو الذى يحكمه » هذا الإيمان

وأما عن الشرط الثالث فهل يدلنى أخى الدكتور على عدد من أحجار هذه النقوش يمنعنى بكثرته واختلاف صانعيه وأمكنته عن الشك فيه فيكون ذلك عند المدرسة القديمة بمثابة الخبر الذى تتعدد فيه الروايات ؟ وإن قال لى أن بضعة الأحجار التى فى طلل من الأطلال بعد ما قدمت له تفيد القطع باليقين ، فأنا السميع بذاتى دون عقلى لأن حكمه يقضى على بألا أوقن وقد وقد أمرنى أخى باليقين وهو الذى يعرف وحده كيف يحكم العقول .

وأما عن الشرط الرابع فانى أسائل الأستاذ — وعهدى به ألا يغالط أو ينكر العلم — ألم يسمع بأن بعض المشتغلين بالآثار من المستشرقين اصطنع بعض هذه الأحجار لبعض الأسباب كما سمع أن بعض الشعراء من

الرواة كان يصنع بعض الشعر ويدسه على المتقدمين لسبب من الأسباب أيضا ؟ وهل هو لم يسمع أن بعض الملوك فى أكبر أمة أثرية « مصر القديمة » محا وأثبت فى الآثار ؟ وهل يجهل الدكتور أن من هؤلاء الملوك رمسيس ؟

وبعد هذا وذاك فإنى ألقى معذرتى بين يدى المدرسة الجديدة فى تشككى وتشكيكى فى هذه النقوش وسواء صحت هذه النقوش أم كذبت فانك من أى النواحى أتيتها وجدت الشك يحيط بها وقد قال علماء النقل من قبل « إذا تطرق الاحتمال بطل الاستدلال » فلست فى حاجة بعد ما تقدم كله أن أعرض لما أورده الدكتور زكى عن الدكتور جويدى من النصوص المنقوشة على تلك الآثار فليقرب بها إلى العربية أو ليبعد والأمر على حد سواء .

لست أقول بكذب هذه الآثار ولكنى أقول أن الثقة بها لا تزيد بشىء عن الثقة بما ينقله الرواة من الأخبار ما دام الشك قد دخل عليها من كل باب .

هذا وأرانى قد أطلت على القراء فلننتقل إلى ما أورده الدكتور من الدليل الثالث وفيه يقول « طبيعة الحياة تأبى أن يكون للعرب لغة واحدة فى جميع أرجاء الجزيرة قبل الإسلام .

وأنا أناقض دليله هذا على الخط المستقيم فأقول إن طبيعة الحياة تأبى أن يكون للعرب لغات مختلفة ذلك الاختلاف الجوهرى الذى يشير إليه .

طبيعة الأرض واحدة وبيئاتها متشابهة تشابها كليا ومؤثرات الاجتماع والطبيعة واحدة والحكومة فى أكثر الأحيان واحدة واللغة الأصلية واحدة والأمة فى عزلة تامة عمن سواها فمن أين يجىء الاختلاف فى غير اللهجات ؟

ج — ويقول الدكتور فى كتابه الذى صودر(١) : يقول القدماء :

إن أبناء إسماعيل تعلموا العربية من القحطانيين فسموا المستعربة كما سمى الأولون العاربة ، ثم تساءل كيف يحصل هذا التمايز العظيم بين اللغتين الذى أثبتته الآثار المكشوفة بأيدى المستشرقين ؟ ثم قال : فواضح جدا لمن له إلمام بالبحث التاريخى عامة وبدرس الأساطير والأقاصيص خاصة أن هذه النظرية متكلفة ومصطنعة فى عصور متأخرة دعت إليها حاجة دينيـــة أو اقتصادية أو سياسية . . ثم رأى أن قصة اسماعيل وورودها فى الكتب الدينية لايكفى لاثبات صحتها التاريخية ، قال نحن مضطرون إلى أن نرى فى هذه القصة نوعا من الحيلة فى إثبات الصلة بين اليهود والعرب من جهة وبين الاسلام واليهودية من جهه والقرآن والتوراة من جهة أخرى ، وأقدم عصر يمكن أن تكون قد نشأت فيه هذه الفكرة إنما هو هـــذا العصر الذى أخذ اليهود يستوطنون فيه شمال البلاد العربية ويبنون فيه المستعمرات فنحن نعلم أن حروبا عنيفة نشبت بين هؤلاء اليهود المستعمرين وبين العرب الذين كانوا يقيمون فى هذه البلاد ، فليس يبعد أن يكون من هذا الصلح الذى تم بين المستعمرين وبين العرب أصحاب البلاد منشأ هذه القصة التى تجعل العرب واليهود أبناء عم لاسيما وقد رأوا أولئك وهؤلاء أن بين الفريقين شيئا من التشابه غير قليل فأولئك وهؤلاء ساميون ولكن الشىء الذى لاشك فيه هو أن ظهور الاسلام وما كان من الخصومة بينه وبين وثنية العرب من غـــير أهل الكتاب قد اقتضى أن تثبت الصلة بين الدين الجديد والديانتين القديمتين ديانة النصارى واليهود .

أما الصلة الدينية فثابتة واضحة بين القرآن والتوراة والانجيل ، اشتراك فى الموضوع والصورة والغرض كلها ترمى إلى التوحيد ولكن هذه الصلة

---

(١) هو كتاب الشعر الجاهلى «الذى ظهر فى ثوب جديد هو الأدب الجاهلى» بعد حذف بعض الفقرات منه

الدينية معنوية عقلية يحسن أن تؤيدها صلة أخرى مادية ملموسة فما الذى يمنع أن تستغل هذه القصة قصة القرابة المادية بين العرب العدنانية واليهود وقد كانت قريش مستعدة كل الاستعداد لقبول مثل هذه الأسطورة فى القرن السابع فقد كانت فى أول هذا القرن قد انتهت إلى حظ من النهضة السياسية والاقتصادية ضمن لها السيادة فى مكة وما حولها وبسط سلطانها المعنوى على جزء غير قليل من البلاد العربية الوثنية وكان مصدر هذه النهضة أسواق التجارة والدين فأما التجارة فنحن نعلم أن قريشا كانت تسافر إلى الشام ومصر وبلاد الفرس واليمن والحبشة وأما الدين فهذه الكعبة التى كانت تجتمع قريش حولها ويحج العرب إليها كل عام والتى أخذت تبسط سلطانها على نفوس هؤلاء العرب نوعا من السلطان قويا والتى أخذ هؤلاء العرب المشتركون يجعلونها رمزا لدين قوى كأنه كان يريد أن يقف فى سبيل انتشار اليهودية والمسيحية من ناحية أخرى .

وعجيب هذا الرأى الذى لا يدعمه الدليل اللهم إلا « ليس ما يمنع » و « ليس ببعيد » و « أمر هذه القصة واضح » . ثم إنه يذهب إلى آراء هى من صنع المستشرقين ووليدة شكوكهم ، ويهدم من حيث لا مبرر للهدم ، ولا نجد ما نقوله له إلا أن نقول إن الدين فى هذا الموضوع لم يصطدم بالعلم وإنما اصطدم بالهوى والهوى لا يثبت أن ينكسر عند أول صدمة على أن السبب الذى ذكره الدكتور لوضع اليهود الحديث واه لا يصلح أساسا لأنه إذا صح إنما يثبت القرابة بين الاسماعيلية وبنيهم من العدنانيين وبين اليهود ، وأما العرب الذين أغار عليهم اليهود ثم صالحوهم فهم عرب يثرب وهم من القحطانيين لأنهم من غسان إحدى قبائل الأزد فالحديث لا يؤدى إلى المطلوب الذى يريده الدكتور .

ومن العجيب أن الدكتور يريد أن يتبع فى ذلك رأى الدكتور مرجليوث فقد قال فى مقاله « ذيل مقالة الاسلام » وحقيقة الامر فى قصة إسماعيل أنها

دسيسة لفقها قدماء اليهود تزلفا إلى العرب وتذرعا منهم إلى دفع الروم عن بيت المقدس أو إلى تأسيس مملكة جديدة فى بلاد العرب » . ونقول كان يكفى وجود القصة فى القرآن ليؤمن بها الدكتور .

***

وحسبنا ذلك فى عرض آراء النقاد المحدثين فى الشعر الجاهلى والرد عليها وما توفيقى إلا بالله .

كلمة أخيرة

وبعد ، فهذا الكتاب « الحياة الأدبية فى العصر الجاهلى » هو السلسلة الأولى من تاريخ الأدب العربى التى أنوى إصدارها تباعا إن شاء الله ، وقد صدر متمما لها كتاب أعلام الشعر الجاهلى وكتاب شعراء الجاهلية ، هذا العام ، وستصدر باقى أجزاء السلسلة بالتوالى إن شاء الله .

وتاريخ الأدب العربى هو تاريخ لقومية الأمة العربية وأخلاقها وعاداتها وحياتها وآمالها وآلامها ولكل ما تأثرت به من مؤثرات حياتها الفكرية والاجتماعية والسياسية والأدبية .

وتاريخ الأدب ليس علما جافا بل أساسه الذوق ودراسة الفنون الأدبية فى الأمة دراسة واسعة .

فعلى مؤرخ الأدب أن يدرس أسباب رقى الأدب وانحطاطه وتأثر الأدباء بها أو تأثيرهم فيها وأن يدرس صلات المحدثين بالقدامى أدباء وشعراء وكتابا وخطباء ونقادا ، وأن يتعمق فى فهم المذاهب والمدارس الأدبية العامة وصلاتها ببعض والعوامل التى أدت إلى قيام كل مدرسة وميزاتها وخصائصها ومدى تأثرها بما قبلها وتأثيرها فيما بعدها من المدارس والمذاهب الأدبية العامة . فهذه المدارس والحركات الأدبية كانت تلعب دورا هاما فى الأدب ولها من الأهمية فى دراسة تاريخ الآداب مالا يقل شأنا عن دراسات كثيرة فى الأدب ، ومن المؤسف أن الدراسات الأدبية بوضعها الراهن فى كليتنا العزيزة لا تؤدى إلى هذه الغاية ، ومن الحرى أن نعمل على تلافى هذا النقص بكل ما يمكننا ، فتاريخ الأدب ليس سردا لنصوص أدبية وتراجم عامة وإنما يوضح لنا الصلات بين المذاهب الأدبية ويربط كاتبا بآخر وجماعة بجماعة ومدرسة بمدرسة كما يدرس أسباب الانقلابات الأدبيه المختلفة

فى عصور الأدب وتأثير تحول الكتاب فى نهضة الأدب والشعر وتوجيههما وجهة جديدة .

هـذا كله فوق دراسة تاريخ الأدب للآثار الأدبية نظما وشعرا ولشخصيات الأدباء شعراء وكتابا وخطباء والالمام بنشأتهم وحياتهم ونزعاتهم وغير ذلك من مكونات شخصيتهم وطابع كل منهم وسماته التى يتميز بها عن غيره ، فكل كاتب كبير أو شاعر عبقرى يأتى إلى هذا العالم بشىء جديد كل الجدة ذلك هو نفسه ، كما يقول بعض النقاد الغربيين ، وكثير من الكتاب الأفذاذ والشعراء الملهمين يخلقون ذوقا جديدا ومرحلة جديدة فى الأدب وكما يتأثر الأديب بعصره فهو يؤثر فيه . فالأديب ابن عصره وبيئته ، فكل ما يبعث اتجاها جديدا فى الرأى أو فى منحى الحياة أو فى مجرى السياسة والشعور العام يؤثر فى تكوين الآداب إلى حد كبير ويجب ألا ننسى ظروف الزمان والمكان والبيئة عند دراستنا لأى نص أدبى ، كما أنه لا بد من معرفة العوامل التى أثرت فى فن الشاعر والكاتب والأديب وذوقهم وإنتاجهم الفنى وجعلت لهم طابعا خاصا فى أدبهم .

ومهما تكن شخصية الأديب بالغة منتهاها فان روح جنسه وعصره لابد من أن يظهر فيه . وعلى ذلك فتاريخ الأدب يتأثر بمؤثرات قومية كما يتأثر بمؤثرات شخصية ، فظهور الاسلام مثلا له من الأثر البعيد فى الأدب العربى ما لا يستطاع حصره .

***

هـذا ولا يقتصر تاريخ الأدب على دراسة المخلفات الأدبية لمختلف الأدباء والشعراء ، كل كاتب على حدة ، بل لابد فيه من دراسة أدب الأمة جملة واحدة وإظهار مميزاته العامة باعتباره انتاجا لعقلية هذه الأمة التى هى جماعة واحدة ، لها تفكير خاص وشعور خاص وذوق خاص .

كل ما له أثر فى تكوين الأمة له أثر فى نسج أدبها ، فأدب الأمة هو تاريخها الذى دونته بقلمها ليصور لنا رقيها العقلى والخلقى فوق تقدمها الأدبى

وقد اعتاد مؤرخو الآداب أن يقسموا الأدب إلى عصور مختلفة ، ولم يلجأوا إلى ذلك لسهولة الدرس فحسب ، ومن قبيل تقسيم الموضوع المتشعب إلى أبواب وفصول ، ولكن هناك ما يبرر هذا التقسيم ، فالعصر التاريخى عبارة عن فترة زمنية يسود فيها نوع من الذوق العام ، وعلى ذلك فان أدب ذلك العصر يتسم بصفات خاصة من حيث المادة والفكرة والأسلوب . وقد تختلف آثار الكتاب البارزين بقدر ما تختلف شخصياتهم ، ولكن تلك الصفات العامة تظهر فيهم جميعا ، ولا ينتهى عصر ويخلفه آخر . إلا بعد تغيير حاسم فى الذوق العام .

ولكنا يجب أن لانضع الحواجز المتينة بين عصروعصر ، فليس تاريخ الإنسان أبواباً وفصولا ، ولكنه تيار واحد متدفق يسير حيناً ذات اليمين وحينا ذات اليسار ، ليس له بداية معينة ولا نهاية محـــدودة ، والعصور التاريخية فى الواقع آخذ بعضها بتلابيب بعض ، وقد يبدأ الرجل عمله فى عصر من العصور ولا ينتهى منه إلا فى عصر آخر ، كالمخضرمين بين الجاهلية والاسلام ، وكبشار وابن المقفع بين العصر الأموى والعصر العباسى .

ومع ذلك فان لتقسيم الأدب إلى عصور أهميته الدراسية لأنه يوجه أنظارنا إلى المراحل التى اجتازها الأدب وتميز فى كل مرحلة منها بميزة خاصة وهو أهم مايعنى به مؤرخ الآداب . وحسبنا ذلك الآن وما توفيق إلا بالله .

خاتمـــة

وبعد فأحمد الله على توفيقه ، وعلى أن أعاننا على إخراج هذا الكتاب الجديد « الحياة الأدبية فى العصر الجاهلى » .

وهو كتاب استغرق وقتا طويلا ، ومجهودا ضخما ومراجعات كثيرة .

وقدخرجت منه بتحليل جديد عميق للحياة الأدبية فى هذا العصر البعيد ، فوق ما تضمنه من الآراء الطريفة ، والبحوث الجديدة .

والعناية بالمراجعة ، والإشارة إلى المصادر ، وتنظيم البحث واستقصاؤه ، مع وضوح الأسلوب ، وجودة العرض ، وتبسيط الموضوعات وسهولة بحثها ، ومع العناية بتصوير الاتجاهات الأدبية والعوامل الكثيرة التى كان لها أثرها فى الأدب الجاهلى شعراً أو نثرا ، ومع النصوص الكثيرة الواضحة والمشروحة ، ومع العرض لأهم آراء النقاد والمعاصرين فى الأدب الجاهلى .

كل ذلك بعض مميزات هـــذا الكتاب الجديد الذى أقدمه للقراء والباحثين والدارسين .

وما توفيقى إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب ؟

١٥ أغسطس ١٩٤٩ محمد عبد المنعم خفاجى

دراسة ونقد

هذه بعض ملاحظات صغيرة ، كنت قد كتبتها على هامش كتاب «الأدب العربى وقاريخه فى العصر الجاهلى» أثناء مطالعتى له ، ولاتمام الفائدة أذكرها هنا :

١ — فى ص ٥ من الكتاب [١] يقول الأستاذ : « وأحدث المستشرقون علم تاريخ الأدب ، فاستقلت هذه الكلمة (الأدب) حينئذ بمعنى المأثور من الشعر والنثر

وأقول ان استقلال كلمة أدب بمعنى المأثور الجيد من المنظوم والمأثور لم يكن من بدء بحوث المستشرقين فى القرن الماضى ، وإنما هو قديم من قبل القرن الرابع الهجرى حين استقلت علوم العربية — كالنحو واللغة والنقد والأنساب والتاريخ — عن الأدب ، وكل المراجع الأدبية مجمعة على ذلك وإن شئت فراجع أول التوجيه الأدبى فى تطور كلمة أدب ، وراجع الأدب الجاهلى ص ١٧ — ٢٦ وتاريخ الأدب للرافعى الجزء الأول ومقالات فى الأدب للزيات [٢]

٢ — وفي ص ٥ أيضا يرى المؤلف أن كلمة أديب لم يعثر لها على نص صحيح قبل الاسلام وقبل مزاحم العقيلى وسالم بن وابصة

وأقول إن كتب الأدب كالبيان والتبيين وسواه فيها كثير من النصوص لكلمة أديب ولشعراء قبل مزاحم وصاحبه ، ومنها قول كعب بن سعد الغنوى

حبيب إلى الزوار غشيان بيته جميل المحيا شب وهو أديب [٣]

وراجع بسط ذلك فى أول هذا الكتاب حيث تجد بعض النصوص الجاهلية أيضا

٣ — وفي ص ٢٠ يعد الأستاذ كتاب الكامل والبيان والأمالى والأغانى من الكتب الجامعة بين القصص والأدب

والأغانى يجوز أن نقول فيه ذلك لأنه كتاب قصص وأدب أما غير الأغانى وخاصة الكامل والبيان فمن كتب الأدب وحده

٤ — وفى ص ٥٤ يذكر الأستاذ أن الأحوص بن جعفر كان رحا هوازن وشيخها

---

(١) الطبعة الثالثة (٢) ويقول صاحب الأدب الجاهلى (ص ٢٤ الطبعة الثالثة) : الأدب فى القرن الثانى والثالث والرابع يدل على مايؤثر من الشعر والنثر ومايتصل بهما لتفسيرهما وتقدمها (٣) ١٢٦ ج ١ بيان طبعة ١٩٢٧

وأقول إنه من بنى جعفر بن كلاب العامرى من قيس عيلان التى تعد هوزان فرعا من فروعها فهو جعفرى عامرى قيسى وبعبارة أخرى هو من بنى عامر بن صعصعة بن معاوية بن بكر من قيس عيلان فهو عامري أوقيسى أما أنه شيخ هوازن فهذا موضع المؤاخذة

٥ — وفى ص ٩٠ يدخل فى نقد الأسلوب «براءة المعاني من الاحالة أو الكذب» والنقاد يعرفون أن الأسلوب غير المعانى وأن خصائص الأسلوب لايدخل فيها ماهو من أوصاف المعانى وحدها

٦ — ويذكر مثلا كثيرة لفنون الشعر الجاهلى (ص ١٠٢ — ١١٢) دون أن يبين شيئاً عن المدى الأدبى لفن الجاهليين فى فنون الشعر وأغراضه

٧ — وفي ص ١١٤ بعد بيتى عنترة « وخلا الذباب بها الخ » إشارة لبعض أنواع الغناء عند العرب . وليس فى بيتى عنترة إلا تشبيه تغريد الذباب فى الروضة بفعل المشارب المترنم

٨ — وفى ص ١٢٢ يجعل أبا اسحاق المتكلم من أصحاب الجاحظ وأبو إسحاق هو النظام وهو أستاذ الجاحظ فى الاعتزال وعلم الكلام .

٩ — وفى ص ١٤٩ يقول « لم يعرف أنه دخل في أسلوب الجاهليين شىء من المحسنات البديعية .. كالجناس الخ

فيخالف جميع النقاد ، أو ليس زهير هو الذى يقول فى شعره «سال السليل بهم» وأليس الأعشى هو الذى يقول « مشل شلول شلشل الخ » ؟ وأليس امرؤ القيس هو الذى يقول « وقد طمح الطماح الخ » ؟ فضلا عن أنه يخالف هنا مايثبته في ص ٣٢٦ من كتابه من ورود المحسنات البديعية فى شعر الجاهليين ، ولو قال : « ولم يعرف أن الجاهليين قصدوا شيئاً من المحسنات لكان صوابا

١٠ — وفى ص ١٧٢ يثبت البيت :

والله أنجح ماطلبت به والبر خير حقيبة الرحل

لامرىء القيس بن حجر ، وهو لامرىء القيس بن عابس الصحابى (راجع تلف والمختلف للآمدى)

١١ — وفى ص ١٨٤ يخالف النقاد الذين يوافقون أم جندب فى حكومتها الأدبية التى فضلت فيها علقمة على امرىء القيس فى وصف الخيل (١)

ورأيه فى ذلك لايؤيده الفهم الأدبى الصحيح للقصيدتين الذى ينطق بأن علقمة أصاب الاصابة التامة فى شتى أوصاف الفرس دون امرىء القيس الذى قصر فى بعض هذه الأوصاف على أنه قد قلد فيه الرافعى ولم يدعمه بما دعمه به الرافعى (٢٢٥ - ٣/٢٣٤ الرافعى)

١٢ — وفى ص ١٨٥ يحمل نقد النقاد لبيت امرىء القيس :

أغرك منى أن حبـــك قاتلى وأنك مهما تأمرى القلب يفعل

على أن الاستفهام على وجهه . والنقاد لاينقدون البيت إلا على أن الاستفهام فيه للانكار وليس على وجهه وحقيقته

١٣ — وفى ص ١٨٦ يوافق بعض النقاد فى نقدهم لامرىء القيس فى قوله : « وحسبك من غنى شبع وري » ويرى أنه أشبه بشاعر سئول كالحطيئة . وهذا غريب لأمرين:

ا — فهذه الحكمة لاعيب فيها لأن امرىء القيس إنما قالها بعد أن عركته الأيام وزهد في نعيم الحياة وترفها فهو إنما قالها زهداً لا كسلا وخمولا ولاضعة لنفسه

ب — وليس فى هذه الحكمة شىء من الاستجداء حتى يستنتج المؤلف أنها أشبه بشاعر كالحطيئة

١٤ — وفى ص ١٨٩ يقول فى النابغة « وكان يحذو على شعر زهير وأوس » وهذه عبارة لانستسيغها وكان الأولى « يحذو حذو زهير فى شعره »

وماذكره من نقد أدبى لشعر النابغة (٢٠٠ - ٢٠٢) فمنقول من الموشح على أنه لم يذكر أى تحليل تفصيلى لفن النابغة فى شعره ولالمنزلته الأدبية بين الشعراء .

١٥ — ويفيض فى ذكر مثل كثيرة ، لشعر الأعشى وتحليل حياته (ص ٢٢٠ - ٢٤٠) ثم لايذكر من خمرياته إلا بيتين ، ولايذكر شيئا عن قيمتها الأدبية ، مع أنها أخص خصائص شاعرية الأعشى ، والذى عدها أستاذ الأخطل وأبى نواس ،

---

(١) راجع هذه الحكومة فى الموشح للمرزبانى ص ٢٨ — ٣٠

والتى من أجلها قال فيه النقاد « إنه أشعر الناس إذا طرب »

١٦ — وفي ص ٢٤٩ يذكر بيت لبيد :

وجلا السيول عن الطلول كأنها زبر تجد متونها أقلامها

ويشرحه بقوله : وهم يعتبرون هذا التشبيه لبقايا الأطلال في دقتها وتتابعها واستطالة أعلامها كأنها سطور فى كتاب من التشبيهات العالية الطبقة .

وأقول : إن المشبه ليس هو بقايا الأطلال فى دقتها وتتابعها واستطالة أعلامها وإنما هو الأطلال الدائرة التى غطى معالمها التراب ثم جاء السيل فأزال التراب وأعاد معالمها واضحة ظاهرة .

والمشبه به ليس هو سطور الكتاب فحسب وإنما هو سطور الكتاب الغير الواضحة التى يعيد الكاتب بقلمه توضيحها من جديد .

١٧ — وفى ص ٣٢٥ ينقد المؤلف رأى الدكتور طه حسين الذى شرحه فى الأدب الجاهلى شرحا وافيا يبين بوضوح أن أوس بن حجر كان زعيم مدرسة أدبية لها خصائصها البيانية في الشعر الجاهلى من التشبيهات المادية وسواها ، والتى احتذاها زهير والحطيئة وسواهما

هذا وأوس أستاذ زهير وسواهما فلابد أن فنه الأدبى قد تأثر به إلى حد كبير ، وأسلوب أوس مشهور بماديته في التشبيه وسواه وعلى هذا النمط سار تلاميذه ، أما أن أحدا يكون قد شاركه فى هذه السمة أو لم يشاركه فهذا بحث آخر

وحسبنا ذلك الآن .

منهج الأدب وتاريخه

للسنة الأولى بكلية اللغة العربية

الأدب : أدب اللغة . تاريخ أدب اللغة . علاقته بالتاريخ العام وتقسيمه إلى عصور العرب . وطنها . أصلها . أقسامها مشهورات قبائلها عظائم أيامها ذوات الأثر فى أدب اللغة . حياتها الاجتماعية والدينية والسياسية

اللغة العربية : أصلها . نشأتها . خصائصها . عوامل نموها . اختلاف لهجاتها . أطوار تهذيبها . أثر الأسواق فيها . الخط العربى ونشأته . معارف العرب فى الجاهلية الكلام العربى وتقسيمه إلى منثور ومنظوم . تقسيم المنثور إلى مرسل ومسجع ومزدوج

تاريخ الأدب فى العصر الجاهلى . المنثور : الحكم والأمثال والخطب والوصايا والمحاورات وسجع الكهان . الخطابة وأشهر الخطباء . ميزات النثر الجاهلى فى معانيه وأخيلته وألفاظه وأساليبه . الشعر : أوليته . فنونه . مميزاته فى معانيه وأخيلته وألفاظه وأساليبه . المعلقات ومنزلتها من الشعر الجاهلى . صلة الشعر العربى بالتاريخ وتسجيله كثيرا من عادات العرب وأخلاقهم ومعارفهم وعقائدهم وسائر شئونهم تأثير الشعر فى النفوس مكانة الشعراء . التكسب بالشعر . تنقل الشعر فى القبائل . شياطين الشعراء . طبقات الشعراء . فحولهم

نشأة النقد الكلامى فى هذا العصر وأمثلة منه . الموازنات الادبية وأمثلة منها . رواية الشعر

دراسة تاريخ اثنين من الرجال الآتية أسماؤهم بعد ، دراسة استيعاب يعمد فيها إلى الوقوف على ما يستطاع من تفصيلات حياتهم الأدبية وكل ماله أثر فيها مع استنباط خصائص كل فى أقواله : معانيه ومبانيه وأسلوبه وأخيلته وتشبيهاته ومبتكراته ، ونقد ما هو خليق بالنقد من ذلك ، مع الموازنة بينه وبين نظير له إن أمكن ، ومع الابانة عن أثر كل فى فنون الأدب ومنزلته من رجاله على ألا يتكرر واحد منهم فى سنتين متواليتين

١ — امرؤ القيس زهير النابغة . عمرو بن كلثوم . أبو داود الأيادى

٢ — الأعشى . عبيد . طرفة . لبيد . الأفوه الأودى

٣ — مهلهل . عنترة . عدى بن زيد بشر بن أبى خازم . قس . حاتم . أمية ابن أبي الصلت . أوس بن حجر

دراسة تراجم ثلاثة رجال ممن لهم شهرة بالخطابة كأكثم وحاجب بن زرارة والحارث بن ظالم من خطباء النعمان

ويضاف إلى ذلك دراسة النصوص المقررة

منهج النصوص

١ — دراسة قطعة جيدة من فنون النثر الجاهلى قراءة وفهما ونقدا وموازنة لما يستحق الموازنة بغيره منها ، وذلك مما دون فى مثل أمالى القالى والعقد والبيان والتبيين وكامل المبرد وأمثال الميدانى

٢ — دراسة قصائد ومقطعات يختارها المدرس من فنون الشعر الجاهلى قراءة وفهما ونقداً وموازنة لما يستحق الموازنة بغيره منه ، وذلك مما دون فى مثل جمهرة أشعار العرب والمفضليات وديوان الحماسة ودواوين الشعراء الجاهليين

على ألا يقل المقروء عن نحو مائتى بيت من فنون الشعر المختلفة وعشر قطع نثرية كذلك على أن يحفظ الطلبة من ذلك عشرين ومائة بيت من الشعر وخمسين سطرا من النثر .

منهج الانشاء

١ — عشرون مقالا على الأقل في كل عام

٢ — مادة الأنشاء تتألف من الخطابة والكتابة

الخطابة :

يلاحظ فيها العناية بتدريب الطلبة على الارتجال وحسن الالقاء وتربية ملكتى النقد والجدل ومدهم بكثير من مفردات اللغة وبدائع أساليبها وكثير من شوارد الأدب العربى وشواهده مع الحرص على سلامة عبارة الطلبة من اللحن وسوء التركيب وأن تكون فصيحة مرتبة الفكر بعيدة عن الأغراق والحشو ، تسرى فيها روح الأدب وقوة البيان .

وموضوع الخطابة :

المسائل الدينية والاجتماعية والخلقية ، والمحاورة فى موضوع له طرفان أو أطراف ، والمسائل الأدبية كبيان رأى شاعر أو كاتب أو موازنة بين أديبين أو إبداء رأى جديد فى الأدب ، المسائل التاريخية ، نقد العادات ، الوصف ، مقامات قصيرة وقصص طريفة

الكتابة :

فى موضوعات غير الموضوعات التى خطبوا فيها غالبا ، ومسائلها هى المسائل التى دونت مجملة للخطابة ، ويزاد عليها الرسائل فى الفنون المختلفة من عتاب أو شكر أو رجاء أو غيرها .

مطبوعات للمؤلف

١ — شرح البديع لابن المعتز نشر مطبعة مصطفى الحلبي ط ١٩٤٥

٢ — رسائل ابن المعتز فى النقد والأدب والاجتماع نشر مطبعة مصطفى الحلبي ط ١٩٤٦

٣ — قواعد الشعر لثعلب شرح وتعليق المؤلف نشر مطبعة مصطفى الحلبي ط ١٩٤٨

٤ — التشبيه فى شعر ابن المعتز وابن الرومى ط ١٩٤٨ — المطبعة الفاروقية

٥ — الشعر العربى أوزانه وقوافيه مقرر العروض للسنة الأولى الثانوية بالأزهر الشريف . نشر مطبعة مصطفى الحلبي ط ١٩٤٨

٦ — فن الشعر ـ مقرر العروض والقوافى لطلبة كلية اللغة العربية نشر مطبعة محمود صبيح بالأزهر ط ١٩٤٩ ـ جزءان

٧ — توبة شاعر البطولة ط ١٩٤٩ ـ دار الأنوار بالقاهرة

٨ — فصيح ثعلب والشروح التى عليه ط ١٩٤٩ ـ مكتبة التوحيد بدرب الجماميز

٩ — الحياة الأدبية فى العصر الجاهلى نشر محمود توفيق ١٩٤٩

١٠ — أعلام الشعر الجاهلى ـ مكتبة الحسين التجارية ط ١٩٤٩ ـ بالاشتراك مع أستاذ

١١ — ابن المعتز وتراثه فى الأدب والنقد والبيان ـ مكتبة الحسين التجارية ط ١٩٤٩

١٢ — شعراء الجاهلية ـ مكتبة الحسين التجارية ط ١٩٤٩

١٣ — أحلام الشباب ديوان شعر دار الأنوار ط ١٩٤٩

١٤ — وحى العاطفة ديوان شعر ط ١٩٣٦

١٥ — نشيد الصحراء ط ١٩٤٧

١٦ — شرح متن التلخيص ـ مكتبة الحسين التجارية ١٩٤٩

١٧ — حكومة القاضى الجرجانى فى النقد ـ ط صبيح ١٩٤٩

تقـــدير ملـكى كريم

كان المؤلف قد رفع إلى مقام حضرة صاحب الجلالة مولانا الملك المعظم حفظه الله نسخة من كتابه « ابن المعـــتز وتراثه فى الأدب والنقد والبيان »

فتلقى من معالى كبير الأمناء الخطاب الآتى :

ديوان كبير الأمناء

حضرة المحترم الأستاذ محمد عبد المنعم خفاجى

أتشرف بإبلاغ حضرتكم أنى رفعت إلى السدة العليـة الملـكية النسخة التى قدمتموها لحضرة صاحب الجلالة الملك من مؤلفكم « ابن المعتز وتراثه فى الأدب والنقد والبيان »

فتفضل أعزه الله فأولاها حسن القبول ، وإنى أتشرف بإبلاغ حضرتكم ذلك مع الشكر السامى

وتفضلوا حضرتكم بقبول وافر الاحترام . كبير الأمناء

تحريرا فى ٢١ يوليو ١٩٤٩ عبد اللطيف طلعت

(إمضاء)

وإنى لأنتهز هذه الفرصة فأرفع إلى مقام حضرة صاحب الجلالة الفاروق المفدى حفظه الله أصدق آيات الولاء وأعمق شعائر الاجلال والاخلاص والوفاء مع الدعاء لجلالته بأن يحفظ الله عرشه ويؤيد ملـكه ويكلأه ويرعاه لمجـد الوطن والعروبة والشرق والاسلام ، وأن يديمه ملاذا للثقافة والعلم والحضارة والانسانية .

محمد عبد المنعم خفاجى

الأستاذ بكلية اللغة العربية

فهرست الكتاب

صحيفة

٣ الاهداء
٤ تمهيد
٥ مقدمات
١٥ تاريخ أدب اللغة
١٧ علاقته بالتاريخ العام
١٨ تقسيمه إلى عصور
٢٠ – ١٠٥ الباب الأول : المؤثرات فى الأدب الجاهلى
٢١ موطن العرب
٢٥ أصل «
٢٦ الشعوب العربية
٢٧ القبائل «
٣٢ حياة العرب الاجتماعية
٣٧ حياتهم السياسية
٤٤ « الدينية
٥٠ « العقلية
٥٤ الخط العربى
٥٩ – ٧٩ أيام العرب
٦١ حرب داحس
٦٨ « البسوس
٧٤ يوم بعاث
٧٥ « حليمة
٧٥ « الزويرين
٧٦ « شعب جبلة
٧٧ أيام الفجار

صحيفة

٧٧ يوم خزازى
٧٨ يوم ذى قار
٨٠ – ١٠٥ اللغة العربية
٨٠ أصلها
٨٤ نشأتها
٨٧ أطوار تهذيبها
٨٨ – ٩٦ أثر الأسواق
٨٩ – ٩٦ عكاظ
٩٦ مجنة
٩٦ ذو المجاز
٩٦ اختلاف اللهجات العربية
٩٩ خصائص اللغة العربية
١٠٠ عوامل نمو «
١٠٣ فصاحة لغة قريش
١٠٤ اللغة العربية ومنزلتها بعد نزول القرآن
١٠٦ – ١٥١ الباب الثانى : النثر الجاهلى
١٠٦ معنى الجاهلية
١٠٦ الشعر والنثر
١١٢ ميزات النثر الجاهلى
١١٤ أمثلة للنثر الفنى
١١٨ أقسام النثر : الحكم والأمثال
١١٨ نماذج لها
١٢٠ ماهى الحكمة

صحيفة	
١٢١	ماهو المثل
١٢٢	الوصايا والنصائح : نماذج
١٢٥	ماهى الوصايا
١٢٥	الخطابة : نماذج
١٣٠	ماهى الخطابة
١٣١	الخطابة عند الجاهليين
١٣٢	دواعيها — أغراضها
١٣٤	المأثور منها
١٣٤	الخطابة والخطيب
١٣٥	أشهر الخطباء قس الأيادى
١٣٦	أكثم
١٣٨	عمرو بن معد يكرب
١٣٩	من خطباء العرب
١٤٣	المحاورات
١٤٨	سجع الكهان
١٥٢	الباب الثالث الشعر الجاهلى
١٥٢	ماهو الشعر
١٥٤	آراء فى الشعر
١٥٨	نشأة «
١٦٥	الشعر فى الجاهلية
١٦٦	تأثيره
١٦٧	منزلة الشاعر
١٦٨	التكسب بالشعر
١٧٠	شاعرية العرب
١٧١	لون الشعر الجاهلى
١٧٥	تنقل الشعر
١٧٦	شياطين الشعراء
١٧٩	طبقات الشعراء
١٨٥	صلة الشعر العربى بالتاريخ
١٨٥	تصويره للأخلاق

صحيفة	
١٨٧	تسجيله للعقائد
١٨٨	معارف العرب فى الشعر الجاهلى
١٩٠	الشعر والحياة الاجتماعية
١٩٥	رواية الشعر
١٩٧	الرجز فى العصر الجاهلية
١٩٨	النقد الأدبى في الجاهلية
١٩٩	صور منه
٢٠٢	فنون الشعر الجاهلى
٢٠٦	معاني الشعر الجاهلى
٢١٠	أخيلته
٢١٤	ألفاظه
٢١٧	ماهو الأسلوب
٢١٩	خصائص أسلوب الشعر الجاهلى
٢٢١	نماذج من الشعر الجاهلى : المدح
٢٢٣	الهجاء
٢٢٤	الفخر
٢٢٧	الرثاء
٢٣٥	الحماسة
٢٣٩	العتاب
٢٤١	الاعتذار
٢٤٢	الحكمة
٢٤٤	الوصف
٢٤٦	النسيب
٢٥٥	المعلقات ومنزلتها من الشعر الجاهلى
٢٦٥	معلقة طرفة
٢٧٣	« امرىء القيس
٢٨١	« عمرو بن كلثوم
٢٨٥	« زهير
٢٨٩	« عنترة
٢٩٦	« لبيد

صحيفة	
٣٠٠	معلقة الحارث
٣٠٢	مصادر الشعر الجاهلى
٣٠٣	دواوين الشعراء الجاهليين
٣٠٥	الشعر الجاهلى بين الطبع والصنعة
٣١١	رواة الشعر الجاهلى
٣١٣	قدامى الشعراء فى العصر الجاهلى
٣٢٥	شعراء الحماسة الجاهليون
٣٢٨	الشعراء المتألهون
٣٢٩	الشعر الجاهلى بين الرجز والقصيد

صحيفة	
٣٣٢	« « فى موازين النقد
٣٥٧	كلمة أخيرة
٣٦٠	خاتمة
٣٦١	دراسة ونقد
٣٦٥	مناهج الدراسة
٣٦٨	مطبوعات للمؤلف
٣٦٩	تقدير ملكى كريم
٣٧٠	فهرست الكتاب
٣٧٣	استدراك

استدراك

الصفحة	السطر	الكلمة	صحتها
٢٦	٢٢	أبينا	أبينا
٤٥	١٢	وصلته	وصلت
٤٦	٤	عمر	عمرو
٦٤	٥	جعـ ر	جفر
٦٤	١٧	أن	أك
٧٢	٦	مخبات	مخبأة
٩٣	٣	فـكا	فـكان
١٠٨	٢٠	والصفة	والصنعة
١٠٩	٥	ق	وفى
١١١	٨	ومغامرات	ومفاخرات
١ ٧	١٢	مات	ملت
١١٨	١٢	جمه	حممة
١١٩	٦	الدر	الدد
١١٩	٨	يسر	بسر
١٢٠	١٧	تـكليها	فكليها
١٢٢	١٧	البحرى	البري
١٢٣	١٨	واختيار	واختبار
١٣٢	٦	شاعرا	خطيب
١٣٦	٢	بلغ	بليغ
١٣٨	١٨	يكن	يلن
١٣٩	٧	يئز	بمئز
١٥٠	١٣	بعجائبهم	وبعجائبهم
١٥٢	٩	المنفصل	المفصل

الصفحة	السطر	الكلمة	صحتها
١٥٥	٢٢	فى	فى الشعر
١٦٦	١٦	ويسبتبد	ويستبد
١٦٨	٢	الأفراس	الأفراح
١٦٩	٦	عوف	بن عوف
١٧٤	٦	وخلودات	وخلودا
١٧٨	٣	لشيطان	كشيطان
١٧٩	١٩	أوجزا	آرجزا
١٨٨	٢٠	الغطاس	النطاسى
١٩٢	٧	من الحيان	م الحيين
١٩٢	١٥	عاقت	عافت
١٩٥	١١	بالشعر	بالشعب
١٩٧	٢٢	٢٤٥	٢٤
١٩٩	٢١	ما أتى	أتى
٢٠٢	١	فنون	فنون *
٢٠٨	٢٠	التنأى	المتنأى
٢١١	٢١	بحيوان	الحيوان
٢٢٣	٨	بنات	بناة
٢٣٦	٦	وافران	واقران
٢٣٦	٨	العلم	الحلم
٢٤٧	٨	مدلولها	مدلولهما
٢٤٨	٢٣	كلمتنا	لو كلمتنا
٢٥٣	١٢	نفى	نقى
٢٦٦	١٢	قع	وقع
٢٧٠	١٠	رأيتنى	رأيت
٢٧٠	١١	أيها	أيهذا

الصفحة	السطر	الكلمة	صحتها
٢٧٥	٢١	ومسامعيهم	وسامعهم
٢٧٨	.	زمعت	قد أزمعت
٢٨٣	٩	الأقوى	قوى
٢٨٤	١١	وقه مه	وقدمه
٢٨٦	١٢	والاشارة	والاشادة
٢٩٤	٦	تبلغى	تبلغى
٢٩٤	١١	ثدى	ندي
٢٩٤	٢١	ألد . بقدحه	أكب . يقدحه
٢٩٦	١٢	مؤثرا	مؤثر
٣٠٥	٥	الغزيرة (١)	الغزيرة (٢)
٣١٣	١	الشعر	الشعراء
٣٣٢	١٠	وضعها	وصفها
٣٣٣	٢١	يصعى	يصفى
٣٣٥	٢٠	سماة	سمات
٣٣٨	٧	الهكرباء	الكهرباء
٣٣٦	٤	لجمال	بجمال
٣٠١	٤	انما	إنا
٣٠٨	١١	تكليف	تكلف
٣٤١	١٠	مقر	مضر
٣٤٦	١٤	والقساسنة	والغساسنة
٣٤٨	١١	يصلع	يصلح

ملاحظة : وقع خطأ مطبعى فى ص ٦٧ و٦٨ بتقديم بعض البحوث قبل موضعها فيحذف فى ص ٦٧ من أول الصفحة إلى آخرها أما هامشها فيبقى ولا يحذف منه إلا الهامش (١) . وكذلك تحذف أول ص ٦٨ إلى أول « — ٣ — »

ابن المعتز

وتراثه فى الأدب والنقد والبيان

تأليف محمد عبد المنعم خفاجى

نشرت جريدة المصرى كلمة عن هذا الكتاب جا. فيها :

هذا سفر جديد ، ألفه محمد عبد المنعم خفاجى الأستاذ بكلية اللغة العربية ، ونشرته مكتبة الحسين التجارية لصاحبها محمود توفيق بالقاهرة ، فى أربعمائة صفحة من الحجم الكبير على ورق أبيض مصقول

تناول مؤلفه فيه ابن المعتز الخليفة العباسى الشاعر الأديب الكاتب والناقد العالم المؤلف المتوفى ٢٩٦ هـ ، وحياته وشعره وأدبه وآثاره فى النقد والبيان بالدراسة والتحليل والنقد

وهو أول كتاب يؤلف وينشر فى الأدب العربى عن ابن المعتز وآثاره الفنية والأدبية والعلمية

ويمتاز بدقة البحث ، وعمق الدراسة وتنوعها ، وتعدد ألوان التجديد فى مناهج النقد الأدبى ، وبكثرة المصادر المخطوطة والمطبوعة

وقد صدره مؤلفه بكلمة عن عهد الفاروق الزاهر ، وفيض رعايته وتشجيعه وعطفه على النهضة الفكرية والعلمية والأدبية

ولاشك أنه جهد كبير يستحق مؤلفه عليه الثناء والتقدير .

سيظهر قريبا للمؤلف كتاب :

شعراء الجاهليين

دراسة واسعة للشعراء الجاهليين وآثارهم الفنية ومذاهبهم وخصائصهم فى الشعر العربى . ويقع فى أكثر من ٢٠٠ صفحة ، ويطلب من مكتبة الحسين التجارية لصاحبها محمود توفيق

خفاجي ،محمد عبد المنعم
الحياة الادبية في العصر الجاهلي
AMERICAN UNIVERSITY OF BEIRUT LIBRARIES
01032748